الجمهورية الجزائريـــة الديمقراطية الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون –تيارت–
كلية الأدب واللغـــات
قسم اللغة والأدب العربي

رسالـــة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في: النقـــد القديم في المغرب والأنـــدلس

الموضوع:

ابن شـــرف القيرواني والمعارضة النقديـــة لابن رشيق

من إعداد الطالب(ة):
–بلقاسم سميـــة

تحـــت إشـــراف:
د. بلحسين سليمان
مساعد المشـــرف:
أ.د زروقي عبد القادر

تشكيلة لجنـــة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الرتبـــة	الصفـــة	مؤسسة الانتماء
داود امحمـــــد	أستـــاذ ت.ع	رئيســـا	جامعة تيـــارت
بلحسين سليمـــان	أستاذ محاضـــر "أ"	مشرفا ومقـــررا	جامعة تيـــارت
زروقي عبد القادر	أستـــاذ ت.ع	مشرفا مساعـــدا	جامعة تيـــارت
بلعجين سفيـــان	أستـــاذ ت.ع	عضوا مناقشـــا	جامعة تيـــارت
خروبي بلقاســـم	أستـــاذ ت.ع	عضـــوا مناقشا	جامعة تيـــارت
عثماني عمـــــار	أستـــاذ ت.ع	عضـــوا مناقشا	جامعة غيليزان

الموسم الجامعي 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكـــر

أجمل ابتسامة هي التي تشقّ طريقها وسط الدّموع، وأحلى لحظات هي تلك التي تجمع الأحبّة أوقات الفرح .

الحمد لله الذي لبّاني حين دعوت، ورفعني حين زللت وهداني حين ضللت

إلى أمي وأبي ما قاله الشاعر:

رباه أَبْلِغْ وَالِدَيَّ المَقْصِدَا

أَنْ عَلَّمَانِي كَيْفَ أَحْيَا سَيِّدَا

إلى جميع من أنتمي لهم أصولا وفروعا قريبين كانوا أم بعيدين

إلى مشرفي الدّكتور "بلحسين سليمان" ومساعده الدكتور "زرّوقي عبد القادر"

إلى كلّ من بذل جهدا صغيرا كان أم كبيرا في سبيل إنجاز هذا العمل المتواضع.

لكم منّي كلمة طيبة مليئة بمشاعر المحبّة والودّ والاحترام المكلل بالعرفان الذي لا تحدّه كلمات وتعجز الألسنة عن التعبير عنه لما أحس به من مشاعر فيّاضة تجاه كل من وقف بجانبي.

يكفيكم فخرا أن تكونوا من أحباب الله لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أحبّ الناس إلى الله أنفعهم للنّاس"

مقدمـــــــة

تعدّ الدولة الصنهاجية تجسيدا لمرحلة ذهبية شهد لها معظم الباحثين و المؤرخين بذلك خاصة عند حديثهم عن بلاد المغرب الإسلامي الذي عرف ثورة معرفية كبيرة أهّلتها لأن تجعل القيروان حاضرتها و عاصمة ثقافية منافسة و مشافهة لما كانت عليه بغداد –آنذاك– في المشرق ، مع العلم أنّ ذلك لم يكن ليحدث لولا التحام الإرادة السياسية الحكيمة متمثّلة في شخص المعزّ بن باديس و ابنه تميم مع خصوبة المنطقة التي جلبت مختلف الروافد الثقافية التي أدّت إلى تنوع بشري و اجتماعي لا تخطئه عين مجردة.

كما يضيف المؤرخون أنّ البلاط الصنهاجي كان عامرا برجال العلم و السياسة و الثقافة و الأدب و الشعراء الفحول المغاربة الأصليين مع عدد لابأس به ، من شعراء الأندلس و عدد بسيط من المهاجرين المشارقة إضافة إلى عدد كبير من علماء اللغة و الكتاب و النقاد ، و في هذا السياق يذكر أنّ بلاط المعزّ كان مسرحا للمعارضات النقدية التي كانت سائدة في المجالس باعتبارها نوعا من المنافسات الأدبية و النقدية ، إذ أسهمت بشكل كبير في تطوّر النقد المغاربي بعد أن كان تابعا للنقد المشرقي بكلّ ثرائه و تفاعلاته و مميزاته ، غير أنّ المغاربة تمكّنوا بمرور الزمن متسلحين بالعزيمة رغبة منهم في تحقيق الذات من ارتداء لون خاص بهم يتمّ من خلاله

معرفتهم ، و يكون مرآة عاكسة لشخصياتهم وواقعهم ، و بالفعل فقد أوجد النّقاد المغاربة لأنفسهم مكانا في عالم النقد على الرغم ممّا تعرّض له النقاد المغاربة من اتهامات بشأن إهمالهم و دفنهم فضلاءهم في قبري تراب و إهمال ، فكم فيهم من فاضل طوى ذكره عدم التنبيه فصار اسمه مهجورا كأن لم يكن شيئا مذكورا ، لكنّ هذه الجماعة لم تطّلع ربما على تلك الكتابات و الأشعار و النقود التي شكّلت مدرسة أدبية و نقدية خاصة بأولئك الذين و سمتهم نحو: عبد الكريم النهشلي و إبراهيم الحصري و أبو جعفر القزاز ، و ابن شرف القيرواني و ابن رشيق المسيلي وغيرهم ...ممّن أضاؤوا سماء القيروان بفكرهم و تاريخهم و أصالتهم و امتدادهم اللغوي و الديني الواصل بين العالمين المشرقي و المغربي اللذين لا يفصلهما سوى الجغرافيا فقط ، و لا أخفيكم سرّا أنّ شخصية ابن رشيق المثيرة للاهتمام كانت الدافع وراء اختياري لهذا الموضوع خاصة بعد تميّز كتاباته وتنوّع آرائه مشكلا بذلك نقطة تحوّل يعتبرها البعض جوهرية بالنسبة للنقد المغاربي ، فكان لزاما عليّ التحري على صدقية هذا الكلام من عدمها؟! بالإضافة إلى رغبتي الشديدة في أن أساهم في إثراء المكتبة العربية و لو بجزء يسير عبر الغوص في أعماق شخصيتين ناقدتين كابن شرف و ابن رشيق، لكنّ ماوجدته أنّ الكثير من الباحثين قد أفرد هذه الحركة النقدية بالدراسة ممّن اطّلعت على دراساتهم السابقة التي تناولت هذا الموضوع ، إذ لا ينكر أيّ عاقل ثراء النّقد المغاربي على مستوى الأعمال أو على مستوى المؤلفات ، غير أنّ

المعارضة النقدية كدراسة قائمة قائمة بذاتها نادرا مانجد شيئا من هذا القبيل ، ولكن و لله الحمد و المنّة فقد صادفت بعض المؤلفات التي ساهمت في رسم الصورة و تقريبها بالنسبة لهذا البحث نذكرها تباعا فيما يلي:

-الحركة النّقدية على أيام ابن رشيق المسيلي الصادر عام 1981 للدكتور بشير خلدون وهو بحث جامعي عرض فيه المؤلف نقاد مغاربة عاصروا ابن رشيق من أمثال عبد الكريم النهشلي والحصري والقزاز وابن شرف القيرواني، وأهم مؤلفاتهم النّقدية وكذا الآراء والقضايا التي عالجوها ومنها: موضوع الشعر والنثر، اللفظ والمعنى المطبوع والمصنوع-السّرقات الشعرية، وأنهى بحثه بخاتمة أكّد فيها أن الحركة النّقدية متكاملة واضحة المعالم والسّمات لا تقل أهمية عن تلك التي ظهرت في المشرق.

-النقد الأدبي في المغرب العربي الصادر عام 1988م للدكتور عبد العزيز قليقلة (أستاذ النقد الأدبي والبلاغة بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض) ، حيث طرح فيه المؤلف إشكالية أصالة النّقد المغربي قديما ومختلف آرائهم النقدية وقسم كتابه إلى تمهيد وفصول ثلاثة حيث خّصص الفصل الثاني لدراسة القضايا النقدية وتطورها عند النقاد المغاربة من بينهم ابن رشيق القيرواني.

-النقد الأدبي القديم في المغرب العربي للدكتور محمد مرتاض، حيث كان أستذا بجامعة تلمسان كلية الآداب و اللغات و في كتابه دراسة قضايا نقدية عدة نذكرمنها قضية مفهوم الشعر- السرقات الشعرية- قضية اللفظ و المعنى-قضية القديم و الجديد- الطبع و الصنعة – منوّها إلى نقطة مركزية ألا و هي عدم الاستعانة ببعض المصادر و المراجع الهامة التي أرجعها لظروف فوق طاقته مضيفا إليها غياب الكثير من المصنفات المتعلقة بمجالات النقد في المغرب القديم .

-النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي الصادر عام 1986م لأحمد يزن (أستاذ النقد الادبي بكلية الآداب جامعة محمد الخامس الرباط) هذا الكتاب المطبوع رسالة دبلوم الدراسات العليا نوقشت بجامعة محمد بن عبد الله بفاس في تاريخ 17 فبراير 1977، وفيها دراسة مفصلة للنقد الأدبي المغربي في العهد الصنهاجي عبر التطرق لأهم أعلامه ومؤلفاتهم النقدية تم من خلالها تقسيم البحث إلى مدخل تحدّث فيه عن الأوضاع السياسية والاجتماعية وخمسة أبواب وخاتمة قوّم فيها النقد المغاربي وفقا للموضوعية الجرأة والدقة في البحث إضافة إلى الأصالة ...أما الأبواب فخمسة لكنّ الباب الثاني والرابع وحتى الخامس هو ما أثار اهتمامنا أما:

- الباب الثاني: قام فيها بذكر أهم المصادر النقدية المغربية التي ذكرها "العمدة" وقراضة الذهب" لابن رشيق، كما تتّسم هاته المصنّفات النّقدية بالطابع النظري دون التطبيقي الباب

الرابع: النقد من خلال المصنفات الأدبية حيث ذكر المصنفات الأدبية التي وجدت في الفترة المدروسة وقام بدراستها دراسة وصفية ألا وهي: زهر الآداب للحصري، ومسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني

-الباب الخامس: أثر الحركة النقدية القيروانية في النقد العربي كما أنهى الباحث أبواب رسالته بدراسة ثنائية التأثير والتأثر بين المشرق والمغرب ومدى تأثير النقد المغربي في النقد العربي بالأندلس وصقلية.

-القضايا النقدية في كتاب مسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني مذكرة لنيل شهادة الماجستير، فازية مصباحي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012م.

-نظرية الشعر عند ابن رشيق القيرواني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي القديم للطالبة فريدة مقلاتي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009م.

ويمكن القول أنّ ما اطّلعت عليه كان حجر أساس في خلق بعض التساؤلات التي من شأنها إثراء الموضوع و المساهمة في بنائه و تماسكه ، خاصة بعد أن عرفنا أنّ المغرب العربي أنجب عددا من الأدباء و النقاد و العلماء الذين تركوا بصمتهم في عالم النقد كابن رشيق و ابن شرف القيروانيين رغم ندرة مؤلفاتهم النقدية التي عانت من الضياع ، فهل تمكّنت المعارضة النقدية

لابن شرف من غرس جذورها في عالم النقد عامة والنقد المغاربي خاصة؟ وما الأهمية التي تكتسيها هذه المعارضة مقارنة بنظيرتها المشرقية ؟ وكيف تمّ تقييم معارضة ابن شرف النقدية لابن رشيق من قبل النقاد ؟ و عمّ أثمرت ؟

انطلاقا من هذه الإشكاليات وبناء على ما توصّلنا إليه من خلال البحث وجدت أنّ معظم هذه البحوث و الدراسات ليست بحثا متكاملا اختص بالمعارضة النقدية لابن رشيق من قبل ابن شرف ،بل شذرات من هنا وهناك حتى اكتملت الصورة كما هي عليه الآن، معتمدين في ذلك على استقراء مختلف التراجم المغربية المتعلقة بالفترة الزمنية محلّ الدراسة في مختلف كتب الطبقات والسير و التاريخ مثل كتاب طبقات علماء إفريقية وطبقات علماء تونس لأبي العرب، والبيان المغرب لابن عذارى المراكشي، وغيرها مستنبطة معطيات نقدية تأتي بعد المناقشة والتحليل في بعض الأحيان كعرض أهم القضايا النقدية والآراء التي كتبها ابن رشيق وابن شرف حول القديم و الجديد ، الطبع والصنعة ،السرقات الشعرية إضافة إلى تتبع المراحل التاريخية للأوضاع السائدة آنذاك، سياسية، اجتماعية ،اقتصادية ،ثقافية ،و كذا أدبية مدعمة ذلك بالمنهج التحليلي الذي ارتأيته مناسبا في طرح الأحكام النقدية المختلفة لبعض النقاد حول شخصية ابن رشيق عمّا إذا كان ناقدا أم راوية نقديّ إضافة إلى المنهج المقارن الذي ساعدني في إبراز التوافق و الاختلاف الحاصل بين ابن شرف وابن رشيق انطلاقا من عقد موازنة بينهما ،

وهذا ما كان سيحدث لولا أن اهتديت ـــ بعون الله ـــ إلى خطّة مكّنتني من ترتيب بنات أفكاري وفقا لطبيعة الموضوع و حساسيته ،فتضمّنت مدخلا وأربعة فصول فضلا عن مقدمة و خاتمة أمّا:

-**المدخل**: عرّفت فيه بالحركة النقدية المغاربية ومكانتها بين الامتداد المشرقي والاستقلالية المغاربية.

-**الفصل الأول**: حاولت عرض تجليات المعارضة النقدية في الخطاب النقدي المغاربي انطلاقا من توضيح بعض العناصر وضعتها على شكل مباحث

-**أولها**: مفهوم المعارضة ودلالاتها اللغوية والاصطلاحية ثم علاقتها بمصطلحات نقدية كالحجاج -الحوار-البرهان والجدال.

-**ثانيها**: أهمية المعارضة النّقدية في صناعة الآراء النقدية استنادا لما ذكرته من أنواع المعارضة والأسس والمعايير الخاصة بالنقد الأدبي.

-**ثالثها**: أبرزت فيها دور المعارضة في تطور الخطاب النّقدي الذي تجلى عبر المفاهيم والمصطلحات النّقدية.

-**الفصل الثاني**: فكّرت في أن أعرض التّصور النّقدي لابن رشيق بناء على رؤيته النّقدية من خلال مؤلفاته متحريّة مدى فاعليتها في تطور الفكر النقدي المغاربي حول أبرز القضايا النّقدية نحو: اللّفظ والمعنى – الطبع و الصّنعة- السّرقات الشّعرية.

-**الفصل الثالث**: ارتأيت وضعه في مبحثين اثنين لاستجلاء معارضة ابن شرف النقدية لابن رشيق بين التذوق والتفوق أمّا :

-**المبحث الأول**: لامست فيه جانبا من شخصية ابن شرف بذكري بعض الدوافع والخلفيات في معارضته النقدية لابن رشيق.

-**المبحث الثاني**: أوردت فيه أحكام ابن رشيق النّقدية حول الآراء النّقدية لابن رشيق في بعض القضايا كاللفظ والمعنى، الطبع والصنعة ، السرقات الشعرية.

-**الفصل الرابع**: تضمّن موازنة بين ابن شرف وابن رشيق بناء على آرائهما النقدية حول نفس القضايا التي تعرّضا لها إضافة إلى النهج الأسلوبي لكل منهما.

ثمّ خاتمة أجملت فيها ما فصّلت مقترحة متابعة العمل في حقل النقد المغربي سواء من جانبي أو جانب غيري، ذلك أن البحث لا يخلو من نواقص أفرزتها بعض الصعوبات، فللأمانة لم يكن الأمر هيّنا بالنسبة لي، فقد عانيت في جمع المادة نظرا للصعوبة المتمثّلة في ايجاد التراثيات خاصة

كتاب "مسائل الانتقاد" موضوع الدراسة، ثم قلّة المراجع التي تعرّضت للنقد المغاربي، لذا بإمكاني القول أن بحثي المتواضع لم ينجز في ظروف كلّها يسر ورخاء، غير أنّي لم أعدم الوسيلة، فكانت الشبكة العنكبوتية خير مسعف لي في أغلب الأحيان على تحقيق ما أصبو إليه من أهداف سطّرتها بالعودة إلى ما طرحته من تساؤلات و دوافع جعلتني أفكّر مليّا فيها فوجدتها تتلخص فيما يلي:

-محاولة بيان ما في هذه المعارضة من مزايا قويمة وهنات ذميمة

-التّشديد على أهمية المعارضة النقدية ودورها الكبير في إحياء التّراث الأدبي والنّقدي والحضاري في بلاد المغرب العربي.

-الحرص على استقامة مذاهب الطلّاب والدّارسين والسّعي لتقديم ما يعنيهم ويرشدهم على تحرّي الدّقة في مباحثهم.

-ضرورة تقدير العلماء والأدباء والنقاد وتخليد ذكراهم انطلاقا من إعادة القراءة للتراث الأدبي والنّقدي قراءة واعية من جانب المعاصرين عسى أن يضيفوا إلى التّراث النّقدي ما يهذّبه أو يكمّله.

وفي الأخير أودّ شكر كلّ من أستاذيّ المشرفين ـــ أ.د. بلحسين سليمان ـــ أ.د زروقي عبد القادرـــ على ما قدّماه لي من نصائح كانت خير عون لي في تذليل تلك المشاق التي واجهتني – بفضل الله – فجزاهما الله عنّا كل خير.

سمية بلقاسم

تيارت في 2022/12/05م

المدخـــل

الحركة النّقدية المغاربيّة بين الامتداد المشرقي والاستقلالية المغاربية

بادئ ذي بدء إذا أردنا الكلام عن الحركة النقدية المغاربية وأثر الامتداد المشرقي لابدّ من الإشارة إلى الحياة العامة الموجودة -آنذاك- والمتمثلة أساسا في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية "لأنها عبارة عن كلّ متكامل"، لذا حريّ بنا التّطرق في دراستنا إلى المغرب العربي كقطعة واحدة ،لكننا سنعتمد الاختصار فيما نصبو إليه فـ "بالنسبة لأهم الدويلات التي حكمت بلاد المغرب تابعة للخليفة وكان أمرها بيد القائد الفاتح"[1] حتى ظهرت الخلافة الأموية ومن بعدها الخلافة العباسية مع ضرورة وجود دويلات في شكل إمارات أو ولايات تابعة للخليفة في دمشق أو بغداد اسميا، لكن الملاحظ أنها كانت مستقلة فيما يتعلق بسياستها الداخلية التي تخشى أن تنازعها فيه دويلة أخرى كانت تظهر من حين لآخر، فتجد نفسها في صراع لابد منه وفي نفس الصدد تحدث الكثيرون عن أصالة بلاد المغرب وكثرة تنوعها وتأثرها بمختلف الحضارات التي تعاقبت عليها[2] كما هي الحال مع "الدولة الفاطمية التي حكمت المغرب العربي الكبير 296هـ-362 هـ ثم الصنهاجية بفرعيها: بني زيري في المغرب الأدنى 362هـ-543هـ وبني حماد في المغرب الأوسط 404 هـ-547هـ، وأخيرا المرابطين في المغرب الأقصى 440هـ-542هـ"[3].

[1] – من أمثال عبد الله بن الزبير، عقبة بن نافع، موسى بن نصير، وحسان بن النعمان وغيرهم.

[2] – ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 17.

[3] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي،ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1988، ص 36.

إذن، يمكن اختصار هذه الأوضاع في ضعف الدولتين الأموية و العبّاسية، ثم توالت الانقسامات لتمهّد لظهور الدويلات فمطالبة بالاستقلال ثم نشوب حرب ومنازعات بينها لتشهد بعض الدّويلات ازدهارا وبعضها الآخر اندثارا ،فهو إذن صراع البقاء الذي لا يبقي و لا يذر .

وممّا يلفت الانتباه أنّ العلم والأدب قد ازدهر على امتداد هذه الرقعة في هذا الزمان ربّما لأنّ الفاطميين والصنهاجيين والمرابطين حسب بعض النقاد، كانوا جادّين في نشر مذهبهم وترسيخ حكمهم[1]، ومن هذا المنطلق "كان إغراقهم على العلماء والأدباء وتشجيعهم، ولقد اصطنع الخلفاء الفاطميون .

-الفضل بن نصر المعروف بابن الرايس ت 344هـ.

-أبا القاسم القزازي ت 345هـ.

-ابن هانئ الأندلسي ت 363هـ.

-علي محمـــد الأيادي ت 365هـ.

وغيرهم باعتبارهم صحفا سياسية تؤيّد دولتهم وتنشر دعوتهم"[2]، كما اصطنع الصنهاجيون كثير بن أبي اسحاق الحصري القيرواني ت 419ه وإبراهيم ابن القاسم بالكاتب الرقيق القيرواني ت 425

[1] – ينظر: بشير خلدون ،الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 36.

[2] – ينظر حسن حسني عبد الوهاب ،الأدب المجمل في تاريخ الأدب التونسي، دار الكتاب الجديد ، ط1 ، بيروت ، لبنان 1983 ،ص 83-101 .

ه،وعبد العزيز ابن خلدون الحروري ت 430هـ ،وأبي الفضل محمـــد ابن عبد الواحد الدرامي البغدادي ت 454 هـ ،وابن رشيق ت 456 هـ ،وابن شرف ت 460 هـ، وعلي بن يوسف التونسي، وبعلي بن براهيم الأركشي ،وأبي حفص عمر بن فلفول ،وعلي ابن زيتون ،ويوسف بن المبارك، وابن قاضي مسيلة، وابن أبي المليح الطيب ،وابن حمد يس الصقلي والقرشي وغيرهم[1]، وقد اشتهرت مراكز ثقافية كثيرة كانت مغمورة كتيهرت التي بناها عبد الرّحمان بن رستم سنة 148هـ غربي المدينة الرومانية الحالية تيارت واتخذها عاصمة له وقد ظلت كذلك إلى انهيار الدولة الرستمية سنة2ه[2].

والجدير بالملاحظة أنه في عهد الصنهاجيين تطور النّثر الفني تطورا عظيما من حيث أسلوبه وأفكاره وموضوعاته ،وعلت منزلة أصحابه حتى كان ابن أبي الرجال الرجل الأول في البلاط الصنهاجي الذي جمعته علاقة صداقة وطيدة بابن رشيق[3]، حيث "كان ابن رشيق معجبا بأبي الحسن علي بن أبي الرجال ومشدودا إليه إلى حدّ الافتتان به، كان يحبه ويراه المثل الأعلى للرجل العالم الأديب ذي الجاه، ويبدو أن هذا الشعور من جانب ابن رشيق قد وجد منفذا له إلى عقل أبي الحسن

[1] – ينظر ابن عذارى،المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تح : ج.س. كولان وإ.ليفي بروفنسال ،ج1، دار الكتب العلمية ،بيروت ـــ لبنان ـــ ص 267 .

[2] – مؤلف مراكشي مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر و توزيع سعد زغلول عبد الحميد ،ص 178.

[3] – ينظر: عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 43-161.

وقلبه فتجاوب معه وصار صديقا له وترجم ابن رشيق لأبي الحسن بأن أهدى إليه كتابا "العمدة" في أول الكتاب وآخره"[1].

ولا يفوتنا أن ننّوه إلى أن النقد الأدبي قد بلغ أوجا من الازدهار فانتشر بذلك أبرز رجاله كالنّهشلي وابن رشيق وابن شرف ناهيك عن البديع الذي راج استعماله وتركت الألفاظ الوحشية جريا مع تيار الحضارة مما أثر بطبيعة الحال في القوالب الشعرية وفي الصياغة الأدبية بصفة عامة[2]،ففي عهد المرابطين بلغ المغرب الأقصى مرحلة متقدّمة على مستوى الأدب نتيجة الاحتكاك الذي حصل بين الأندلسيين والمغاربة،ذلك أنّ المغرب صار المهجر بالنسبة للأندلسيين في هذا العصر كما كانت الأندلس هي المهجر لمن لم يساعده الحال آنذاك من أبناء المغرب في العصر السابق نظرا للأوضاع السياسية غير المستقرة هناك.

وجدير بالذكر أنّ أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين حينما بنى مدينة مراكش سنة 455هـ صارت مهوى أفئدة المثقفين ومطمع أنظار المتأدبين، يقول ابن عذارى في المغرب: وانقطع إلى أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحولة حتى أشبهت حضرة بني العباس في

[1] – المرجع نفسه، ص 161.

[2] –ينظر: عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي43

صدر دولتهم واجتمع له ولابنه من بعده من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار"[1].

وعليه يمكن القول أنه بصرف النظر عن النّزاعات السياسية التي حصلت في بلاد المغرب إلّا أنّ جميعها تشترك في شيء واحد ألا وهو تشجيع العلم والعلماء بغض النّظر عن مقصدهم من وراء ذلك.

ب–العلمية:

من الثابت "أنّ الحركة النّقدية في بلاد المغرب لها ارتباط قوي ومتين بالحركة النّقدية التي ظهرت في المشرق منذ نشأتها حتى عصر ابن رشيق"[2]، فقد استفاد المغاربة من إخوانهم المشارقة صفات لا نستطيع القول بأنها غريبة عنهم هي اللّغة والدين إضافة إلى ما يملكونه من مكارم الأخلاق والعدل والمساواة وفصاحة اللسان والشجاعة وحماية العشيرة والجار والمظلوم، وهذا ينمّ عن شخصية مغاربية متميزة تتشارك ونظيرتها المشرقية العديد من الأشياء خاصة بعد انتشار الإسلام وما جرى بعد ذلك من فتوحات ونزاعات سياسية تنشد الحكم[3]، غير أن تلك الأشياء المشتركة بينهما لم تمنع وجود اختلافات تتعلق بالساحة النقدية بالأخص ما أثارته الحركة النقدية من قضايا أدبية صارت فيما بعد

[1] – المرجع نفسه، ص 41.

[2] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 35.

[3] – المرجع نفسه، ص 17.

مسائل نقدية واضحة المعالم والدلالات، وانتهى بها المطاف إلى مصطلحات نقدية كانت هي الأخرى ميدانا لاختلاف النقاد حول تحديد مفهومها[1].

وفي هذا الإطار نورد أهم المؤلفات والتصانيف التي ظهرت في ميدان النقد منذ محمـــد ابن سلام الجمحي إلى ابن رشيق، وهي أهمّ المؤلفات التي اعتمد معظم النقاد حتى المغاربة منهم، وأول من يطالعنا من هؤلاء النقاد المشهورين هو:

محمـــد بن سلام الجمحي[2] (139-232) الذي طلع علينا في هذه الفترة المبكرة بكتابه القيّم "طبقات فحول الشعراء" ،وقدّم له بمقدمة تعتبر أهمّ ما في الكتاب طرح فيها مجموعة من النظريات والقضايا النقدية، ولعلّ قضية انتحال الشعر من أخطر القضايا التي استطاع ابن سلام أن يتفطّن لها ويطرحها بجد وموضوعية[3] ثم يأتي عبد الله بن مسلم بن قتيبة[4] وكتابه "الشعر والشعراء"، وقد شهد النقد على يديه مرحلة جديدة، عندما تحدّث عن موضوع الشعر من حيث هو فنّ له قضايا ومسائل كان قد طرحها النقاد قبله وعليه أن يعيد صياغتها ويطرحها من جديد وفق رؤيته الجديدة وتفكيره

[1] – المرجع نفسه، ص 35.

[2] – لغوي وأديب بصري ولد سنة 139هـــ، توفي سنة 232هـــ ببغداد، روى عند الإمام أحمد بن حنبل وأبو العباس ثعلب، يقال ابيضت لحيته ورأسه ولد سبع وعشرون سنة، من مؤلفاته "طبقات الشعراء" و"غريب القرآن".(ياقوت الحموي، معجم الأدباء ،إعداد : أحمد شمس الدين ، ج6، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ـــ 2014 م، ص 344ـــ 345) .

[3] – ينظر: بشير خلدون ،الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 40.

[4] – ولد بالكوفة سنة 213هـــ، تبحر في علوم اللغة والنحو، والحديث والتفسير من مؤلفاته، "عيون الأخبار"، و"عيون الشعر" و"أدب الكاتب" و"كتاب المعارف"، توفي سنة 276هـــ (ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ،ج1،مكتبة النهضة المصرية ـــ القاهرة ـــ ص314).

الذي ترعرع في أحضان القرن 3هـ كموضوع الشعر وقضايا اللفظ والمعنى والقديم والجديد، والمطبوع والمتكلف ويأتي بعده أحمد بن يحي بن ثعلب[1] (200هـ-290هـ) بكتابه "قواعد الشعر"، عالج فيه أنواع الكلام عموما وقسمه إلى أمر ونهي وخبر واستخبار وهذه الأنواع تتفرع إلى المدح والهجاء والرثاء والاعتذار والتشبيب وحكاية الأخبار، ويضرب على ذلك الأمثلة ويورد مجموعة كبيرة من الشواهد على التعبيرات الصائبة

أو المعيبة كالتشبيه الخارج عن التّعدي والتّقصير، والإفراط في الإغراق ولطافة المعنى، والاستعارة وحسن الخروج"[2] ، وعبد الله بن المعتز[3] وكتابه "البديع" و"طبقات الشعراء المحدثين"، وقد شهدت الحركة النقدية على بداية تطور آخر وبخاصّة من النّواحي الجمالية التي استقلت فيما بعد بعلم جديد هو "فنّ البديع".

هؤلاء النقاد الأربعة ظهروا في القرن 3هـ أما في القرن 4 هـ فقد ظهر عدد كبير من النقاد، درجوا على منوال النقاد الذين تقدموهم من أمثال:

[1] – إمام الكوفيين في اللغة والنحو والحديث، أخذ العلم على أئمة اللغة من مثل ابن الأعرابي، وابن حبيب، وكانت بينه وبين الميرد أمام البصريين منافسات كبيرة، من مؤلفاته: "كتاب الفصيح"، و"مجالس ثعلب"، (ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مؤ لف مجهول ، ج5 ،دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، ص105 .

[2] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص40.

[3] – عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، ولد سنة 274هـ وقتل سنة 296هـ، تولى الخلافة يوما واحدا، كان شاعرا بديعيا، وألف عدة كتب منها: كتاب البديع، كتاب الزهد والرياض، وكتاب أشعار الملوك (أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،مؤلف مجهول ، ج9 ، دار الكتب المصرية ـــ القاهرة ـــ 1936 ، ص140).

-أبو الحسن محمـــد بن أحمد بن طباطبا[1] وكتابه "عيار الشعر" الذي تميز بطابعه الخاص، فقد اقتصر فيه صاحبه على صناعة الشعر وما يتصل به من قضايا اللفظ والمعنى وضروب التشبيهات، وغير ذلك من أنواع الصور البيانية.

-قدامة بن جعفر[2] وكتابه "نقد الشعر" وقد اعتبر النقاد المحدثون كتابه هذا بمثابة محاولة جادة في دراسة الشعر عن طريق العقل عندما حاول مؤلفه أن يطبق عليه المقاييس المنطقية الجدلية"[3].

-أبو بكر الصولي[4] وكتاباه "أخبار أبي تمام" و"أخبار البحتر" في تعصب واضح منه لأبي تمام على حساب البحتري.

-الحسن بن بشر الآمدي[5] وكتابه "الموازنة بين الطائيين" وهما أبو تمام والبحتري، وهو أحسن ما كتب في الموازنة بين هذين الشاعرين الذين كثر الحديث فيهما وعنهما.

[1] – يرجع نسبه إلى علي بن أبي طالب، نشأ بأصبهان، وأخذ العلم والأدب عن مشايخها ألف عدة كتب في الأدب والشعر، والنقد توفي سنة 322، (ياقوت الحموي: معجم الأدباء: 143/17).

[2] – كاتب وناقد وأديب مشهور، من مؤلفاته "كتاب الخراج" و"جواهر الألفاظ"، توفي سنة 337هـ (ياقوت الحموي: معجم الأدباء: 12/17).

[3] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 41.

[4] – هو محمـــد بن يحي بن عبد الله بن العباس بن محمـــد الصولي، نشأ في بغداد وتعلم فيها، فهو كاتب وأديب، له مصنفات كثيرة في الأدب والشعر والأخبار توفي سنة 335هـ (ياقوت الحموي: معجم الأدباء: 109/19).

[5] – من علماء البصرة وأدبائها المشهورين، ألف عددا كبيرا من الكتب الأدبية والنقدية من بينها : "المؤتلف والمختلف" و"كتاب نشر المنظوم" وكتاب تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهلين"، (المصدر نفسه: 87/8).

-القاضي عبد العزيز الجرجاني[1] (290هـ-392هـ) وكتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه، عرض فيه للأصول الأدبية التي عرفت في عصره وملل أشعار القدماء والمحدثين، وأورد كثيرا من محاسنهم وعيوبهم، وأبان ما شاع فيها من تعقيد، وغموض وأخذ وسرقة واستعارة حسنة أو رديئة، ثم عرض للبيئة وأثرها في الشعر والبداوة، وما تحدثه من جفوة في الطباع ثم عرض بعد ذلك لخصوم المتنبي وأنصاره ومعانيه.

وجملة القول أنّ النقاد المشارقة كان لمؤلفاتهم وتصانيفهم الأثر الكبير في تشكيل شخصية النقاد المغاربة ومن أبرز هؤلاء النقاد الذين تجاوزت شهرتهم الآفاق بفضل أشعارهم وتآليفهم الأدبية والنقدية هم[2]:

-ابراهيم بن علي بن تميم الحصري، وكان أديبا لغويا وشاعرا وناقدا اشتهر بتصانيفه العديدة لكن "كتاب زهر الآداب وثمر الألباب" أشهرها.

-أبو عبد الله محمـــد بن جعفر القزاز، وكان هو الآخر لغويا بارعا وشاعرا مطبوعا بالصنعة وعلى قدر لا بأس به من النقد، اشتهر بكتابه "الضرائر الشعرية" الذي عالج فيه قضايا لغوية لها اتصال بالنقد.

[1] – أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المشهور بالقاضي، واشتهر بالفقه وعلوم اللغة والتاريخ، وكان إلى جانب ذلك شاعرا متقنا وكاتبا مسترسلا، وتولى مناصب إدارية، ألف العديد من الكتب منها: "تفسير القرآن الكريم" و"تهذيب التاريخ": (م. ن: 14/14 وما بعدها).

[2] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 25.

-عبد الكريم النهشلي، شيخ ابن رشيق، وكاتب المعز بن باديس، وكان أديبا ذواقة وشاعرا مجيدا وناقدا فذا، اشتهر بكتابه "الممتع في علم الشعر وعروضه "الذي أفاد منه ابن رشيق فيما بعد وبخاصة عندما ألف كتابه العمدة.

-أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي المعروف بالقيرواني، وقد كان من أشهر شعراء عصره وأدبائهم، تفوق في النقد خاصة وألف فيه كتبا كثيرة ومن أهمها كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" و"قراضة الذهب" في نقد أشعار العرب"، و"أنموذج الزّمان في شعراء القيروان".

-أبو عبد الله محمـــد النهشلي وابن شرف واشتهر برسالته مقامة عن الشّعراء، وبملاحظاته الشعرية مع منافسه ابن رشيق الذي لا يخفى على أحد المساجلات التي كانت بينهما، إذن كانت هذه الشخصيات الأبرز في عهد الصنهاجيين الذين تعد فترتهم الزمنية من أزهى الفترات أدبا ولغة وثقافة[1].

لذا فإنه من الأجدر الوقوف عند كل من ابن رشيق القيرواني، وابن شرف القيرواني، فكما هو معلوم لدى معظم النقاد والأدباء أنه كانت بينهما وقائع ومجريات رغم كونهما أديبا بلاد المغرب وشاعراها، وفي السياق نفسه نذكر حادثة وقعت بينهما حينما مر يوما ابن شرف وبيده كتاب ونشير هنا إلى أن ابن شرف كان يعاني عيبا خلقيا وهو العور، فقال ابن رشيق: ما في كتابك؟! قال:

[1] - ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 25.

الدريدية يعرف يقول ابن دريد فيها: والعبد لا يردعه العصا: يشير إلى أنه أصولي، فأنشد ابن رشيق قائلا:

أما أبي فرشيق لست أنكره قل لي أبوك وصور من الخشب[1].

وقد ألف ابن رشيق مجموعة لا بأس بها في اللغة والأدب والنقد نالت اهتمام الكثير من الأدباء والنقاد غير أننا سنحاول التطرق إلى ترجمته أولا كي يتسنى لنا معرفة حياته قبل التعرض لمؤلفاته التي خلفها وآراء بعض النقاد حوله.

1-ترجمته:

هو أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي نسبة إلى المسيلة التي ولد بها سنة 390هـ، القيرواني نسبة إلى مدينة القيروان التي هاجر إليها سنة 406هـ طلبا للعلم ،وطموحا إلى العظمة وكان له ما أراد بفضل الحركة العلمية النّشيطة في القيروان وما كانت تحفل به من رجالات العلم والأدب وأندية الدراسة والبحث يتصدّرها رجال من أمثال أبي إسحاق الحصري وعبد الكريم النّهشلي ومحمد جعفر القزاز وعبد العزيز الخشن الضّرير ... لكنه فضل أبو الحسن علي بن أبي الرّجال العالم[2]

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 105.

[2] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي،ص ص 141، 142.

الفلكي الشهير، ومن أشراف تيهرت، كان كافلا للمعز بن باديس قبل ولايته ثم وزر له الملك، وكانت له منزلة سياسية ونفوذه في بلاطه فتقرب إليه العلماء والأدباء، وكان ذا بصر[1] بالأدب والنّقد فقد أعجب بابن رشيق وألحقه ببلاط المعز وقد لزم ابن رشيق هذا البلاط إلى أن انهار بالهجمة الهلالية سنة 449 هـ على القيروان، فخرج المعز إلى المهدية وصحبه ابن رشيق إليها ثم فارقه إلى صقلية حيث وافته المنية ليلة السبت غرة ذي القعدة 456هـ بمازر[2]

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي،ص ص 141، 142

[2] – ذهب بعض المؤرخين إلى أن ذلك كان 463 هـ وقد رجعنا القول الأول لكثرة القائلين وأنظر الحضارة الإسلامية في ق 4 هـ تآليف آدم مترجمة "محمـد أبو ريدة"، المجلد الأول، ط4 ،1967ه ،ص 485.

2ـــ مؤلفاتـــــه:

لقد ألف ابن رشيق مجموعة كبيرة من الكتب الأدبية والنّقدية واللغوية نذكر منها :"قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" وكتاب "الشّذوذ في اللّغة" وكتاب متّفق التّصحيف ... ورشيق بفتح الراء وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثنّاه من تحتها وبعدها قاف[1] وكتاب "انموذج الزّمان في شعراء القيروان" وكتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" الذي يعدّه النقاد أفضل تصانيفه وذلك "لما حفل به من عرض حيادي للآراء المتضاربة للمرحلة شبه الأخيرة للوقوف في وجه الثقافة الجديدة بكل تياراتها ويشكل امتدادا لنتاج القرن الرابع الهجري النّقدي الذي رأى مدرسة أبي تمام الشعرية مدرسة في الصّنعة والتّكلّف لا ولادة جديدة من بين الولادات التي أنتجها البيان القرآني"[2]، وفي هذا الإطار "نخلص من المقدّمة والخاتمة إلى الكتاب نفسه وهو سبعة ومائة باب موزّعة على جزأين مكوّنين من خمسين وستمائة صفحة".[3]

وتجدر الإشارة إلى أن مقدمة كتاب العمدة وخاتمته خصّها بصاحبه أبي الحسن علي بن أبي الرجال في دلالة واضحة، على عمق العلاقة التي تجمعهما فكان من الطبيعي أن يرفعه إليه وأن يهديه

[1] – ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1970، 2/85-87.

[2] –علي مهدي زيتون ، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، دار المشرق، بيروت، ط2، 2009، ص 412.

[3] – عبد العزيز قلقيلة ،النقد الأدبي في المغرب العربي ، ص 160.

له وقد فعل ذلك في أول الكتاب وآخره[1] مع العلم أن ابن رشيق كان شاعرا "قال في مختلف الأغراض الشعرية وخلق ديوان شعر جمع منه د. ع. ياغي مجموعة كبيرة طبعها في ديوان لابن رشيق[2]: ومن شعره:

وقائلة ماذا الشّحوب وذا الضّنى

فقلت لها قول المتشوّق المتيّم.

هواك آتاني وهو ضيّق

فأطعمته لحمي وسقيته دمي[3].

هذا عدا عن الكتب الكثيرة التي ألفها ابن رشيق وذكر الصّفدي أنه قرأها جميعها لكن للأسف ضاعت أغلبها[4] و لم يبق منها إلا ما ذكر آنفا.

ـــ آراء بعض النّقاد في ابن رشيق:

1ـــ قال ابن فضل الله العمري وهو يذكر شعراء المغاربة:-ومنهم أبو علي بن رشيق المسيلي، لو رام البحر مجاراته لقصرت به أطماعه[1].

[1] -عبد العزيز قلقيلة ،النقد الأدبي في المغرب العربي ، ص 161.

[2] -بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 105.

[3] - المرجع السابق ، ص 144.

[4] - المرجع نفسه، ص .ن.

2 ــ قال ابن خلكان: أحد الأفاضل البلغاء له التصانيف المليحة منها كتاب العمدة والأنموذج وقراضة الذهب والشذوذ ...[2].

3ــيقول الصّفدي: وقد وقعت على هذه المصنّفات جميعها فوجدتها تدل على تبحّره في الأدب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن وتبحّره في النّقد[3].

4ــ وقال القفطي: الحسن ابن رشيق القيرواني الفاضل الأديب جليل القدر، قرأ الأدب بالمحمدية وقال الشّعر قبل أن يبلغ الحلم واشتاقت نفسه إلى التّزيد من ذلك وملاقاة أهل الأدب فرحل إلى القيروان وعمره ستة عشر سنة[4].

وخلاصة القول أن ما ورد من ترجمة وتصانيف ومؤلفات وأشعار ناهيك عن مقتطفات لبعض النّقاد لا تدلّ إلا على أهميّة ابن رشيق ووزنه في عالم النّقد خاصة النّقد المغاربي الذي شكّل ابن رشيق أهم بصمة ميّزته عن بقيّة النّقاد ،لكن هذا لم يمنع ابن شرف القيرواني ممارسة عملية النّقد على أهم كتاب بالنسبة له ولنا "العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده"، وحتى تتضح الأمور من زاوية أخرى حريّ بنا التّطرق إلى سيرة هذا الأخير –ابن شرف القيرواني.

---

[1] – ابن فضل الله العمري ،مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح : كامل سلمان الجبوري ،ج11، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان2010م وأنظر: ميخائيل أمارى ، المكتبة العربية الصقلية، مكتبة المتنبي ــ بغداد ــ 1857 ،ص 649.

[2] – ابن خلكان ،وفيات الأعيان، ج2، ص 85 وأنظر م. ن، ص 653.

[3] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده، مطبعة السعادة، ج2، ط2، القاهرة، 1955م، ص 12.

[4] – جمال الدين القفطي، إنباه النحاة على أنباه النحاة، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص 277.

ب ــ ترجمته:

هو أبو عبد الله محمـــد بن سعيد بن أحمد بن شرف الجدامي القيرواني ولد بالقيروان في أواخر القرن الرابع الهجري في الفترة التي شهدت فيها رقيّا لا نظير له في بلاد المغرب من حيث المعارف والعلوم والفنون، أخذ العلم عن أفاضل العلم و عن أفاضل الشّيوخ العلماء أمثال القزاز وأبي الحسن القاسي والحصري، كما أنه برز في قول الشعر الذي كان سببا في إلحاقه بالمعز بن باديس الصنهاجي فاحتك بذلك بنخبة من الشّعراء والكتّاب والأدباء وعلى رأسهم ابن رشيق المسيلي الذي وقعت بينه وبين ابن شرف مساجلات ومباريات كانت تجرى في حضرة المعز ابن باديس.

ارتحل ابن شرف مع صديقه ابن رشيق إلى المهدية على إثر مكتبة القيروان ومنها إلى صقلية ثم الأندلس حيث قضى بقيّة حياته يتردد على ملوك طوائفها حتى وافته المنيّة سنة 460هـــ[1].

ب ــ مؤلّفاته:

لقد ترك ابن شرف القيرواني مجموعة من التّآليف والقصائد الشّعرية و لم ينج منها غير كتابه "أعلام الكلام" الذي يعتبر أحد المحاولات النّقدية التي قام بها ابن شرف للرّد على ابن رشيق حول مجموعة من القضايا النّقدية التي تعرّض لها وما تزال جهود الباحثين متواصلة للعثور على بقية إنتاجه

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 133.

الذي يرجع وجوده في المكتبات الخاصّة[1]، وفي استفاضة بخصوص كتاب "أعلام الكلام" نورد ما جاء عنه :"مقدمة ومقامتين ومختارات شعرية، وهو يشغل في رسائل البلغاء من 241 إلى الصفحة 269 أما طبعة الخانجي فتقع 55 صفحة.

ولا يفوتنا أن ننوّه أنه على الرّغم من أنّ المقدمة لا تشغل إلاّ صفحة وبعض الصّفحة إلا أنها أوسع من المقامتين في المعنى، أقصد أن فحواها يدلّ على أنّها مقدمة لكتاب ضاع معظمه وليس هذا محض استنتاج، إنما هو إلى ذلك دلالة نصية"[2].

وتماشيا مع ما تمّ ذكره أبدى أحد النّقاد رأيه في كتاب ابن شرف معتبرا إياه مجرّد "مقامة جمع فيها أشتاتا من الحكم والمواعظ والأمثال والحكايات وعددا من القصائد القصيرة، نقل ابن بسام منها فصولا عديدة لكنها بعيدة عن ميدان النقد"[3] ، ربما لأنه أشار إلى كتب "كليلة ودمنة" لابن المقفع، و"النمر الثعلب" لسهل بن هارون و"مقامات بديع الزمان الهمذاني" ويقول "فأمّت من هذا النّحو عشرين حديثا أرجو أن يتبين فضلها ولا تقتصر عما قبلها، عشرين حديثا أي عشرين مقامة ضاع منها تسعة أعشارها، ولو أنّها وصلتنا لزاد الكتاب عن مائتي صفحة، ويظهر أنها كانت رسائل انتقادية لأكثر من ناحية وبلغة سهلة وكانت مطرّزة بالأمثال والحكم —حسب بعض النّقاد– وجارية

[1] – ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ، ص 151.

[2] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 221.

[3] – المرجع نفسه، ص.ن.

على لسان أبي الريّان الذي لا يعرف أحد سواه أهو شخصية واقعية أم خيالية، لكن الأمر المؤكّد أنه قد استعان بأنواع من الطيور والحيوان في بيان وجهة نظره أو في انتقاد ما لا يعجبه من ناحية: لأنه –حسب رأي الدكتور عبد العزيز قلقيلة– "إذا كانت المقامتان الموجودة بين أيدينا تشبهان مقامات بديع الزمان فليس بينهما وبين كليلة ودمنة –مثلا– أي شبه"[1].

إذ نجد أن ابن شرف في المقامة الأولى يجاري صاحبه أبو الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم وإسلامهم واستكشفه عن مذهبه فيهم ومذاهب طبقته في قديمهم ومحدثهم،فاستهلّ ابن شرف ذلك بتحديد أسماء المشهورين منهم و لم يزد أبو الريان على ذلك، غير أن وضعه بطاقة تعريف لكل شاعر يبرز فيها خصائصه وأهم ما اشتهر به،كان لافتا للانتباه خاصة حرصه على أن يتم ذلك في تركيز شديد لدرجة أن بعضها جاء في سطر والبعض الآخر في نصف سطر.

وجدير بالذكر أن هذه المقامة وقعت في تسع صفحات وقد تكلم فيها المؤلف على الوجه الآتي[2]:

-بطاقات هي إلى تاريخ الأدب أقرب منها إلى النّقد الأدبي.

-بطاقات عبارة عن نقد أدبي غير المعلّل.

-بطاقات هي مزيح من تاريخ الأدب والنقد الأدبي غي المعلل.

-بطاقات فيها أكثر من شاعر وقد تحدث عمّن فيها.

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي ، ص 222.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 223.

-بطاقات التعريف فيها بالشاعر غير فني.

-بطاقات يمكن أن تضرب مثلا للسّجع المعطل عن الاسترسال في كلام علمي أولى به أن تراعى معانيه قبل أي شيء آخر[1].

ولعله من المفيد أن نؤكد على أن المقامة لم تخل من بعض المقاييس النّقدية، التي ارتأى ابن شرف تصنيفها إلى مقاييس جودة ومقاييس رداءة[2]، معبّرا بتصرفه هذا عن نوع من الإدراك اللاشعوري تجاه العملية النّقدية التي تصبح عديمة النفع إن لم تقترن بمقاييس كالتي أوردها النّاقد نذكر منها:

حسن التّصوير واختراع المعاني، الطّبع والتّكلف، ومتانة المبنى والمعاني الجزلة والمعاني المخترعة في إشارة واضحة تنم عن إلمامه بثقافة عصره ذو علم بما يدور من محاورات أدبية ومباريات نقدية محورها الشعر والشعراء"[3].

أمّا المقالة الثانية: فتعد من صميم النقد الأدبي ذلك أنه تعرض لعدة قضايا نقدية ركز فيها على امتلاك الناقد شرطان أساسيان هما: الموهبة والاكتساب حتى يكون الإنسان ناقدا بمعنى الكلمة، ودعا ابن شرف إلى تجنب النّقد الوهلي الذي يتّسم بالتّسرع في إطلاق الأحكام النّقدية ،حيث أن الأصل في النّقد هو التّأني والتّمعّن في النّظر وإعمال الفكر كي تكون أحكامه النّقدية في محلّها بالإضافة إلى

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي ، ص 225.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 226.

[3] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 164، 165.

رأيه الواضح والصّريح بخصوص قضيّة اللّفظ والمعنى فيقول :"إن التّقصير في اللّفظ محتمل، أمّا التّقصير في المعنى فليس بوارد ولا محتمل"[1]، وفي نفس الصّدد نجده يتطرّق لمجموعة من القضايا كالقديم والحديث مستدلاّ على صحّة رأيه وصدق مذهبه بجملة عظيمة من النّقد التّطبيقي أبرز فيها بعضا من أخطاء القدماء ورأى لحكمة ظاهرة الوقوف عند أحسنهم بما يشبه الإجماع، وهما امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى وقد أنزلهما من عليائهما بعد أن بيّن أغلاطهما ونبّه إلى ما في شعرهما"[2].

وتأسيسا على ما سبق ذكره يورد ابن شرف مجموعة من عيوب الشّعر ناصحا الشعراء بتجنّبها كاللحن –خشونة الحروف للكلمة ،تعقيد الكلام بالتّقديم والتّأخير–الكسر–مجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها[3] وهذا برأيي عين النّقد الفنّي.

وقد لوحظ على ابن شرف طريقته في ضرب أمثلة لكل عيب من هذه العيوب دون أن ننسى رأيه حول قضيّة السّرقة التي يرى بأنها أكثر ما تكون في المعاني لأنها أخفى من الألفاظ[4] نافيا ما تناقل على ألسنة بعض النّقاد من أنها غير موجودة، بل هي مجرد توارد الخواطر"[5].

---

[1] – عبد العزيز قلقيلة ،النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 228.

[2] – المرجع نفسه، ص ص228، 229.

[3] – ينظر:المرجع نفسه ، ص ص233، 234.

[4] – المرجع نفسه، ص 237.

[5] – المرجع نفسه، ص 238.

وفي الأخير لا يمكننا أن نختم سوى بما ختم به ناقدنا ابن شرف في نهاية مقامته، قال محمـــد: فقلت لله درك يا أبا الريان فما ألين جانبك، وما أقرب غائبك، وما ألحح طالبك ، وما أسعد صاحبك، فقال: أنجح الله مطالبك، وقضى مآربك، وصفّى من القذى مشاربك، وبث في الحواضر والبوادي مناقبك"[1]، بهذا تنتهي مسائل أو رسائل الانتقاد "كما حققها المرحوم حسن حسني عبد الوهاب وضمّنها الأستاذ محمـــد كرغلي الطبعة الثانية من "رسائل البلغاء" أما طبعة الخانجي ففيها مقامة ثالثة أو مجلس ثالث عبارة عن مختارات شعريّة"[2].

ونافلة القول محمـــد بن شرف القيرواني ناقد وشاعر وأديب لم يلق التّقدير الذي يستحقّه بالنّظر إلى الدّراسات والبحوث القليلة بشأنه مقارنة بما هي عليه عن ابن رشيق المسيلي، وكلامنا هذا لا يعني التّقليل من شأن ابن رشيق بقدر ما هو رفع من قدر كل من ابن شرف وابن رشيق معا ،وهذا ما سنحاول العمل عليه من خلال أطروحتنا الموسومة بابن شرف القيرواني ومعارضته النّقدية لابن رشيق، فماذا نقصد بالمعارضة النّقدية؟ وما أبرز دلالاتها اللّغوية والاصطلاحية؟.

[1] –عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي ، ص 241.

[2] – المرجع نفسه، ص .ن

الفصل الأول

تجلّيات المعارضة النّقدية في الخطاب النّقدي المغاربي.

تمهيـــد:

عرف الخطاب النّقدي المغاربي في القرن الخامس الهجري قفزة نوعية ،وأغلب الظن أنّ ذلك يعود لشيوع المعارضات النّقدية عبر المجالس الأدبية والمناظرات التي سادت الحياة الفكرية والثقافية لمدينة القيروان لؤلؤة بلاد المغرب العربي آنذاك ،حيث كان لتوجّه الفكر النّقدي عظيم الشّأن في تطوير النّظرية الحواريّة من منطلق الحوار التّواصلي وأنواعه، وأخصّ بالذكر ما اصطلح عليه بالحوار النّقدي الذي يحتاج إلى خطاب تواصلي الهدف منه إقناع الآخر بوجهة نظره، "فغاية الخطاب هي الإقناع الذي يقتضي بشكل أساسي الإفهام، والإفهام هو مدار الأمر عندما يتعلق بالإقناع ،ولا يمكن للخطاب أن يكون مقنعا إذا لم يكن واضحا قابلا للفهم"[1] خاصة وأنّ النّقاد أمثال ابن رشيق وغيره قد اشترطوا في الخطاب الشعري الوضوح والإفهام فهتف قائلا :"وليلتمس له من الكلام ما سهل، ومن القصد ما عدل، ومن المعنى ما كان واضحا جليا يعرف بديّا ،فقد قال بعض المتقدمين شرّ الشّعر ما سئل عن معناه "[2].

1- حسين المودن ،الحجاج ضمن مفهومه ومجالاته ،تقديم حافظ اسماعيلي،ج1،عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ،2010،ص297.

2 – ابن رشيق القيرواني، ا لعمدة ،ج1،ص201.

وعلى هذا الأساس فالإفهام شرط جوهري في كل خطاب إقناعي، فإنه كما قال ابن المقفع :"لا خير في كلام لا يدل على معناك ،ولا يشير إلى مغزاك وإلى العمود الذي قصدت ، والغرض الذي إليه نزعت ."[1]

"فمن الثّابت أن الخطاب عندما يكون مطابقا لشخصية المخاطب السوسيولغوية وملائما لكفاياته اللغوية ، فبإمكانه أن يكون في المستوى اللغوي والذهني والثقافي للمخاطب، فالإقناع كما قلنا سالف الذّكر يقتضي أن يكلّم المتكلّم المخاطَب باللّغة التي يفهمها".[2]

وبناء عليه "فالخطاب ليس نظاما لغويا ثابتا قارّا ، بل هو ممارسة اجتماعية متغيرة، وحتى تكون هذه الممارسة الاجتماعية فاعلة ومؤثّرة ،لابد لصاحب الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار أن المجتمع موزّع إلى فضاءات لغوية منظمّة ،أي أنّ لكل فضاء اجتماعي شخصيته السوسيولغوية"[3].

أضف إلى ذلك أنّ "علاقة الخطاب بالمخاطب هي في جانب منها علاقة نفسية انفعالية تجاوب معها عدد كبير من البلاغيّين الذين يرون أنّ "أعلى مراتب البلاغة هي تلك التي تتحقق في الخطاب

[1] -. الجاحظ، البيان والتبيين ، ج1، دار مكتبة الهلال،ط2 ،بيروت ،1992،ص116.

[2] - حافظ اسماعيلي ،الحجاج ،ضمن مفهومه ومجالاته،ص245

[3] -المرجع نفسه،ص245.

الذي يقتضي نوعا خاصا ونادرا من الكفايات الذهنية ،التأول ،الروية والتفكير ،العلم بأسرار صنعة الخطاب ."[1]

ومن اللاّفت أنّ العديد من النّقاد قد أثنوا على ابن رشيق امتلاكه لتلك الكفايات الذّهنية ،التّأول ، الرّويّة والتّفكير ،العلم بأسرار صنعة الخطاب مما يؤهّله بطبيعة الحال إلى أن يكون ناقدا يجمع بين التّواصل من جهة والإقناع من جهة أخرى ،فالتّواصل "والإقناع الذي يسعى إليه المتكلّم بخطابه هو نفسي انفعالي في جزء مهم منه " [2] ،وخير دليل على ذلك كتاب "قراضة الّذهب في نقد أشعار العرب "لابن رشيق جاء إثر انفعاله النّفسي تجاه ما اتّهم به من سرقة شعرية لأبيات أستاذه عبد الكريم النّهشلي، فأراد الدّفاع عن نفسه وإثبات عكس ذلك فكان أن صار كتاب "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب"[3] فتحا جديدا في عالم النّقد عموما والنّقد المغاربي خصوصا ،علاوة على ذلك فإنّه من المؤلفات التي تجلّت من خلالها المعارضة النّقدية في الخطاب النّقدي المغاربي .

ولعله من المفيد أن نؤكد أنّ المعارضة النّقدية المغاربية قد اتّسمت بالملاءمة والفعالية اللّتان تعدّان من مقوّمات الحجة ،حيث تتطلّب مراعاة الصّورة والمضمون ،فمراعاة هذه الأبعاد الثلاثة كفيل بجعل الحجة ملائمة ،بل فعّالة بشكل يجعلها قادرة على ترك أثر في المخاطب "[4]نحو ما فعله ابن شرف في

[1] – حافظ اسماعيلي ،الحجاج ،ضمن مفهومه ومجالاته، ص250.

[2] – المرجه نفسه،ص260،245.

[3] – المرجع نفسه ، ص ن.

[4] –المرجع نفسه، ص ن.

نقده لامرىء القيس استنادا إلى الدافع الأخلاقي مزعزعا بذلك صورته الأخلاقية ، فترك في ذلك أثرا في نفس المخاطب ،كل ذلك من أجل إقناع ابن رشيق وغيره أنّ اختيار الشاعر امرؤ القيس للاستشهاد به في كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه لم يكن في محله فضلا عن قضايا أخرى كاللّفظ والمعنى ،القديم والحديث ،الشّعر والنّثر والسّرقات الشّعرية ...وغيرها ،منهم من استحسنها ومنهم من استهجنها .

وجدير بالملاحظة أنّ الشّواهد المتمثّلة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشّريف والشّعر والأمثال والحكم كان حلقة مركزيّة في تصانيف ابن رشيق وابن شرف، وهذا لا يدلّ في الحقيقة سوى على أهمية الشّاهد باعتباره خطابا داخل خطاب ، فالخطاب على هذا الأساس لا ينبغي له أن يأتي أحادي اللغة والصوت ،إذ أنّ البلاغة تقتضي أن يستشهد بنصوص وأقوال وخطابات أخرى وأن لا يسمع صوت المتكلم فقط ،بل يدعمه بأصوات أخرى لها مصداقيتها وقوتها، وهذا ما استيقنته نفس ابن رشيق المسيلي وابن شرف القيرواني، فاستشهد بآراء نقدية صدرت عن أصوات نقدية لها وزنها كعبد الكريم النهشلي والآمدي وابن قتيبة ،وآخرون ممّن ترسخت آراؤهم وكتاباتهم فأصبحت ملاذا لكل أديب وشاعر وناقد .[1]

[1] – حافظ اسماعيلي ،الحجاج ،ضمن مفهومه ومجالاته،ص245.

إذن، فالخطاب بهذا المعنى "يعطي الكلمة لأصوات أخرى غير صوت المتكلم صاحب الخطاب ، موحيا للمخاطب بأن الخطاب الذي يتلقّاه ليس خطابا شخصيّا يخصّ المتكلّم فقط،بل هو خطاب مشترك يتكلّم فيه المتكلّم ،وتتكلّم داخله أصوات أخرى مستمدّة من المرجعيّات الثّقافية التي تحدّ المخاطب نفسه "، ويعترف بها ،كما أنّها تحظى بالنّفوذ في مجاله السوسيوثقافي، الأمر الذي يدفعنا للقول أنّ لهذه الشواهد وظيفة حجاجيّة مهمّة قادرة على تجاوز معارضة الخصم وانتزاع تسليمه [1]، خاصة أنّ "الغرض من الحجاج والسعي إلى الدفاع عن دعوى معينة أو إبطالها ،لذا فإنّ القاسم المشترك بين أطراف النّزاع هو التّفاعل بين الحجج التي تدافع عن دعوى ما وتلك التي تعترض عليها"[2]، وهي عناصر قد لاحظنا وجودها في معارضة ابن شرف لابن رشيق في بعض القضايا .[3]

"لهذا سعت العديد من الأبحاث إلى صورنة مختلف النّزاعات التي تقع داخل الجماعة العلمية الواحدة، أو فيما بينها من خلال تحليل مختلف الحجج التي يقدمها الطرف المناصر أو تلك التي يقدمها الطرف المعارض ،فباعتماد مثل هذه الطرق تتمكن من إجلاء السبل التي يتمّ بها الإقناع والإقتناع "[4].

1- حافظ اسماعيلي ،الحجاج ،ضمن مفهومه ومجالاته، ص ،ن

2 – عبد اللطيف عادل، خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي، ص206.

3 –حافظ اسماعيلي ،الحجاج ضمن مفهومه ومجالاته، ص220.

4 -المرجع نفسه ،ص252.

وعليه يمكن القول أنّ"الإقناع عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كل منهما ويعتبره المخاطب شرطا كافيا ومقبولا للفعل أو الترك "[1] ،فإذا بلغت المعارضة النقدية هذا الحد من الإقناع يمكن تضنيفها كمعارضة قوية باعتبار أنّ المعارضة تتفرّع إلى نوعين :معارضة قوية ومعارضة ضعيفة ،وتحقيق هذا رهين دون شك بطبيعة وشكل الخطاب الذي يهيئه المخاطب والذي يشترط فيه الانسجام لضمان تعرف الخطاب واعتقاده من لدن المتلقي [2].

إذا لا مناص من القول أنّ لكل خطاب وسائله للإقناع والتأثير في نفس المتلقي كما رأينا في معارضة ابن شرف النّقدية لابن رشيق ،حيث ظهرت جليّا في اعتماده على الدّوافع الأخلاقية والدينية والفنية والنّفسية حتى يستطيع الولوج بها إلى نفسية المتلقي ودفعه دفعا ليكون معه لا ضدّه في تلك المعارضة.

ونافلة القول أنّ المعارضة النّقدية لابن شرف هناك من يراها معارضة ضعيفة لم تؤت أُكلها وهناك من يراها ثورة في عالم النّقد المغاربي، إلاّ أنّني أجد من المعيب الحكم على أيّ معارضة نقدية بالفشل أو الضّعف ، فبنظري هي ناجحة في كلتا الحالتين ،إذا لم تصب الكثير أصابت القليل ،وخير الأعمال أدومها وإن قلّ .

[1] – حمو النّقاري، حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية بفاس ،1987 ، ص2.

[2] – عبد الجليل عشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية ، عالم الكتب الحديث،الأردن،ط2012،1م،ص38.

لذا فإنّ العيب لا يكمن في القوّة أو الضّعف إنّما في عدم استمراريّة المعارضات النّقدية ، وعليه نتساءل في مبحثنا الآتي عن ماهية المعارضة ونبحث في مدلولها اللغوي والاصطلاحي محاولين الإجابة عنها بشيء من التّفصيل .

I-المعارضـــــة.

1-الدلالة والمفهـــوم.

أ-1-لغة: للمعارضة معان لغويّة متعددة نذكر منها:

-معارضة (اسم): مصدر عارض[1].

-المعارضة: الاحتجاج-المخالفة-الممانعة[2].

-المعارضة (مصطلحات): نقض الرأي ومحاولة المنع من المضي فيه من غير تجريح ولا تشهير ومنه المعارضة السّياسية[3].

انتقاد حزب من الأحزاب أو فئة برلمانية لأعمال الحكومة[4].

عارض (فعل): عارضه أي: رفض قوله أو عمله وناقشه فيه، ناقضه في كلامه وخالفه وجانبه وعدل عنه، قاطعه.

عارض فلانا: باراه، جاراه في شعره وأتى بمثله أو أحسن منه.

عارض بمثل صنيعه: فعل مثل فعله أتى إليه بمثل ما أتى.

---

[1] – معجم اللغة العربية المعاصرة (http://www:almaany.com) اطلع عليه يوم 2020/05/07.

[2] – معجم الغني (http://www:almaany.com) اطلع عليه يوم 2020/05/07.

[3] – معجم لغة الفقهاء (http://www:almaany.com). (http://www:almaany.com) اطلع عليه يوم 2020/05/07.

[4] – الرائد (http://www:almaany.com) اطلع عليه يوم 2020/05/07.

بناء على ما تقدّم نجد أن المعارضة في التّعريف اللّغوي أو المعاجم اللّغوية لديها معان عدّة، لكن الذي يهمنا في هذا المقام معنى المقابلة والمحاذاة والتّصدي والمجاراة (المحاكاة)، لذلك سنتعرّض لأهم الدّلالات الخاصة بمفهوم المعارضة لما من شأنه خدمة موضوعنا، إذ "عارض الكتاب بالكتاب"[1] بمعنى قابله به، وعارض فلانا: باراه، وأتى بمثل ما أتى به، وعارض فلانا في السّير بمعنى سار حياله وعارضه في الشّعر، عارضه بمثل صنيعه[2]، وهذه المسألة عروض أي نظيرها ومعارض الكلام ومعاريضه كلام يشبه بعضه بعضا في المعارضة والمباراة.

–المعارضة :المقابلة على سبيل الممانعة.

وعبر بعضهم بأنه إقامة الشيء في مقابلة ما يناقضه[3].

وتعني أيضا: المزاحمة والمقابلة على سبيل الممانعة[4].

ونستشف انطلاقا من هذه التّعاريف أن خلاصة المعنى اللّغوي المتعلّق بالمعارضة حسّي في السّير والعمل يقابلة معنوي في القول ونحوه[5].

---

[1] – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ج2 ، ط4 ،مكتبة الشروق الدولية ــ مصر ــ، 2004م ص 593 .

[2] – المرجع نفسه، ص 594.

[3] – التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، الرابط: http://arabiclescion,hawramani.com/!p=38057≠coa8f9 اطلع عليه يوم 2020/05/07

[4] – المرجع نفسه ، ص.ن

[5] – أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1998، ط2/ص7.

2-المعارضة اصطلاحا:

يورد أحمد الشّايب تعريفا اصطلاحيا خاصّا بالمعارضة اتفق فيه مع ما ذهب إليه جمهور النّقاد المؤرخين حول مفهومها أدبيّا إذ يقول :"أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة في بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها مع انحراف يسير أو كثير حريصا على أن يتعلّق بالأول ودرجته الفنّية ويفوقه، فيأتي بمعان أو صور إزاء الأولى تبلغها في الجمال الفني أن تنمو عليها بالعمق أو حسن التّعليل وجمال التمثيل أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة"[1].

واستنادا عليه أوافق الرّأي القائل بأن "المعارضة" تقتضي وجود نموذج فنّي ما ماثل أمام الشّاعر المعارض مبدعا بقدر ما يظهر فيها شخصيته وبقدر ما تذوب فيها آثار النّقل والإقتباس"[2].

وتجدر الإشارة إلى أن هذا فنّ لا يتقنه إلا من خبر هذه الصّنعة، وبالتالي يمكن أن نطلق عليها فن المعارضة الذي أدخله ج. جونيت فيما أسماه بالتعلّق النّصي أو التّجاوز النّصي hypotextualité ويقصد الباحث الفرنسي بهذا المصطلح العلاقة التي تربط بين النّص (ب) كنص لاحق (hypertexte) والنّص (أ) كنص سابق (hypotexte) وهي علاقة تقليد أو محاكاة أو

[1] – أحمد الشايب ، تاريخ النقائض في الشعر العربي ، ص 7.

[2] – حسن برزائي نيا نعمان أنق (الكاتب المسؤول)، معارضات البارودي بين التقليد والتجديد، إضاءات نقدية، ع17، ربيع 1394س/آذار، 2015، ص 45

تحويل[1]. وهذا يتطلب من المعارض حسن تصريف العبارة والدّقة في اختيار الحجج وعرضها والبراعة في التّمكين للأطروحة المدافع عنها، ففي الاصطلاح أيضا تعني المعارضة "إقامة الدّليل على خلاف ما أقامه عليه الخصم"[2]، وهذا يقودنا بطبيعة الحال إلى التّساؤل التّالي:

ما أوجه التّقارب بين مفهوم المعارضة ومصطلحات نقدية كالبرهان والحجاج والحوار والجدال؟

3- المعارضة وعلاقتها بالمصطلحات النّقدية البرهان-الحجاج-الحوار-الجدال

سبق وتعرفنا على دلالات المعارضة ومفهومها وذكرنا أنّها متنوّعة أهمها: الاحتجاج-المخالفة-المقابلة-الممانعة-المباراة ... وغيرها.

وبناء على ذلك سنتعرّض لمفاهيم نقديّة صلتها وثيقة بمفهوم المعارضة ألا وهي: الحجاج-الجدال-الحوار-البرهان.

3-1-الحجاج:

تشير لفظة "Argumentation"في اللّغة الفرنسيّة[3] إلى عدّة معان متقاربة أبرزها:

-استعمال الحجج، مجموعة من الحجج تستهدف تحقيق النّتيجة ذاتها.

---

[1] - التناص والإبداع "فن المعارضة" أنموذجا، الرابط: http://journalsopenedition.org اطلع عليه يوم 2020/05/07

[2] - التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، الرابط: http://arabiclescion,hawramani.com/!p=38057≠coa8f9 اطلع عليه يوم 2020/05/07

[3]- Le grand Robert, dectionnaire de la langue francaise, parie, 1989, p535.

-فن استعمال الحجج أو الاعتراض بما في ذلك مناقشة ما ويمكن القول أن فعل الحجاج يقوم على الدفاع على اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج أو عرض وجهة نظر معارضة مصاحبة بحجج"[1].

وهنا يتفق الحجاج مع المعارضة بنظر الدكتور طه عبد الرحمن في كونهما يدافعان عن قضية ما بالتّباري بالحجج أو بإيراد مجموعة منها، فكلّ منطوق به موجّه إلى الغير لاتّهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها يدعى حجاجا[2].

فالمعارضه نوع من الاعتراض الذي يعني مقابلة الخصم بما يمنعه من تحصيل مقصوده ،أو هو ممانعة الخصم بمساواته فيما يورده في حين تعني المعارضة طريقة إسقاط كلام الخصم ،وقد تكون معارضة دعوى بدعوى ،أو معارضة حجّة بحجّة .

وعلى هذا الأساس المعارضة تعد ضربا من المناقضة ،فهي بمنزلة أن يقال لك "دليلك هذا باطل، ولديّ دليل ينفي مدعاك ويتم دفع المعلّل للمعارضة إما بمنع بعض مقدّمات دليل المعارض وهو المناقضة أو بإثبات المعلّل فساد دليله وهو النّقض، أو بإثبات الدعوى بدليل آخر وهو المعارضة على معارضة السّائل، وتتفرّع المعارضة بهذا المفهوم إلى معارضة قوية ومعارضة ضعيفة.

[1] – الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، تقديم: حافظ إسماعيلي العلوي، ج3، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2010، ص 32.

[2] – طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2006/2م، ص 226.

وممّا سبق ذكره فإنّ الحجاج يعدّ عملا لغويا برهانيا يندرج ضمن فضاءات التعبير عن الذات والحوار مع الغير ويتيح المجال للتّباري بالأفكار والآراء بين طرفين أو أطراف متعدّدة في سياق جدالي يجمع بينهم القصد منه إفحام الخصم وإقناع المتلقّي عبر الاقتصاد في الأدلّة الحجاجيّة"[1] وهذا يشبه إلى حد كبير ما تقوم به المعارضة.

3-2-الجدال:

يعدّ الجدال عند أرسطو مبحثا فكريا وسمة مميّزة للفلاسفة والنّخبة إذ هو حجاج (في المسائل الفكريّة الخلافيّة)[2] ،فالجدل بالنسبة لهذا الأخير –أرسطو- نمط حجاجي يدور على اختيار الأقاويل الخلافيّة بالخصوص[3].منوّها إلى أن النّفي والتبكيت refutation يشكّل السمة المميزة للحجاج الجدلي وذلك ضمن بحثه الدقيق في خصائصه، حيث يقول :"لأن الجدليين إنما من شأنهم أن يبطلوا الأقاويل"[4]، مما يجعل القياس الجدلي قياس نفي في الغالب، إذ العادة المتواترة في المناقشات الجدلية هي

[1] – عبد السلام عشير،عندما تتواصل تغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق-المغرب، ط2، 2012م، ص 129.

[2] – هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو(ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) ،إشراف حمادي صمود ،كلسة الآداب منوبة ، 1998م،ص 97.

[3] – محمـــد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008م، ص ص 43، 92.

[4] – أرسطو طاليس، منطق أرسطو،ج2، ص 21 (نقلا عن عبد اللطيف عادل بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 52).

"الانطلاق من المقدمات التي يراد لها الإثبات والحفظ لتكون الحركة العلميّة للجدل قاصدة السّلب والنّفي"[1].

ومن منطلق هذا الكلام يمكن القول أنه إذا كان الجدل نمطا حجاجيا يعتمد على الحجج في نفي وإبطال الأقاويل فهذا بحدّ ذاته معارضة لا يمكن لأي عاقل إنكارها.

3-3-البرهان:

3-أ-لغة:

هو الحجة البيّنة الفاصلة التي تفيد اليقين الضّروري ويختصّ بارتباطه بالنّظر الفردي، ففيه ينشد النّاظر إلى طرق تدليليّة مخصوصة تفضي به إلى اليقين التّام والجزم، ومردّ هذا إلى انبنائه على اللّغة الصورية[2].

وتأسيسا على هذا الكلام يعدّ البرهان مسلكا لإلزام الخصم وإفحامه يرمي إلى إثبات صحته –أي البرهان- إذ أن من تسليمهم بأهمية الآليات البرهانية إلّا أنّهم أقرّوا بفائدة المسالك الحجاجيّة في أيّ تناول يهدف إلى التركيز على خصوصيات الخطاب الطبيعي.

[1] – عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الضفاف، بيروت، ط1، 2013، ص 52.

[2]- van Emen, ROB, gooen, darst, …), rules for argumentation, douglasualter (ed): argumentation, 2 nov, 1988.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الأخير –البرهان- ينبني على مسالك تستجيب لخصوصياته ومقتضياته من قبل الحجاج والجدل وغيرهما من الأساليب التدليلية التي تتكفّل فيها الصّورة عن المضمون بخلاف الخطاب الصّوري المستند أساسا إلى برهان قائم على قواعد صوريّة محدّدة ومضبوطة، لهذا ركّزت مختلف الدّراسات التي اهتمّت بالبحث في المسالك التّدليلية على هاتين الطريقتين باعتبارهما تعكسان الفروق القائمة بين طرق التّدليل المعتمد في كل واحدة منهما.

نتيجة لذلك لا مناص من القول أنّ البرهان جزء لا يتجزّأ من صميم المعارضة نفسها، إذ على أساسه يمكن تحديد نجاعة المعارضة أم فشلها.

3-4-الحوار:

بعد النّظر والتفحّص في الحجاج والجدل والبرهان والمعارضة وجدت أن العنصر المشترك بينهم هو الحوار لهذا فضّلت تركه للأخير إذ يعد الحجاج أو المعارضة شكلا من أشكال التّواصل والتّخاطب والحوار لا تتبع منطقا معينا وليست له موضوعات محددة بل موضوعاته هي قضايا تمثّل كل المعارف الإنسانيّة حتى البرهانيّة منها"[1]، فالحجاج المحكم هو الذي يكون فيه بمقدور مختلف الأطراف المتحاجّة الدّفاع عن تصوراتها وفق الشّروط المتواضع عليها بدون إفراط ولا تفريط[2].

[1] – ينظر: عبد السلام عشير ، عندما تتواصل تغير، ص 12.

[2] – حسن الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2013، ص 12.

فالحوار والإقناع والاختلاف، هي من أهم الأساليب الإنسانية والحضارية، كما تعد كل واحدة منها سمة من سمات الحجاج، أي أن أهمية الحجاج تكمن في قدرته وكفاءته على المخاطبة وقوة أسلوبه الإقناعي في الرّد والتّفاعل مع احترام الاختلاف بين المتخاطبين أو المتحاجّين.

وحرصا على إيجاد العلاقة بين الحوار والمعارضة لا يفوتنا أن ننوّه إلى ما ذكرناه سابقا من أن الحجاج هو المعارضة تقريبا إن لم نقل مرادفها، فإذا كانت أهمية الحجاج تكمن في أسلوب الحوار فبطبيعة الحال المعارضة تكمن أيضا في القدرة والكفاءة على امتلاك أسلوب الحوار.

وخلاصة قولنا أن مفهوم المعارضة له صلة وثيقة بالحجاج والجدال والبرهان والحوار فكلها تصبّ في معين واحد ألا وهو إقناع المتلقي وإفحامه بالحجج والبراهين، وهذا لا يتأتّى إلا إذا امتلك المعارض خاصّية الإقناع في الكلام وطرق الإفحام به، وهي أدوات لابد من امتلاكها في فنّ الإقناع والحجاج.

II- أسس ومعايير النّقد الأدبي

بداية المتتبّع لمراحل تطور النّقد عند العرب يجد أنه كغيره من الأمم بدأ ساذجا ثم تطوّر شيئا فشيئا ليصل إلى ما هو عليه الآن، فقد أشار الدكتور شوقي ضيف إلى النّقد العربي أنه :"كان في جملته نقدا عمليّا يتّصل بالجزئيات ولا ينفكّ عنها إلا قليلا، فقد كان محوره البيت والعبارة، ولم ينظروا في الأدب أو الشّعر نظرة عامّة"، فقد شغلتهم النّظرة الجزئية بحيث يمكن القول أن نشاطهم النّقدي كان أقرب إلى البلاغة منه إلى النّقد الخالص، ومع ذلك فقد تركوا في ذلك ركاما هائلا، يفيد فائدة كبيرة في تدريب الذّوق على الأسلوب الفنّي، ولكنه ينظّم في أبحاث البلاغة وقلّما انتظم منه شيء في أصول النّقد أو في الأدب، ومكانته في الحياة، وكيف نحكم على نماذجه أحكاما عامة بالجودة والرّداءة وكيف نقارن بعضها ببعض، وكيف نقومها ونعرف قيمها النّفسيّة والاجتماعيّة والأخرى الفلسفيّة الأدبية"[1]، لذلك أصبح النّقد الأدبي يشغل حيّزا واسعا في دائرة الأبحاث العقليّة منذ أرسطو"[2] مع العلم أن بدايته كانت ساذجة هي أيضا لكنّه أخذ يتعقّد شيئا فشيئا، حتّ أخذ شكله النّهائي عنده –أرسطو- فكانوا بذلك سبّاقين[3] إلى وضع أصول النّقد وقواعده، وبالنظر إلى

[1] –شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط6، د. ت، ص ص 30، 31.

[2] – المرجع نفسه، ص 5.

[3] –المرجع نفسه، ص9.

التطورات التي مر بها النقد رأى بعضهم أنه فن ولا يمكن له أن يصبح علما فعماده في نظرهم – الذوق والتأثرات الشخصية[1].

وبناء على ذلك يمكن القول "أن النقد يعني دراسة الأثر الفني –أو النص الأدبي–دراسة تعتمد على التذوق والقدرة على التمييز"[2]، وهذا ما أدى إلى وجود دراسات كثيرة تبحث في حقائق الأدب وفنونه الشعرية والنثرية محاولة أن تلم بجميع دقائقه على هدى مما كتب فيه النقاد الممتازون[3].

وتأسيسا على هذا الكلام نجد أن النقد في اصطلاح المحدثين هو "تقدير النص الأدبي تقديرا صحيحا وبيان قيمته ودرجته الأدبية"[4]،والملاحظ أنهم –أي المحدثون- لا يقصدون أي نقد بل "ذلك الذي يقوم ويقدر ما للنص الأدبي من قيمة فنية ،فيزرى ويستهجن أو يقبل ويستحسن ،وبعبارة أخرى النقد الذي يتجاوز فيه الناقد درجة الشعور إلى درجة التفكير في الشعور ومعرفة الأسباب التي من أجلها يرضى عن قصيدة أو يسخط عليها، وهذا الصنيع هو الخطوة الأولى في النقد بمعناه الحقيقي الذي يحاول أن يزن النص الأدبي ويصور قيمته، وقد كانت مرحلة التدوين محورية في النقد إذ اقترن به بحث النّصوص وتحقيقها ،واتخاذ هذا البحث والتّحقيق وسيلة للتّمحيص والتدوين[5].

---

[1] – شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص6

[2] – إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 14.

[3] – المرجع السابق ،ص.ن

[4] – أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1994، ص 116.

[5] – شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص 10.

وفي نفس الصّدد نقول أنه من حسن حظ النّقد الأدبي أن يكون رأسا النّقد في القرن الخامس الهجري منتمين إلى المدرستين الفكريتين الرئيسيتين آنذاك، فيجرّ ذلك الخلاف إلى خلاف آخر حول مكمن المزية الإبداعية في النّص القرآني، لأن هذا الخلاف مدعاة للانكباب على دراسة كل من اللّفظ والمعنى، والتعمق في قضاياهما ومسائلهما[1] حتى تعداها إلى قضايا ومسائل أخرى تتعلق بالشّعر ديوان العرب –وغيرها من الفنون التي لم يسبق للعرب أن خاضوا فيها إلا بعد التّلاقح الفكري والثّقافي نتيجة الفتوحات الإسلامية، ففي النّقد لابد أن يتناول النّاقد طريقة استخدام الأداة الخاصّة بكل فنّ ناهيك عن طريقة تناول الموضوع والسير فيه.

ولعلّ من المفيد التّأكيد على أنّ الحركة النّقدية المغاربيّة كان لها نصيب من هذه الدّراسات وأخصّ بالذّكر تلك المتعلقة بالدراسات الإعجازية والشّعر وغيرها من الفنون الأدبية، وتداول بعض القضايا النّقدية وتأتي في طليعتها الشعر وحقيقته، اللفظ والمعنى، الطبع والصنعة، القديم والحديث، السّرقات الشعرية ...

وتشكّل معارضة ابن شرف القيرواني لابن رشيق بعدا فارقا في عالم النقد بصفة عامة والنّقد المغاربي بصفة خاصة، ولكن قبل أن نتطرق إلى هذه المعارضة لابد من إشارة خاطفة إلى أنواعها، فهي تتعدّد وتختلف باختلاف مجالاتها نذكرها كما يلي:

[1] – علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص 135.

-المعارضة الأدبيّة.

-المعارضة الشّعرية.

-المعارضة النّقدية.

-المعارضة الفنيّة.

وغيرها من المعارضات التي لا يتّسع المقام لذكرها جميعا وتتّخذ أشكالا معينة إما قولية أو فعلية، غير أنّ ما يهمنا هنا هو المعارضة النقدية التي تختص بالنقد الأدبي الذي نستطيع تلخيص غايته ووظيفته فيما يلي:

1. تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية قدر الإمكان.

2. تعيين مكان العمل الأدبي في خط سير الأدب، وذلك بأن تعرف مدى الإضافة التي أتى بها هذا العمل ومدى الجدة التي اتصف بها.

3. تحديد مدى تأثر العمل الأدبي بالمحيط ومدى تأثيره فيه أي تحدد بذلك مدى العبقرية والإبداع.

4. تصوير سمات صاحب العمل الأدبي وبيان خصائصه من خلال أعماله ومدى الاستجابة العادية للبيئة.

وللإشارة ينبغي على الناقد الأخذ بعين الاعتبار جميع تلك النقاط التي سبق ذكرها حتى يتسنّى له ممارسة العمليّة النّقدية، فالنّاقد بحاجة ماسة إلى التّأني الشّديد قبل إصدار الحكم، وهنا نشير إلى قضية نقدية تعرض لها ابن شرف هي في غاية الأهمية ألا وهي "النّقد الوهلي" بمعنى أنه من الوهلة الأولى ولا يمكن للعجلة أن تؤتي ثمارها من اللحظة الأولى، فهو نقد –برأيه- خداع الخطأ فيه أكثر من الصواب، والزّلل إليه أسرع من السّداد، فلم تمعن النظر وتستخدم الفكر لا تنقد[1]، كما على الناقد أن يحترس من الإعجاب بالقديم ضد الجديد بدون معايير واضحة ،فضلا عن ذلك التّجرد من الأهواء والميول الشّخصية ومن أي مؤثرات خارجية[2]، لكن التساؤل المطروح هل استطاع ابن شرف الالتزام بهذه الصفات أثناء معارضته لابن رشيق؟ وما مدى موضوعية ابن شرف تجاهها؟

لاسيما وأنه كانت بينهما منافسة لا تقلّ أهمية عن تلك التي كانت بين جرير والفرزدق وخير دليل على ذلك قول ابن بسّام في هذا المعنى :"وبينه وبين أبي علي ابن رشيق ماج بحر البراعة ودام ورجع نجم هذه الصناعة واستقام، وذهبا من المناقضة مذهبا تنازعاه نثرا طويلا، وخلداه ذكرا محمولا، واحتملاه –إن لم يسمح الله- وزرا ثقيلا، وكان أبو علي أوسعهما نفسا وأقربهما ملتمسا ..."[3].

[1] – ينظر:عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 228.

[2] – أحمد الشايب ،أصول النقد، ص126 .

[3] – ابن بسام علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، قسم 4، طبعة كلية الآداب، القاهرة، ص 133.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن بسّام قد ألمح إلى وجود دور ريادي قام به ابن شرف في ميدان التأليف الأدبي ربما لا يقل مكانة عن الدور الذي قام به ابن رشيق[1]، مع العلم أنّ جلّ مؤلفات ابن شرف قد ضاعت و لم ينج منها سوى الترجمة المتكاملة التي خصّه بها ابن بسام رغم تأليف هذا الأخير –ابن شرف القيرواني– لمجموعة من الكتب الأدبية والنقدية، وهو ما نأسف عليه نحن كباحثين ودارسين في هذا المجال، غير أن كتاب الذخيرة لابن بسام قد أعاد لنا بصيص ذلك الأمل، بنقله مجموعة كبيرة من نثر ابن شرف وآدائه واختطف نسخة خطيّة من كتابه الأخير[2].

ومن هذا المنطلق لا يمكننا على ما يبدو أخذ فكرة أو تصور شامل بخصوص أحكامه النقدية المتعلقة بمعارضته لابن رشيق –وهذا برأي– غير عادل من جانبنا، لكن بصرف النظر عن ذلك نجد أن بعض النقاد قد استنبطوا مآخذ نقدية لابن شرف القيرواني على أبي الحسن بن رشيق نذكر منها:

-تقريضه شعر امرئ القيس المثل الأعلى في الشعر بالنسبة لابن رشيق فبيّن عددا من عيوبه كإيراد امرؤ القيس بعض الصور المنافية للأخلاق والسّبب في ذلك –حسب بعض النّقاد– تأثره الشّديد بالنّزعة الدينية والأخلاقية شأنه في ذلك شأن كثير من نقاد عصره[3]، لذلك يمكن القول أن "نقده

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 152.

[2] – طبعها الخانجي، سنة 1926 (نقلا عن بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 152).

[3] – بشير خلدون، الحركة النقدية، ص 164.

لامرئ القيس بصفة خاصة لم يخرج عن هذه الزاوية[1] التي يشترك فيها مع ابن هانئ الأندلسي الذي قال فيه :"... من رجل يستعين على ملامح دنياه بفساد أخراه لرداءة عقله ورقة دينه، وضعف يقينه ولو عقل لم تصف عليه معاني الشّعر حتى يستعين عليها بالكفر"[2].

ويلاحظ العديد من النّقاد أن نقد ابن شرف ذو نزعة أخلاقية بارزة إلا أن مقامته لم تخل من بعض المقاييس النقدية التي صنفها نوعان، مقاييس جودة و مقاييس رداءة أمّا:

أ-مقاييس الجودة[3]:

-حسن التّصوير.

-اختراع المعاني.

-الطبع.

-أصالة الأدب "الأسلوب هو الشخص".

-خلود الأدب بخصائصه الفنية وعدم وقوفه عند مناسبته أو زمنه ونجده في الكلام على زهير بن أبي سلمى.

-صقل الأدب وتجويده قبل إذاعته ونجده في الكلام على النابغة زياد.

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية، ص 164.

[2] – ابن شرف (أبو عبد الله)، أعلام الكلام، مطبعة النهضة، القاهرة، 1926، ص 26.

[3] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 226.

-حسن التصرف في فنون الشعر المختلفة، ونجده في الكلام على الأعشى ميمون.

ب–مقاييس الرّداءة[1]:

-تقصير الشاعر في بعض فنون الشعر ونجده في الكلام على النابغة الجعدي.

-قرب لغة الأدب من لغة العلم، ونجده في الكلام على دعبل.

-التّكلف ونجده في الكلام على أبي تمام.

إذن وبناء على ما تقدّم، فكيف لنا أن نصدق أن نقد ابن شرف لابن رشيق حول اختياره لامرئ القيس كمثل أعلى مجرد نكاية لا أكثر ولا أقل؟!، بل إن النّاظر لأحكام ابن شرف النّقدية يرى خلاف ذلك تماما، فالمقاييس التي وضعها لا تدلّ إلا على ناقد"ملم بثقافة عصره وأنه على علم بما يجري من محاورات أدبية ومعارك نقدية كان الشّعر والشّعراء ميدانا لها"[2] ،ويبدو أن زهير بن أبي سلمى لم يسلم هو الآخر من نقد ابن شرف إذ يذكر له ابن شرف أيضا عيوبا وجدها في شعره منها: تصويره الموت بالناقة التي تخبط خبط عشواء إذ لو كان الموت كذلك لمات بعض النّاس ويبقى بعض النّاس .

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي ، ص.ن.

[2] – بشير خلدون، الحركة النقدية، ص 165.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نطلق عليه ما اصطلح عليه بعض النّقاد بالنّقد الجملي ف –برأي بعض النقاد– ليكن هذا الأديب أمير شعراء الجاهلية أو ليكن زهير وهما هرما القدماء، فالمسألة ليست قدامة أو حداثة بل مسألة جودة أو رداءة بصرف النّظر عن إطارها الزماني وليس له اعتبار في النّقد إلا بمقدور مراعاته للصورة"[1].

وفي السياق ذاته من اللافت للانتباه أنّ تعقّب ابن شرف لكل من زهير وامرئ القيس لم يكن اعتباطا، بل أراد بذلك أن يثبت أن "القديم لا يعتصم بقدمه على الخطأ وأن الحديث لا يخطئ لمجرد أنه حديث، فالخطأ جائز على سائر البشر"[2]، لاسيما وأنه يقول :"وفضلاء الشعراء كثيرون جدا ولكل سقطات وسأقفك على بعضها العظيم المؤونة في الإحاطة بها ليس إلا لأوضح بذكرها منهجا من مناهج النقد لا حرصا على بغض الفصحاء ولا قصدا إلى تهجين الصرحاء وأية رفعة لنا في ذلك وهم جرثومة فروعنا وبهم افتخارنا جميعا"[3]، وهذا الكلام إن دلّ على شيء إنما يدل على أن ابن شرف القيرواني "صاحب قضية" يبرهن عليها وليس موتورا يتشقّى وبعبارة علميّة دقيقة هو ينقد نقدا موضوعيا"[4] ،أي أنه يذكر العيوب والمزايا على حد سواء، فهو –كما قيل آنفا –ينظر إلى الأديب

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 232.

[2] – المرجع نفسه ، ص.ن

[3] – المرجع نفسه، ص.ن

[4] – المرجع نفسه، ص.ن

جملة من وجوب اقتران تلك الرؤية بالنّظر إلى مختلف الجوانب الخاصّة به ،إذ لا ينبغي له أن يزيغ عن ذلك قيد أنملة، وإلا لم يسم ناقدا محايدا أو موضوعيا[1].

وفي هذا الإطار لابد من الإشارة إلى أن النّقد الأدبي يقع بين الموهبة والاكتساب في نظره، فقد قرر ابن شرف أنه طبع وثقافة، فقد يجهد العلماء بالشّعر وروايته أنفسهم في تحصيله دون جدوى ثم هو قد يحصل لمن لم يطلبه، ويقع عفوا لكثير ممّن لا علم له، يريد أنه لابد مع الموهبة من ثقافة نقدية خاصة، ولابد مع الثقافة النقدية الخاصة من موهبة، فلا غنىً لأحدهما عن الآخر كي يكون الإنسان ناقدا بمعنى الكلمة[2].

واستنادا إلى نصه هذا نستشفّ أنه إذا أراد أن يكون الإنسان ناقدا جديرا بهذه الكلمة فعليه امتلاك شرطان أساسيان هما الموهبة والاكتساب التي تكون عبر اطّلاعه الواسع على الثقافة النقدية التي تمكّنه من ذلك الأمر، فلا يكفي وجود الموهبة لوحدها، ولا الاكتساب لوحده، إذ لابد من اقترانهما معا حتى يتم الأمر.

وعليه يمكننا القول أن ابن شرف القيرواني حاول من خلال معارضته لابن رشيق التركيز على بعض القضايا النقدية التي شغلت بال الكثير من النقاد –آنذاك- فأخذت بذلك المعارضة منحيين فمنهم من أيّدها ومنهم من عارضها.

[1] – ينظر: عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي ،ص.ن

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص 228.

أما من أيّدها فقد رأى فيها جوانب إيجابية أدت إلى تطور النقد المغاربي وأسهمت في تثبيت ركائزه على السّاحة النّقدية، حيث أثرت المكتبة النّقدية بثقافة متنوعة تتعدد من خلالها وجهات النّظر وتتبلور فيها تصورات نقدية نتيجة مثل هذه المنافسات المليئة بالتّحديات الفكرية، ولا مناص من القول أنها أسهمت بشكل كبير في تشكيل الشخصية المغاربية.

وتماشيا مع ما تم ذكره نجد من النقاد مَن أثنى على ابن شرف باعتباره اتّسم الموضوعية في معارضته لابن رشيق محقّقا –بنظرهم- النجاح في ذلك، حيث اعتمد مقاييس نقدية قسمها إلى جودة ورداءة مما أفضى به إلى بلوغ مقدرة نقدية جعلت من أحد النقاد أن يصنّفه على أساسها ناقدا محايدا دون ميل منه إلى طرف على حساب طرف آخر، وهو نهج –كما نعلم- أثبتت نجاعته، في عالم النقد بصرف النظر عن سلبياته بالإضافة إلى أن قلّة من النقاد قد انفردت به، من زاوية أخرى يرى –نقاد آخرون- أن هذه المعارضة لا ترتقي إلى مصاف الأعمال النقدية لاسيما وأن أحكام ابن شرف النّقدية غير معلّلة ويغلب عليها طابع الإيجاز "فلقد أطلق ابن شرف بعض الأحكام النقدية ،ولكنه كما نلاحظ لم يقم بتعليلها، فطرفة مثلا شاعر مطبوع يمتاز بقوة الطبع وسرعة البديهة"[1].

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 157.

من هذا المنطلق يتساءلون كيف يمكن لابن شرف التزام الموضوعية إذا كان نفسه يطلق أحكاما نقدية غير معللة؟، وهل حقا كان هدف ابن شرف اكتساب الشهرة من خلال معارضته لابن رشيق؟

هذه تساؤلات من بعض النقاد لا يمكن وصفها إلا بالمشكلة في شخصية ابن شرف النقدية، ولربما كان السبب في ذلك ضياع جل مؤلفاته لذلك ليس بمقدورنا الحكم عليه من خلال بعض الأجزاء والمقتطفات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، إضافة إلى سبب آخر متمثلا في شخصية ابن رشيق التي يقال عنها شخصية نقدية فذه استطاعت جمع أهم وأبرز القضايا النقدية التي أثارت النقاد في المشرق أو في المغرب، ثم يسلك هذا الأخير –ابن رشيق- في كل قضية منهجا نقديا خاصا، كما أنه من اللافت قدرته على استلهام جميع الآراء النّقدية السابقة وجمعها في كتاب "العمدة" ثم يخص من جملة تلك القضايا كلها قضية حازت اهتمام النقاد قديما وهي ما عرفت "بالسّرقات الشعرية" فأفرد لها كتابا دعاه بـــ "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" ،حيث تجلّى طبيعة الإبداع الشعري في بعض جوانبه[1] .

[1] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري عند ابن رشيق في ضوء قراضة الذهب، تيارت للطباعة، الجزائر، ط1، 2014، ص 36.

وفي الصّدد نفسه يشير بعض النقاد إلى أن "نظرة ابن رشيق إلى الإبداع على أنه تراث لم يكن فرديا فحسب اختص به امرؤ القيس أو زهير أو النابغة أو بشار، إنما تجاوز هذا في أن الشاعر قد يبدع في إخفاء المعاني والألفاظ وتوليدها من جديد"[1].

وجدير بالذّكر أن نقول أن "قراضة الذهب" رد ابن رشيق على تلك الأحكام النقدية الواردة في معارضة ابن شرف التي أسفرت عن نتائج مازالت لحد الآن تتداول بين النقاد والدارسين مما يدل دلالة واضحة على أنها قد آتت أكلها في عالم النقد بالنظر إلى انتشارها الواسع بين أوساط النقاد والبلاغيين.

ولا يفوتنا أن ننوّه في هذا المقام إلى المذهب الذي يؤمن به ابن رشيق وعرف به في صور الأدب وفي كثير من مسائل النقد وهو المذهب الوسط، فهو من قال :"الاعتدال في كل شيء حتى في الاعتدال"[2]، بمعنى آخر أنه يتبع منهج الوسطية في كل شيء، ولكن يبدو من الصعب إيجاد معادلات تسوية ومعتدلة في كل قضية، فمن غير المعقول أن تتساوى كل القضايا وجميع الأعمال، فهذا بالنسبة لبعض النقاد قد يجانب الخطأ أكثر من مجانبته للصواب.

استخلاصا لما سبق نجد أنّ ابن شرف القيرواني كان حريصا في معارضته لابن رشيق أن لا تخرج عن مضمار النقد بوضع مقاييس للجودة والرداءة محاولا في ذلك قدر المستطاع تجنب النقد الذاتي

[1] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري عند ابن رشيق في ضوء قراضة الذهب، ص.ن

[2] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 123.

والتزام الموضوعية، وذلك بذكر المزايا والعيوب ثم إطلاق حكمه النّقدي عليها، لكن هذا لا ينفي وجود بعض الإخفاقات التي جعلت العديد من النّقاد تبخس هذه الشخصية حقها وعقد مقارنة تكاد تكون غير عادلة بين ابن شرف وابن رشيق، فلكل منها وزنه ومكانته في السّاحة النقدية، ولا يستطيع أحد منا إلا أن يقول بأن هذه المعارضة تعد إنجازا نقديا بمعنى الكلمة له إيجابيات وسلبيات تحسب على النقد المغاربي لها ما بعدها.

III-المفاهيم والمصطلحات النّقدية

تعد المصطلحات النقدية من النتائج التي أفرزتها تلاقح الحركة النقدية المغاربية بالحركة النقدية المشرقية، حيث أثارت هذه الحركة النقدية الواسعة كثيرا من القضايا الأدبية التي كانت فيما بعد مسائل نقدية واضحة أصبحت ميدانا لاختلاف النقاد حول تحديد مفهومها وتفرع التبويبات الخاصة بها وتنوعها بكيفية غير مسبوقة[1]، وهذا يعني أن دراسة المصطلح النقدي في واقع الأمر ليست إلا وجها من أوجه الدراسات النقدية، لأن الهدف منها أساسا هو تلمس بعض العناصر التي تتحكم في صيرورة التيار العام للنقد الأدبي.

وتماشيا مع ما تم ذكره من اللافت للنظر قول أحد النقاد: أنه إذا كان النقد عموما يعني دراسة الأثر الفنّي للنّص الأدبي من حيث الشّكل والمضمون[2]، أمّا الشكل فيتعلق بالألفاظ والتراكيب والصياغة والأسلوب، أما المضمون فيتعلق بوضوح المعاني وغموضها، عمقها وسطحيتها، تعقيدها وبساطتها، صورها وأخيلتها، صدقها وكذبها، بل أوجه المبالغة فيها ونوع المعاناة[3].

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 35.

[2] – المرجع نفسه، ص ص 45، 46.

[3] – المرجع نفسه، ص.ن

فإذا كان ما تقدّم هو ميدان النقد الأدبي في نظرته إلى الفنّ عامة وإلى الشعر خاصة، فإنه قد أثيرت أهمّ القضايا والمشكلات التي وقف عليها النقاد التي تمثلت لهم فيما بعد قضايا نقدية ذات مصطلحات اتفق عليها وتداولها النقاد في كتاباتهم ومؤلّفاتهم، فنجد توافق الآراء فيما بينهم حينا واختلافها حينا آخر بينما تتفاوت أحيانا في تكوين ثقافة كل ناقد، وبذلك ازدهرت الحركة النقدية وبرزت كثير من المصنفات والكتب والرسائل اختصت كلها في قضايا الشعر ودرست كثيرا من خصائصه ومصطلحاته[1].

وممّا لا ريب فيه أن "ابن رشيق واحد من أبرز هؤلاء النقاد الذين لم يكتفوا بجمع تلك المسائل النقدية ذات الموضوعات الكبرى التي شغلت النقاد، وكانت وراء اختلافهم أو اتّفاقهم كقضايا اللفظ والمعنى، الطبع والصنعة، القديم والجديد، والروية والفطرة، الابتكار والاجترار، والإيجاز والإسهاب، والصدق والكذب، والجزالة والسهولة، وعناصر التقويم الأدبي، والسرقات الأدبية والفحولة وشروطها[2]، بل اخترعوا لها مصطلحات نقدية ،فضلا عن أن صاحب العمدة قد واجه تلك النصوص وقام بدراستها مفسرا ومحلّلا ومعلّلا ومعبّرا، عن موقفه إزاء ما يستحسن منها وما يستهجن[3].

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص.ن

[2] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب،ص 123.

[3] – عبد المالك الشامي، النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والمصطلح، منشورات آنفو برانت، ص 250.

وتجدر الإشارة إلى أن ما سبق ذكره من تلك القضايا ومثيلاتها عرفت ولا شك طرقا في الأفكار بين منتصر لبعضها ومعارض، وبين مفصل وموجز، لذلك لا مناص من القول أن داخل كل مصطلح من مصطلحات هذه القضايا نشأت مصطلحات مواكبة، تارة تأتي للشّرح والتّفصيل، وأخرى للتجزيء والتمييز[1].فابن رشيق على ما يبدو قد اتفق مع النقاد القدامى في تحديد ماهية الشعر –كلام موزون مقفى– غير أنه انفرد عنهم حين رفع الشعر إلى درجة الإبداع مما يدلّ على أنه كان أكثر فهما ووعيا وأدقّ نظرة في فهمه للعملية الإبداعية، ولابد من الإشارة إلى حدّ الشعر لابن رشيق حينما عرّفه بقوله: "والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية: قراره الطبع، وسمكه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدربة، وساكنه المعنى لا خير في بيت غير مسكون وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية، أو كالأواخي والأوتاد للأخبية، فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هو زينة مستأنفة ولو لم يكن لا يستغني عنها"[2] .

انطلاقا من تعريفه هذا نجد أنّه يؤسّس لطبيعة الإبداع الشعري الذي جمع جلّ خصائصه التي تمثّلت في: الطبع ، الرواية ،العلم ، الدربة ، المعنى ،دون أن يغفل الوزن و القافية ،فالإبداع الشعري يقوم على شيئين لاغنًى لأحدهما عن الآخر:

[1] – عبد المالك الشامي، النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والمصطلح، ص.ن

[2] – ابن رشيق، العمدة،ج1، ص 212.

أ- **الشكل**: بما فيه من الألفاظ المختارة المستظرفة والمبتدعة والأوزان والقوافي.

ب-**المعنى**: المخترع المبتكر الذي لم يسبق إليه.

وابن رشيق –كما هو معلوم- ناقل لآراء السّابقين إلّا أنه أضاف إلى ما ذكره سابقا مصطلحا آخر[1] يحدد ماهية الشعر أخذه من إسحاق إبراهيم الموصلي حين سأل أعرابيا عن أشعر الناس؟،فقال :"الذي إذا قال أسرع ، و إذا أسرع أبدع، وإذا تكلم أسمع، وإذا مدح رفع، وإذا هجا وضع"[2]، ولا يفوتنا أن ننوه أن باب "حد الشعر وبنيته" من أهمّ الأبواب التي حدّدت المصطلحات النقدية للشعر بعدما اختلفت وجهات نظر النقاد في تحديد مفهوم الشعر وحقيقته، وذلك تبعا لاختلاف قدراتهم الفطرية وتنوع مذاهبهم الفكرية، فابن رشيق جعل النية أمرا ضروريا يسبق بقية مقوّمات الإبداع الذي أورد صاحب العمدة بعض أدواته نذكر منها:

"التوليد والاختراع" وهما مصطلحان ولّدا الكثير من الصراعات النقدية، إذ رأى فيها بعض النقاد خروجا عمّا ألفوه من قواعد تمّ خرقها من قبل الشعراء المولّدين الذين أتوا بمفاهيم جديدة للشعر لم يتقبلها الذوق العام الذي تعود عليه القدماء ممّا يدفعنا للقول أنه كان لهذه الحركة تأثير قوي في

[1] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب،ص 66.

[2] – عبد المالك الشامي، النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والمصطلح، ص 213.

الإبداع الشعري حثّت ابن سلام الجمحي على تقسيم الشعراء إلى جاهلين وإسلاميين ووضع أساسا اعتمده في ترتيب شعرائه هو المقدرة الإبداعية التي تبدو من ناحيتين[1]:

1. كثرة ما أثر عن الشاعر من شعر.
2. تعدد الأغراض التي يقول فيها الشاعر.

ويلاحظ تذبذب النقاد من حيث ترتيبهم للشعراء -"طبقات الشعراء"- المحدثين وبيّن فضلهم ومدى اهتمام الناس بأشعارهم حيث رتّب الشعراء في مجموعات حسب اتجاههم في نظم الشعر وموضوعاته[2]، أما ابن طباطبا في "عيار الشعر" فقد غير منهجه ،حيث بحث في طبيعة الشعر نفسه وقضاياه الفنية من ناحية إبداعه وبنائه في الألفاظ والمعاني والتشبيهات والسرقات ثم انتصر للمحدثين، أما ابن شرف فقد لوحظ أنه لم يضبط منهجية محدّدة في تصنيف الشعراء حينما استعرض أشعارهم، فأحيانا أجمل طائفة لأنها تشترك في خصائص واحدة كما فعل مع شعراء الغزل العذري، ومن الشعراء الجاهليين اختار شاعرين كبيرين هما امرؤ القيس الذي أبدى إعجابه به وزهير بن أبي سلمى فتتبع هفواته، بينما اختلف الأمر عند ابن رشيق الذي استطاع أن يستفيد من كل النقاد رغم تكراره أحيانا آراء النقاد متأثّرا بمناهجهم، فمن حيث المنهج صنف بدوره الشعر إلى أربع طبقات "جاهلي قديم ومخضرم وهو الذي أدرك الجاهلية والإسلام، وإسلامي ومحدث، ثم صار المحدثون

[1] - إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص 64.

[2] - المرجع نفسه، ص.ن

طبقات: أولى وثانية على التدريج"[1] ، لكن هذا التصنيف كان فيه ابن رشيق أبعد نظرة، وأكثر تفهما وعمقا ممن سبقه، فنظر في هؤلاء جميعا وصنفهم إلى أربعة شعراء حسب طبيعة إبداعهم على أساس الجودة والرداءة شاعر مفلق، شاعر مطلق، شويعر وشعرور، والمفلق هو الذي يأتي في شعره بالفلق وهو العجب، وقيل الفلق: الداهية"[2]،فابن رشيق لم يختلف عن غيره من النقاد قديما ،حينما قاموا بتصنيف الشعراء طبقات ثلاث: الشاعر والشويعر، والشعرور، غير أن ابن رشيق أضاف طبقة أخرى وهو يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره، وسئل رؤبة عن الفحولة قال: هم الرواة، وشاعر مفلق، وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجود كالخنذيذ في شعره وشاعر فقط، وهو فوق الرديء بدرجة وشعرور وهو لا شيء"[3].

وعلى هذا الأساس يرى صاحب العمدة أن الشاعر المبدع في:

مفهومه هو الشاعر المفلق لأنه يأتي بالعجب في شعره، والعجب عنده الجديد الذي لم يسبق إليه، وهو ما اصطلح عليه بالإبداع"[4]، والإبداع كما يرى النقاد –له جانبان في المصطلح النقدي هما[5]:

[1] – ابن رشيق، العمدة،ج1، باب في "الشعر والشعراء"، ص 199.

[2] – المصدر نفسه ، ص 202.

[3] – المصدر نفسه، ج1، "باب حد الشعر وبنيته"، ص 202.

[4] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص 25.

[5] – عبد المالك الشامي، النقد الأدبي في الأندلس، ص 256.

1. التعبير عن ابتكار مصطلح نقدي جديد ينطلق من وجود ظاهرة أدبية تستدعي مثل هذا الابتكار، كالموشح والزجل وما تفرع عنهما من أنماط خاصة ذات تسميات معينة في الأدب الأندلسي.

2. الإبداع في بنية المصطلح ذاته، وإخراجه من إطار ينقل المعنى اللغوي الأصل إلى معنى آخر أو إطار مفرد أو مركب يصور الحالة المطلوب التعبير عنها عوض أن يبحث له عن مقابل لغوي :"مفرد أو مركب".

ولعلّ ابن رشيق قد نحى هذا النحو في أبواب عمدته، فيذكر ما يخص الإبداع الشعري من مصطلحات نقدية تفسر العملية الإبداعية، وهي "التوليد، الاختراع، الإبداع"، فالتوليد عنده أن يستخرج الشاعر من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة، فلذلك يسمّى التوليد وليس باختراع[1]، وحسب هذا التعريف يلاحظ أنه تطوّر لمفهوم المحاكاة بالكيفية التي بينها الناقد، فالشاعر حين يستمد مادته بتوليد المعاني والألفاظ ممّن سبقه، فهو يحاكي بطريقة أو بأخرى من سبقه، والتوليد بهذا الشّكل يمنح للمبدع صورة حرية إعادة صياغة الأحداث بحيث يبدو في صورة أفضل فيضيف إليه حسنا من شأنه أن يجعله مسايرا للواقع الذي ينفعل به[2].

[1] – ابن رشيق ، العمدة ، "باب المخترع والأديب"،ص159

[2] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص 71.

وبطبيعة الحال هذا يحتاج من الشاعر الحاذق البديهة والارتجال، فالبديهة هي التي تجتمع فيها السرعة مع إعمال الفكر والروي، ويكون فيها حظ الارتجال، فالبديهة فيها: الفكرة والتأييد، أو التدعيم أما الارتجال ما كان اهمارا وتدفقا لا يتوقف فيه قائله[1]، وهو تقارب بين مصطلحين جعله ابن رشيق من سمات الشاعر الحاذق .

وحرصا على إعطاء صورة كاملة متكاملة حول المفاهيم والمصطلحات النقدية لدى صاحب العمدة حري بنا أن نتطرق إلى موضوع السرقات الشعرية التي ميزها –ابن رشيق– أنواعا ثلاثة تفرعت عنها مصطلحات نقدية أخرى تدل على طرق الإبداع وتختلف من شاعر لآخر، وهو ما عرضه ابن رشيق تحت عنوان أنواع السرقات[2] التي شهدت تبحرا من قبله، حيث عرفها وأتى لها بشواهد وأمثلة وأضاف إليها مصطلحات نقدية أخرى صارت في مفهومها أقرب إلى علم البديع منها إلى النقد نذكر منها :"الاصطراف، الانتحال، الإغارة، الغصب، المرافدة، الاهتدام، الالتقاط والتلفيق، كشف المعنى، المجدود"[3].

لكن بصرف النظر عن كثرة المصطلحات وانتمائها إلى عالم البديع، يتضح لنا أن السرقات الشعرية ارتبطت ارتباطا وثيقا بحسن الابتداع ذو صلة بالإبداع الشعري نتيجة حفظ ديوان العرب

[1] – ابن رشيق، العمدة، ص 317.

[2] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص ص 59، 60.

[3] – المرجع نفسه، ص 59.

والأخذ منه بما يحرك الطاقة الكامنة في الذات المبدعة أو من طريقة قوة التمييز الفطرية في الاختراع للمعاني لينتهي الناقد إلى مائة باب عندما أضاف إلى قائمة المصطلحات النقدية السبعة أخرى :"الاتساع، الإطراء، التفريغ، الترديد، التتبيع، نفي الشيء بإيجابه"[1].

بناء على ما تقدم نلتمس اعتماد صاحب العمدة على التمايز الذي يفرض على الباحث بطبيعة الحال أن يقوم أولا بعملية إحصاء وتبويب لمادة قضايا النقد واختلافها بحسب الزمان والمكان، ثم مصطلحات الإبداع، شعرا كان أم نثرا ثم مصطلحات المواقف النقدية بغض النظر عن طبيعة تكوينها وصورها العامة"[2].

وعليه يمكننا القول أن وظيفة تلك المصطلحات بالنسبة للبلاغة والنقد تتجلى في: بناء الدرس البلاغي والنقدي، وتوجيه مسار النقد، وتقعيد قواعد البلاغة، وإغناء الدراسات الأدبية إلا أن الباحث والمهتم بالأدب والدراسات المصطلحية سيلاحظ كثرة التدخلات والتفريعات للمصطلح الواحد الذي يستعمل استعمالات متعددة، تعود ربما إلى عدم إخضاع المصطلح إلى شروط وضوابط "الاصطلاح" خلال اكتشاف المصطلح ووضعه، فتحديد المفهوم لأيّ مصطلح خطوة هامة في سبيل ضبطه وقضاياه[3].

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص ص 59، 60.

[2] – عبد المالك الشامي، النقد الأدبي في الأندلس،ص 250.

[3] – المرجع نفسه، ص.ن

وللتوضيح أكثر بخصوص معاني بعض المصطلحات النقدية [1]على المستويين النظري والإجرائي ارتأيت جمعها في جدول يضمّ تعريفات خاصة بها مصحوبة ببعض النماذج حتى يتسنّى للمتلقي إدراكها ثم ممارستها في العملية النقدية.

المصطلحات النقدية	مفهومها	نماذج من الأدب
الاصطراف	هو أن يعجب الشاعر ببيت الشعر فيصرفه إلى نفسه	
الاجتلاب والاستلحاق	أن يعجب الشاعر ببيت الشعر فيصرفه إلى جهة المثل .	قال عمرو ذو الطوق: **صددت الكأس عنا أم عمر.** **وكأن الكأس مجراها اليمينا.** **وما شر الثلاثة أم عمرو.** **بصاحبك الذي لا تصحبينا.**

[1] - عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 123..

الانتحال[1]	أن يعجب الشاعر ببيت الشعر فيدعيه جملة إن كان يقول الشعر، أما إن كان غير ذلك فهو مدع غير منتحل.	قال الفرزدق في بني ربيع ثم أخذه البعيث بعينه: **تمنت ربيع أن يجيء صغارها.** **بخير وقد أعيا ربيعا كبارها.**
الإغارة	أن يضع الشاعر ويخترع معنى مليحا فيتناوله من هو أعظم منه ذكرا وأبعد صوتا فيروى له دون قائله.	كما فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه الناس ينشد: **ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا.** **وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا.**
الغصب	مثل الإغارة إلا أن صاحب الشعر يتركه للغاصب ويرويه له.	سمع الفرزدق على البيت ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره[2]: **فما بين من لم يعط سمعا وطاعة.** **وبين تميم غير حز الحلاقم.**

1- عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي،ص.ن

2 -المرجع نفسه ،ص.ن

		فقال له والله لتدعنه أو لتدعن عن عرضك، فقال: خذه لا بارك الله لك فيه.
المرافدة	أن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له.	كما فعل جرير مع ذي الرمة حينما قال[1]: **يعد الناسبون إلى تميم.** **بيوت المجد أربعة كبارا.** **يعدون الرباب وآل سعد.** **وعمرا ثم حنظلة الخيارا.** **ويهلك بينها المرء لغوا.** **كما ألغيت في الدية الحوارا.**
الاهتدام	هو أخذ ما دون البيت ويسمى أيضا النسخ. أخذ كثير القسم الأول و	قول النجاشي[2]: **وكنت كذي رجلين رجل صحيحة.** **ورجل رست فيها يد الحدثان.**

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص.ن

[2] – المرجع نفسه ، ص.ن

	اهتدم باقي البيت فجاء المعنى في غير اللفظ قال.	**وكنت كذي رجلين رجل صحيحة.** **ورجل رمى فيها الزمان فشلت.**
النظر والملاحظة	أن يتساوى المعنيان دون اللفظ ويخفى الأخذ.	قول المهلهل: **أنبضوا معجس القسى وأبرقنا.** **كما توعد الفحول الفحولا.** نظر إليه زهير بقوله: **بطعنهم ما ارتموا حتى إذ اطعنوا.** **ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا.**
الإلمام	وقد يسمى التغاير وهو أن يتضادا المعنيان ويدل أحدهما على الآخر[1].	قول أبي الشيص: **أجد الملامة في هواك لذيذة.** **حيا لذكرك فليلمني اللوم.**

[1] – ابن رشيق، العمدة، ج2، ص ص 103-287.

الاختلاس	يسمى أيضا نقل المعنى لأنه ينقل من غرض إلى غرض.	مثل قول أبي نواس[1]: **ملك تصور في القلوب مثاله.** **فكأنه لم يخل منه مكان.** اختلسه من قول كثير: **أريد لا نسى ذكرها فكأنها.** **تمثل لي ليلى بكل سبيل.**
الموازنة	وهي أخذ بنية الكلام فقط.	مثل قول كثير: **تقول مرضنا فما عدتنا.** **وكيف يعود مريض مريضا؟.** وازن في القسم الآخر قول نابغة بني تغلب: **بخلنا لبخلك قد تعلمين.** **وكيف يعيب بخيل بخيلا.**

[1]- ابن رشيق، العمدة، ج2، ،ص.ن

العكس[1]	أن يجعل مكان كل كلمة ضدها.	مثل قول ابن أبي قيس-ويروي لأبي حفص البصري: **ذهب الزمان برهط حسان الألى.** **كانت مناقبهم حديث المغابر.**
الموارد	هي أن يتفق الشاعران في اللفظ والمعنى دون أن يسمع أحدهما يقول الآخر.	كبيتي امرئ القيس وطرفة، وقد سئل المتنبي عن مثل ذلك فقل :"الشعر جادة وربما وقع على موضع الحاضر".
الالتقاط والتلفيق	وقد يسمى الاجتذاب والتركيب وهو أن يؤلف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض.	قول يزيد بن الطرية: **إذا ما رآني مقبلا غض طرفه.** **كأن شعاع الشمس دونا يقابله.** فأوله من قول جميل: **إذا ما رآني طالعا من ثنية.** **يقولون: من هذا وقد عرفوني.**

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي ،ص 208، 209.

كشف المعنى	هو توضيحه أكثر.	قول امرئ القيس[1]: **نمس بأعراف الجياد أكفنا.** **إذا نحن قمنا عن شواء مضهب.**
الشعر المجدود	هو الذي اشتهر أكثر من أصله.	قول عنترة العيسى: **وإذا صحوت فما أقصر عن.** **وكما علمت شمائلي وتكرمي.** فقد رزق جدا واشتهارا على قول امرئ القيس: **وشمائلي ما قد علمت وما.** **نبحت كلابك طارقا مثلي.**

1- ابن رشيق، العمدة، ج2، ص ص 103-287

1-بعض المفاهيم والمصطلحات النقدية لابن رشيق في القرن الخامس الهجري[1]:

قد يعتقد البعض أنّ المفاهيم هي نفسها المصطلحات النقدية لكنّ حقيقة الأمر مختلفة كليّا ، لذا كان لابدّ من التنويه لهذه القضية حتى نستطيع التفريق بينهما أمّا :

1-أ-المفاهيم :و هي الأفكار العامّة و العميقة ، فالمفهوم مسألة تختلف في تمثّلها و تصوّرها الإجرائي و التطبيقي مثلا الديمقراطية أو الدولة أو الحرية مفهوم سياسي له فهم عند الرأسماليين و فهم عند الاشتراكيين وغيرهم من المذاهب ممّا يجعله يختلف حوله حسب المرجعية الأيديولوجية التي تتبناها كل جهة .

1-ب-المصطلح : كلمة تعارف النّاس على ربطها بشيء له وظيفة و ينتج عن التقليم والمهم أنّ المصطلحات لا تختلف في إدراك معانيها و من ثمّ لا تختلف في طريقة استعمالها إطلاقا و منه يمكن القول أنّ المصطلحات هي الكلمات أو العبارات التي نستخدمها للإشارة إلى تلك الأفكار بشكل محدّد في سياق معيّن

[1]-علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، و تطوره،ص 448

المفاهيم النقدية		المصطلحات النقدية
المعنى	بمثابة الروح وله دور في جمال الكلام.	-الطبع-الصنعة-التكلف-الرواية-التنقيح-البديهة-الارتجال-التثقيف-التتبيع-الاتساع-الابتكار-الإبداع-التوليد-الاختراع-التفريع-الإطراء-الترديد-الإشحال-الإغارة-الغصب-المرافدة-الاهتدام-العكس-المجدود-الالتقاط والتلفيف-كشف المعنى-الموارد-الاجتلاب والاستلحاق-النظر والملاحظة-الإلمام-الموازنة.
اللفظ	بمثابة الجسد وله أيضا دور في جمال الكلام.	
التركيب	أكد التقليد الذي قامت عليه الجملة العربية ورفض التقديم والتأخير حين يغمض المعنى.	
البلاغة	وفق بين حسن الصورة اللغة الدلالية ضمن علاقة آلية بين اللفظ والمعنى بروحية يونانية (الروح بالجسد).	
الصور البلاغية	رأى رأي قدامة في التشبيه واعتمد عمود الشعر في	

	الاستعارة.[1]	
الشعرية	اتبع عمود الشعر القديم وإن أطل بشكل خجول على الغموض والإيحاء.[2]	

[1] علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، و تطوره،ص448

[2] –المرجع نفسه ،ص.ن

الفصل الثّاني

التّصور النّقدي لابن رشيق وفاعليّته في تطوّر الخطاب النّقدي المغاربي

تمهيد :

يعدّ ابن رشيق القيرواني من بين أكثر النّقاد المغاربة شيوعا على الصعيد النّقدي عموما وربّما يعود السبب في ذلك إلى التّصور النّقدي الذي طرحه عبر مؤلفات له من ضمنها "العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ،" أنموذج الزّمان في شعراء القيروان "،و"قراضة الذهب في نقد أشعار العرب "وغيرها من المؤلفات التي ضاع معظمها نظرا لعوامل عدة، لكنها مؤلفات كشفت بشكل واضح عن رؤية ابن رشيق النّقدية حول بعض القضايا التي أثارت جدلا في أوساط النّقاد كقضية اللّفظ والمعنى، القديم والمحدث ،الطبع والصّنعة ،السّرقات الشّعرية وكذا قضيّة الشّعر والنّثر ،ليبرهن لنا جليّا قدرة الشّاعر والنّاقد ابن رشيق على بلورة تصوّره النّقدي، أي بلورة مفاهيمه وأفكاره وآرائه النّقدية التي أخضعها لمبادئه وأسلوبه النّقدي الفريد الذي حظي باهتمام كبير من قبل النّقاد الذين شهدوا له سعة ثقافته وحسن اطلاعه على مختلف الآراء النّقدية التي تشرّبها بعد أن غرف من معين الكتب التي استقى معارفه منها خاصة كتب النقد المشرقية ثم أعاد إنتاجها على الصيغة التي رآها مناسبة فيما اهتدى إليه من أفكار ورؤى نقدية كان فيها هو إمام نفسه ،حيث عالج تلك القضايا انطلاقا مما اكتسبه من معارف وظّفها بأسلوبه الذي استطاع من خلاله جذب العديد من الأدباء والنّقاد إليه ليقتنص بذلك مكانته النّقدية بينهم ،وقد أثّر ذلك بطبيعة الحال على الفكر النّقدي المغاربي الذي تطور خطابه كثيرا بعد ذلك.

وتماشيا مع ما تم ذكره نجد أنّ تطور الخطاب النّقدي المغاربي قد تمثل في تباين واختلاف بعض النّقاد حول رؤيته ومدى فاعليتها إلى درجة بلغت ببعضهم –النقاد– وصفه بمجرد راوية للأفكار النّقدية لا أقل ولا أكثر في حين رآه البعض الآخر نقطة تحوّل بالنسبة للنّقد المغاربي الذي عرف مع ابن رشيق استقلالية لم يعهدها من قبل كما ابتدع بعض المفاهيم والمصطلحات النّقدية لازالت حينما تذكر يذكر معها ابن رشيق كالمواردة ،وكشف المعنى ،والاختلاق، والاختلاس ،والمرافدة ،الإبداع ،والتّوليد والاجتلاب، وغيرها ،رغم أن بعض النّقاد زعموا أنّها مجرّد زوبعة من المصطلحات التي لم تكن برأيهم ذات تأثير كبير في عالم النّقد ،في المقابل نجد العديد منهم قد اعتبروها مساهمة في تجديد الخطاب النقدي المغاربي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ معالجة ابن رشيق لمسألة الطبع والصّنعة من أكثر المسائل التي لقيت استحسانا وصدى واسعا في عالم النّقد ، إذ أنه قد فصّل فيها معتبرا كلاهما مطبوع ،لكنه أضاف إليهما نوعا آخر أسماه بالمتّكلف الذي عاب عليه الكثير من شعراء المولدين الذين انجروا وراءه بكثرة رغم أنّ ابن رشيق من الشعراء المولّدين غير أنّ هذا لم يمنعه من نقدهم بشكل صريح ، الأمر الذي أوحى إلينا أنّه التزم الموضوعية في نقده .

وعليه يمكن القول أنّ التّصور النّقدي لابن رشيق كان محطّ أنظار واهتمام النّقاد والأدباء والعلماء كشخصية فذّة استطاعت توجيه الأنظار إليها لتكون بذلك محرّكا ومسهما في تطوّر الحركة النّقدية عامّة والخطاب النّقدي المغاربي خاصّة .

I- رؤية ابن رشيق النّقدية من خلال مؤلّفاته العمدة "أنموذجا"

أ-آراء ابن رشيق النقدية حول قضايا نقدية مثل: اللّفظ والمعنى الطّبع والصّنعة –السّرقات الشّعرية:

1-اللّفظ والمعنى:

يبدو أن قضيّة اللّفظ والمعنى قد احتلت حيّزا واسعا من اهتمام النّقاد الأوائل خاصّة النّقاد العرب، حيث ركز الحديث عنها، فهي بالنسبة لهم مسألة حساسة يشكّل الموقف منها الأساس الذي يحدّد المواقف الأخرى المتعلقة بسائر المستويات النّقدية فاللّفظ" والمعنى" يشكلان نسغ الحياة الجاري في عروق الكلام[1]".

*اللفظ: هو التآليف والنظم أي الصياغة بما يتضمنه من لفظ ووزن وروي.

*المعنى: هو الفكرة التي يبين عنها البيت أو القصيدة.

وعلى هذا الأساس نجد أن النّقاد قد انقسموا في رأيهم إلى ثلاثة أقسام[1]:

-قسم اهتم بالألفاظ وفضلها على المعاني.

-قسم اهتم بالمعاني وفضلها على الألفاظ.

-قسم اتخذ موقفا معتدلا واعتبرها بمثابة الروح للجسد.

ولا يخفى على أحد أن بعض النقاد المغاربة كأبي إسحاق إبراهيم الحصري، وأبو عبد الله ابن شرف –الذي سنتعرض له فيما يلي من الفصول- وأبو جعفر القزاز قد اكتفوا بلمحات خاطفة لا تسمن ولا تغني من جوع- حسب بعض النقاد- دون أن يفوتنا ما أورده عبد الكريم النهشلي الذي كان من أنصار جماعة القائلين بتقديم الألفاظ وتفضيلها على المعاني، وقد لاحظ ابن رشيق نفسه ذلك على أستاذة حين قال :"وكان عبد الكريم يؤثر اللفظ على المعنى كثيرا في شعره وتآليفه[2]:

استنادا إلى هذا النص فإنّ هناك انسجام بين عبد الكريم النّهشلي و الجاحظ في رأيه ذاك، و هذا من الأمور التي لا يحرص عبد الكريم النهشلي في إخفائها،فما يعرف عن هذا الأخير نزاهته في إبدائه لآرائه النّقدية سواء أكانت موافقة أم مخالفة له دون تعصّب منه،في حين ما يعاب عليه حقيقة هو تقديمه لهذه القضيّة باختصار دون إيراد تعليل على تفضيله للألفاظ فليس من النّقد حسب الدكتور

[1]- علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص 113.

[1] - بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 169.

[2] - ابن رشيق، العمدة،ص 127/1.

بشير خلدون البتّ في مسألة كهذه بكل بساطة في عبارة موجزة وغامضة لاسيما وأنه كان شاعرا وأدبيا وناقدا، بل حبّذا لو تطرّق للموضوع بشيء من التّعمق والتّفصيل دون إغفال الجانب التّحليلي والتّعليلي له[1] ،لكنّنا في المقابل لا نجده مثل هذا النّقد يطال ابن رشيق الذي يشبه إلى حدّ كبير أستاذه عبد الكريم فيما يخص بعض القضايا النقدية وأجد نوعا من المبالغة والتعظيم في تقدير الكاتب لآراء ابن رشيق النقدية، وهذا ما ينفي بالتالي صفة الموضوعية عن الكاتب في طرحه للموضوع مع أننا نعترف بأن الأمر يختلف نوعا ما عند ابن رشيق الذي يورد لنا رأيه بكل وضوح، إذ أنه خصّص بابا مستقلا حول اللّفظ والمعنى دعاه "باب في اللّفظ والمعنى"[2]حيث قال: اللّفظ جسم روحه المعنى، وارتباطه كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوّته، فإذا سلم المعنى واختلّ بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه ... وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كانت اللفظ من ذلك أوفر حظا ... ولا نجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم ... فإن اختل المعنى كله فسد بقي اللفظ مواتيا لا فائدة فيه وإن كان حسن الطلاوة في السّمع وكذلك إن اختل اللّفظ وتلاشى لم يصح له معنى"[3].

[1] – ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص172

[2] – ابن رشيق، العمدة،124/1.

[3] – المصدر نفسه، ص. ن.

وعليه يمكن القول –حسب هذا الرأي- أن ابن رشيق يصنف ضمن دائرة القسم الثالث التي تقف من هذه المسألة موقفا معتدلا ضمن منظوره أن لغة الشعر لا تتحقق إلا في ائتلاف اللفظ والمعنى معا، لكن موقفه هذا لم يدم طويلا بالنّظر إلى إعطائه الأولوية للألفاظ على حساب المعاني وذلك حينما صرح بأن أكثر الناس يميلون إلى العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف، أما المعاني فهي موجودة في طباع الناس يستوي فيها الجاهل والحاذق[1]، فالمعنى لا يأتيه الخلل والفساد من جهة اللفظ أي: كلّما كانت الألفاظ جميلة ومختارة، كان المعنى جميلا فإن اختلت الألفاظ اختل المعنى، فالعلاقة بين اللفظ تكاد تكون جدلية كما لو كان يرى بعض النقاد مثل ابن طباطبا" ، والحاتمي لكنه مع ذلك، فإن الألفاظ قد تبقى مواتا لا قيمة لها إذا اختلت معانيها[2].

وخلاصة القول أن ما أورده ابن رشيق يوضّح لنا بما لا يدع مجالا للشّك أن اللفظ مرتبط بالإبداع ووجوه استخدامه حسب ما فسّره الدّكتور عبد المالك مرتاض :"وحين تربط الأسلوب ربطا محتوما بالمبدع ،فإنّما يكون ذلك على أساس أنّ الأديب هو المبدع الخلاق الذي يعشق الألفاظ ويحسن التّعامل معها بجمالية راقية أو قل إن شئت: إنّ الأديب متفنن يرسم بالألفاظ[3]: وأخص بالذكر الشّعرية منها، فهي تلك التي ينتقيها في نظمه لا تشبه ما يختاره في حديثه العادي كما من

[1] – ابن رشيق، العمدة، 127/1.

[2] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 175.

[3] – عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ط3، 2002م، ص 165.

شأنها أن تكون موحية مصورة، قليلة التّداول تدلّ على أنّ الشّاعر انتقاها لغرضه ومعناه[1]، وفي معرض حديث ابن رشيق عن أنواع الحركة الإبداعية للّفظ وذلك ضمن تتبّعه لحركته وما تتركه من أثر فنّي في البيت الشّعري أوجزها فيما يلي:

أ-من ينقل اللّفظ بعينه على معنى موصوف آخر[2]: ويتجلى هذا في قول امرئ القيس يصف الديار (طويل)

كما خطّ عبرانية بيمينه بتيماء حبر ثم عرض أسطرا[3]

يظهر إعجاب الشاعر بلفظ "عرض" كأنه قال أدقّ السّطور، فصار كأنه معرض مخف لم يظهر و لم يصرح[4]، وهو ما جعل ابن المعتز يأخذه ويوظفه في وجه آخر

بدت في بياض الآل والبعد دونها كأسطر رق أعرض الخط كاتبه

وهو عنده "أوضح العبارة وأبرز المعنى"[5] كأسطر رق أعرض الخط كاتبه، وفي عجالة تشير إلى أن سبب اختيار ابن رشيق للشاعر امرئ القيس دونا عن بقية الشعراء باعتباره مبدعا من الدرجة الأولى، فرفع من شأنه وخصّه بجلّ آرائه النّقدية في كتابه "قراضة الذهب" ،حيث يرى أنه أبدع نماذج من

[1] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص ص 78، 79.

[2] – أبو الحسن ابن رشيق، قراضة الذهب في نقد أشعار العرب،مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، 1926، ص 73.

[3]– امرؤ القيس، الديوان(129ـــ140) حقّقه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة.

[4]– المصدر السابق، ص 73

[5]– المصدر السابق، ص ص 73، 74.

التّعبير لم يسبقه إليها أحد قبله فهو "أول من شبّه الخيل بالعصيّ والوحش بالطّير، وأول النّاس من قيد الأوابد وأول من قال كذا وكذا"[1]، فنتيجة لذلك كان "الإبداع المعيار النّقدي الوحيد ولازال في تفضيل شاعر على آخر فعلى قدر إبداعه تكون مرتبته من الجودة والإحسان"[2]،فالشعر –برأيه- هو ما أطرب وهز النفوس وحرّك الطباع"[3]، لذلك كان يفضل ابن رشيق الاعتناء بالألفاظ على تجويد المعنى، لعله من أجل ذلك ألزم الشعراء بوجود ألفاظ شعرية لا يجوز لهم أن يتعدوها لغيرها، وأبعد الفلسفة ونقد فيها شعر طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام ف–بنظر النّقاد- كانت موجزة جدا[4] ،ولا ترتقي إلا بمثل ابن شرف الناقد الذي له مترلته ووزنه في عالم النّقد خاصّة المغربي، في المقابل ينظر –آخرون- إلى ابن شرف كناقد محايد يذكر الحسنات والسيئات، فهو يبصر الأديب جملة ويرى نواحيه مجتمعه لا تقعد به سيئاته عن ذكر حسناته ولا تشغله حسناته عن سيئاته، ولا مناص من القول أنه نقد جملي –حسبه- ليكن هذا الأديب أمير الشعراء الجاهليين أو ليكن زهير وهما قمة القدماء، فالمسألة ليست قدامة أو حداثة بل جودة أو رداءة بصرف النظر عن إطارها الزماني وليس له اعتبار النقد إلا بمقدار مراعاته للصورة وهذا برأيي ما ينبغي أن يكون.

---

[1] – ابن رشيق، العمدة، ج1، "باب المخترع والبديع"، ص 416.

[2] –إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، (مقدمة الكتاب).

[3] – المصدر السابق، 128/1.

[4] – ينظر: عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 232.

2-الطبع و الصنعة :

يقرر ابن شرف في مستهل حديثه أن السرقة هي واحدة من عيوب الشعر غير محمودة يقع فيها معظم الشعراء إن لم نقل كلهم، فلا يستطيع أحد أن يدّعي السلامة منها كما قال ابن رشيق، لهذا لم يغفل ابن شرف القيرواني مشكلة السرقات بل "خصها بنص موجز ولكنه واضح ومتعدد التفريعات"[1].

فبالعودة إلى عيوب الشعر التي ذكرها يقول :"ومن عيوب الشعر السرق، وهو كثير الأجناس في شعر الناس فمنها: سرقة ألفاظ، ومنها سرقة معان، وسرقة المعاني أكثر لأنها أخفى من الألفاظ ومنها سرقة المعنى كله، ومنها سرقة البعض، ومنها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى وهو أحسن السرقات، ومنها مسروق بزيادة ألفاظ وقصور عن المعنى وأقبحها، ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص وأفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء للسّارق"[2].

وحرصا على توضيح المسألة أكثر لابد من التّأكيد على حقيقة وقوع السّرقة على مستوى الألفاظ وعلى مستوى المعاني لكن أكثرها شيوعا تلك التي تكون في المعاني وقد تم ترتيبها كما يلي:

[1] - بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 231.

[2] - ابن شرف القيرواني ، أعلام الكلام، مكتبة الخانجي ،ط1 ، 1926م، ص 42.

-سرقة المعنى.

-سرقة بعض المعنى.

-مسروق باختصار في اللفظ مع زيادة في المعنى.

-مسروق بزيادة ألفاظ وقصور عن المعنى.

تفسيرا "للسّرقة المحضة" على لسان ابن شرف :"يعود إلى أن فضل التّفوق والأسبقيّة فيها إلى الشّاعر الأوّل صاحب المعاني والأفكار والألفاظ التي ابتدعها، ولا شيء للسّارق[1]، وفي نفس الصدد يورد لنا بيت أبي نواس مثالا على ذلك حيث يقول:

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجدد حيث يسير[2].

وهو مسروق بتمامه من قول أبي الشيص:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس به متأخر عنه ولا متقدم.

إلاّ أنه على الرغم من تلك السرقة نجده يحكم بجودة بيت أبي الشيص فيصرح قائلا :"... بيت أبي الشيص أعلى وأطبع ومع حلاوته جزالة، وقد ذكر عن الحسن أنه قال: ما زلت أحسد أبا الشيـــص على هذا البيت حتى أخذته منه وسرقة المعاصر سقوط همة"[1].

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 232.

[2] – هذا البيت من قصيدة لأبي نواس مدح بها الخصيب بن الحميد أمير مصر (نقلا عن د. عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 237).

ويشير الدكتور عبد العزيز قلقيلة إلى عادة جرت عند بعض النقاد على الطبع مع الاهتمام بمذهب أهل الصنعة (وسبيل الحاذق بهذه الصناعة إذا غلب عليه التّصنيع أن يترك للطبع مجالا تتسع فيه)[2]، فأفضل الصنعة عند ابن رشيق تلك التي تأتي على الطّبع دون قصد "ولسنا ندفع أن البيت إذا وقع مطبوعا في غاية الجودة ثم وقع معناه في بيت المصنوع في نهاية الحسن لم تؤثّر فيه الكلفة ولا ظهر عليه التّعمّل كان المصنوع أفضلها إلا أنه إذا توالى ذلك في طباع البشر وسبيل الحاذق لهذه الصّناعة —إذا غلب عليه حب التّصنيع- أن يترك للطبع مجالا يتسع فيه، وقيل: إذا كان الشاعر مصنعا بأن جيده من سائر شعره، كأبي تمام، فصار محصورا معروفا بأعيانه وإذا كان الطبع غالبا عليه لم يبن جيده كل البينونة وكان قريبا من قريب: كالبحتري ومن شاكله"[3].

وبناء على ما تقدّم فإنه لا مفرّ من ذكر المفاضلة القصيرة التي عقدها ابن رشيق بين الطائيين، حيث أظهر من خلالها أنه "أكثر فهما لغيره من قضية التراع بين أنصار البحتري وأنصار أبي تمام، بل أنصار القديم وأنصار الجديد، وكذلك القائلين بمذهب الصّنعة، والقائلين بمذهب أهل الطبع ذلك أنه -ابن رشيق- يرى أن كلا من البحتري مطبوعا فقط ولم يكن أبو تمام متكلفا فقط ،إنما مشكل

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 237.

[2] – المرجع نفسه، ص 211.

[3] – ابن رشيق، العمدة،ج1، ص 230.

التراع وجوهر الخلاف هو في التفاوت بينهما، وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها، لكن أبا تمام كان يطلبها بكلفة ويأخذها بقوة، وأما البحتري فلا يظهر عليه كلفة ولا مشقة"[1].

ومن اللاّفت أن صاحب العمدة لم يفرّق بين المصطلحين لأنه أضاف مصطلحا ثالثا سمّاه "التّكلف" الذي حشر فيه شعر المولدين الذين انكبوا على البديع :"التجنيس والمطابقة والمقابلة" ،واعتبرهم بعض النقاد القدامى بالمتصنّعين[2]، غير أن ابن رشيق يفرق بين الصّنعة والتّكلف"، أما الصنعة فلا غنى للشعراء عنها سواء في القدماء أو المحدثين، أما التصنع فهو تكلف الصنعة، وهو التكلف دون حاجة أو زيادة الحاجة وما يتطلبه المقام"[3].

وعلى هذا الأساس "صار الفرق واضحا بين الصنعة والتكلف عند ابن رشيق، فالصنعة هنا يعني بها خضوع الشعر لمجموعة الشاعر ويكون في غاية التجويد والكمال، أما التكلف هو ذلك التعسف الواضح على الصياغة الشعرية ،كما أنه بعيد عن مقومات الإبداع إذ يبينه أسامة بن منقذ في باب التكلف والتعسّف ،فيقول :"هو الإكثار من البديع كالتطبيق والتجنيس في القصد لأنه يدل على التكلف من الشاعر لذلك فقصده إليه"[4].

---

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 207.

[2] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص 50.

[3] – محمـــد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن 5هـــ، منشأة المعارف الإسكندرية، ط3، ص 62.

[4] – المرجع السابق، ص 51.

في المقابل نجد ابن رشيق معجب بصنعة ابن المعتز إذ يصرح :"وما خفيفة لطيفة لا تكاد تظهر في بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر ،وهو عندي ألطف أصحابه شعرا وأكثرهم بديعا وافتنانا وأقربهم قوافي وأوزانا"[1]، وإن دل هذا النّص على شيء إنّما يدل على إدراك ابن رشيق للصنعة الشعرية وما يجب أن تكون عليه فهي صنعة خفيفة لطيفة بديعة تتصل بعلمي الوزن والقافية[2]، ومن المعروف أن "شعراء الصنعة والتكلف هم الذين يسعون إلى تثقيف أشعارهم ينقحون ألفاظهم ويعيدون النظر في معانيهم يزيدون أو ينقصون، كأنهم يصنعون شعرهم صناعة ويتكلفون فيه ضروربا من البيان وأنواعا من البديع يتصيدون الألفاظ الجميلة الحوشية، ويغرقون في المعاني والصور[3].

وهذا يسوقنا بطبيعة الحال إلى موقف آخر من ابن رشيق يميز فيه بين التّثقيف والتّنقيح من ناحية، والتّكلف من ناحية أخرى، لهذا لايرى عيبا في صنعة زهير والحطيئة، بل أشار إلى قيمة الصنعة التي تبلغ درجة عالية من الجمال الفني في الصياغة"[4].

[1] – ابن رشيق ،العمدة، ج1، "باب المطبوع والمصنوع"، ص 228.

[2] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص 52.

[3] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 201.

[4] – عيد بلبع، قضية الطبع والتكلف في التراث النقد والبلاغي، دار الوفاء للطباعة والنشر.

وتأسيسا على هذا الكلام يمكن القول أن ذلك يعود إلى اختلاف الشعراء من حيث الموهبة والطبع وتفاوتهم من حيث الثقافة والخبرة وتباعدهم من حيث الزمان والمكان ،نتيجة لذلك جاءت أشعارهم متباينة فيها المحافظ والمجدّد، القوي-الضعيف، وفيها المطبوع وفيها المصنوع والمتكلف"[1].

فالمتكلف –في نظر ابن رشيق- هو الذي يهتم بالألفاظ ، ويختارها بعناية ليزيّن بها قصيدته فيتصيّد البديع اصطيادا دون الاهتمام بالمعاني سواء جاءت غامضة أم ضعيفة مادامت الديباجة همّه، "فشبّه قوم أبي نواس بالنّابغة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة، وحسن الديباجة، أما بشار فقد شبهوه بامرئ القيس لتقدمه على المولدين وأخذهم عنه"[2].

ومن هذا المنطلق كانت لابن رشيق هذه الآراء في الشعراء المولّدين، فهو من أكثر النّقاد إحاطة بأدوات الإبداع من سهولة ومران ودربة فكل شاعر –حسب الدكتور محمـــد زغلول سلام- مذهبه في الصّنعة والطبع ويتصل القول بهما بالبحث في عملية الخلق الشعري نفسها وكيف تتم وما خطواتها"[3].

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 201.

[2] – ابن رشيق، العمدة، ج1، ص 229.

[3] – محمـــد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر ق 5هـــ، ص 62.

3-السرقات الشعرية:

إن قضية السّرقات الشّعرية من القضايا التي دعت أكثر النقاد والبلاغيين إلى البحث الدؤوب في قضايا النقد المختلفة، ووجوه البلاغة المتعددة، والكشف عن أسرار الطاقات الكامنة في الإبداع.

فالإبداع هو المعيار الذي يقيسون به شعر الشاعر، فعلى قدر إبداعه تكون مترلته، إذ أن المتتبّع لهذه القضيّة –السّرقات الشّعرية- في النّقد الأدبي يكتشف أنها برزت بعد ظهور الاتّجاه الشّعري الجديد، وظهور أصحاب البديع الذين قادوا حركة التجديد في الألفاظ والمعاني، فادّعوا لأنفسهم الإبداع الفني والتفرّد والسّبق فيه، حيث بحث جلهم في هذا الموضوع "تحريا لأصالة الشاعر، ومدى ابتكاره وابتداعه في فنه وأسلوبه ومعانيه وصوره، ومعرفة ما إذا كان هذا الشاعر مبدعا لم يعتمد على أحد أو مقلدا متأثرا بغيره ومدى هذا التأثر ودرجاته"[1].

ولعلّه من المفيد أن نؤكد أن قيمة الاتجاه النقدي للسرقات الشعرية تعين على تقدير الإبداع في الوحدة الشعرية، فهي أكبر عون له في ذلك، رغم أنها وصفت بالمشكلة الأخيرة نظرا لكثرة تداولها من طرف النقاد والأدباء والشعراء وأخذها حيّزا لا بأس به من اهتماماتهم ،فكان أن اختلفت وجهات نظرهم بين متسامح ومعتدل ومتطرّف بخلاف النقاد المغاربة الذين اتخذوا موقف الاعتدال

[1] – داود غطاشة وحسين راضي، قضايا النقد العربي قديمها وحديثها، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص 64.

سبيلا لهم وعلى رأسهم الناقد ابن رشيق الذي قال "أن السرق باب متسع لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه"[1].

وحتى يتّضح الأمر جليا حول مفهوم السرق لابدّ من التّطرق لمعناها اللغوي البسيط الذي يعني اختلاس ما للآخرين، أما في الاصطلاح الأدبي فهو أن يعمد الشاعر إلى أبيات شاعر آخر فيسرق معانيها أو ألفاظها، وقد يسطو عليها لفظا ومعنى، ثم يدعي ذلك لنفسه[2]،ولا أدلّ على اهتمام ابن رشيق بهذه المسألة من تأليفه كتاب قراضة الذهب في نقد أشعار العرب الذي يعالج فيه هذه القضية من زوايا مختلفة عمّن سبقوه، إذ أنّ النّاظر فيه يجد أساسه السرقات الشعرية من حيث ألفاظ الأبيات أو من حيث معانيها اللغوية، أو من حيث صورها الشعرية، أو من حيث بديعها[3].

ويلاحظ أنه قد اعتمد على النقد الجزئي الذي كان سائدا عند القدماء،[4] وقد أشار إلى ذلك الدّكتور مصطفى أبو كريشة بأنه "اتجاه طبيعي لأن إدراك الجمال الكلي في العمل الأدبي لا يتسنى إلا بإدراك الجمال في مكوناته الجزئية التي تعتبر دقائق أسراره وأعمق خفاياه، وفي إدراكها تظهر موهبة الناقد الذي لا يكتفي بالنظرة السطحية المتسرعة"[5]، لكن يبقى التساؤل المطروح لماذا لم يقدم

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 231.

[2] – المرجع نفسه، ص 217.

[3] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص 76.

[4] – يراجع البديع لابن معتز ونقد الشعر لقدامة بن جعفر.

[5] – طه مصطفى أبوكريشة، النقد العربي التطبيقي بين القديم والحديث، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، المقدمة، ص: ب.

ابن رشيق تعريفا علميا لمشكلة السّرقة وملابساتها؟ لاسيما وأنها قضية مركزية تحتاج من أي دارس أو ناقد أن يتعرض أوّلا للمفهوم قبل أن "يكلّف نفسه مشقة التّبويب والتّفريع والتّمثيل"[1] ،كما جاء ذلك على لسان أحد النّقاد،وللتنبيه فقط فإن أغلب التّفريعات التي أتى بها ابن رشيق لأنواع السرقات هي في الحقيقة أقرب إلى علم البديع منها إلى النّقد ،وقد توسّع فيها لدرجة أنها لحقت بعلوم البلاغة لأن الشعراء فيما بعد أخذوا يتفنّنون فيها ويكثرون منها"[2].

لكن بصرف النّظر عن تلك المصطلحات والمفاهيم النقدية التي تطرّق إليها العديد من النقاد نجد أن أهمّ مصطلحين ركّز عليهما ابن رشيق هما الابتكار والاختراع، أما الابتكار فمصطلح يشير إلى قدرة الشاعر على التوصل إلى شيء جديد لم يسبق إليه وهو يعني في جانب من جوانبه قدرة الشاعر على تكوين تشبيهات أو مجازات جديدة، أو ما يسمونه بالمعنى المبتكر أو المخترع، أو النادر، أو الغريب أو المبتدع .... فبراعة الشاعر يرد أساسا إلى قدرته على الاتيان بمعنى جديد مبتكر"[3].

وبطبيعة الحال هذا يشير إلى ما تفطّن إليه ابن رشيق بالنظر إلى دراسته للنصوص الشعرية من صور الإبداع اللغوي والبلاغي :"وقد دعا البحث في سرقات الشعراء إلى تحري النقاد ولأصالة الشاعر ومدى ابتكاره وابتداعه في فنه وأسلوبه ومعانيه وصوره، ومعرفة ما إذا كان هذا الشّاعر

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 230.

[2] – المرجع نفسه، ص 231.

[3] – جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، دار المعارف، القاهرة، ص ص 114، 115.

مبدعا لم يعتمد على أحد أم مقلّدا متأثّرا بغيره ومدى هذا التأثّر ودرجاته ،وقالوا إنّ اتكال الشاعر على السّرقة بلادة ،وتركه كل معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار أوسط الحالات"[1]،لهذا كان ابن رشيق حريصا في كل مرة على إصدار أحكام نقدية حتى وإن كانت عامّة في كثير من الأحيان إلا أنّها تدلّ على تحديد النّاقد في اقتدار الشاعر على الإبداع، حيث تظهر براعته في حسن تأثّر الشاعر بمن سبقوه من الشّعراء باستعمال الذّكاء والبديهة في الإخفاء بقلب لفظ أو معنى في البيت فلا تظهر سرقته[2] ، وهذا يحيلنا لا محالة من ذكر أنواع السّرقات عند ابن رشيق وهي ثلاثة:

-سرقة اللفظ مع المعنى.

-سرقة المعنى مع تغيير بعض اللفظ.

-سرقة تعتمد على تغيير بعض المعنى أو قلبه على وجهه حتى يخفيه.

إلا أن أشرفها في نظر صاحب العمدة تتمثّل في نظم النثر وحل الشعر مثلما وضع أبو العتاهية مع قول أرسطوطاليس (قد كان هذا الشخص واعظا بليغا وما أوعظ بكلامه عظة قطّ أبلغ من موعظته بسكوته)، فنظم ذلك أبو العتاهية في قوله:

وكانت في حياتك لي عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيا[3].

[1] – محمـــد زغلول سلام ،تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن 5 هـــ،ص 78.

[2] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص 124.

[3] – ابن رشيق، العمدة، 293/2، والبيت من قصيدة يرثي فيها صديقه علي بن ثابت، (أنظر ديوان أبي العتاهية، ص 453).

وهكذا يتضح أن السرقات الشعرية ارتبطت عند ابن رشيق بالإبداع الشعري ،حيث قدرت مكانة الشاعر الإبداعية عنده حسب معايير السّبق في شعره ،وما كان فيه مقلدا فيه لغيره من السابقين أو المعاصرين له، ومقدّرا ما كان مجددا فيه أصلا[1]، لاسيما وأن الإبداع في الشّعر هو خلق المعاني التي لم يسبق إليها والإتيان بما لم يكن منها قط، والإبداع إتيان الشّاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التّسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر، فصار الاختراع للمعنى والإبداع للّفظ، فإذا تمّ للشّاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع، فقد استولى على الأمر وحاز قصب السبق"[2].

وخلاصة القول أن السرقات ليست سوى منهج سلكه الناقد في تتبع العناصر التكوينية للإبداع ،فضلا عن ذلك فقد تنبه الدكتور الشيخ بوقربة للغاية التي كان يريدها ابن رشيق في دراسته لقضية السرقة :"فابن رشيق يعالج قضية تقاطع النّصوص بكفاءة فكريّة عالية، حيث يحلّل مسألة الشّعر المحفوظ في اللاوعي الشاعر، فيغترف منه لدى الإبداع ويندرج كلامه هذا في هذا السياق ضمن نظرية التّناص المبكرة عند العرب، وإن لم يطلق عليها صاحب العمدة مصطلح التناص على ذلك[3].

[1] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص.ن

[2] – ابن رشيق، العمدة، ص 119.

[3] – الشيخ بوقربة، رسالة دكتوراه الدولة: مخطوطة "مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي"، السنة الجامعية 2000/1999م، ص ص 337، 338.

علاوة على ذلك فقد تطرق لمسألة في غاية الأهمية ألا وهي الأثر النفسي الذي يقول :"يبدو أن ابن رشيق كان يؤمن بثلاث ظواهر في قضية السّرقات وهي ظواهر نفسية يمكن أن تنعكس على شعر الشاعر فتؤثر فيه، فيهتم بالسرقة وهذه الظواهر هي :"اعتماد الشاعر على ذاكرته، رواية الشعر، توارد الخواطر وتداعبها[1].

ونافلة القول أن هناك مَن يرى أنّ ابن رشيق استطاع أن يعدّد أنواع السرقة الشعرية ، ويذكر أصنافها وأجزاءها مما يدل على تفهّمه لهذه المشكلة ومدركا لأخطارها ومشاكلها رغم عدم تقديمه لشيء جديد فيما يخص هذه القضية في رأي العديد من النقاد الذين انتابهم شعور بأنهم لم يظفروا بشيء ممّا قدّمه بشأنها.

[1] – الشيخ بوقربة، رسالة دكتوراه الدولة: مخطوطة "مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي"، ص ص 338، 339.

II- أثرها في تطور الفكر النقدي المغاربي:

1-اختلاف الأحكام النّقدية حول رؤية ابن رشيق:

يبدو أنّ ابن رشيق القيرواني من الشّخصيات التي أثارت جدلا واسعا في أوساط النّقاد والأدباء نتيجة آرائه النّقدية التي ما لبث أن اختلف حولها النّقاد ، فتنوعت الأحكام والآراء النقدية بشأنه ،الأمر الذي أفضى بطبيعة الحال إلى تطوّر الفكر النقدي المغاربي ليتبوّأ مكانه في السّاحة النقدية جنبا إلى جنب مع الحركة النقدية المشرقية ،لكن من زاوية أخرى ينظر بعض النقاد إلى المساهمة النقدية لابن رشيق مجرد إعادة تدوير لما قيل سابقا على لسان النقاد المشارقة ،وبالتالي لم يستطع ابن رشيق بالنسبة لهم الإتيان بأي جديد يذكر ،فما مدى صحّة هذا القول بالنّظر إلى معالجة ابن رشيق لبعض القضايا النقدية؟.

بعد فترة زمنية طويلة مازال يُذكر و أستاذه عبد الكريم النهشلي على أنّهما أحد أعمدة النقد الأدبي المغاربي باعتبارهما قد مثّلا البنية الحقيقية للشخصية الجزائرية –على حد تعبير أحد النقاد- في مجال النقد الأدبي، ذلك أنّهما شكّلا الأساس القويّ، والقاعدة المتينة لكثير من الدراسات والقضايا النقدية التي مارسها النقاد فيما بعد[1]، ومردّ ذلك باعتقادي كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه" الذي شهد له العديد من النقاد على مستوى الأسلوب، والمضامين التي حفلت بها فصول وأبواب

[1] - ينظر: ابراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص –أ- مقدمة الكتاب.

الكتاب من قضايا نقدية بارزة إضافة إلى تلك المصلحات التي انتهت عند ابن رشيق إلى أكثر من مائة باب مضيفا إليها قائمة المصطلحات النقدية جعلها أنواعا سبعة هي: الاتّساع، الإطّراد، التّفريع، التّرديد، التتبيع، ونفي الشّيء بإيجابه[1].

وعلى هذا الأساس يصفه بعض النقاد بأنّه طاقة إبداعية ذو إدراك منفتح يتجدّد بمرور كلّ يوم جديد ممّا أهله لأن يكون ناقدا متميّزا لا يشبه غيره فيما يخص آراءه النقدية التي تنمّ بنظر بعض النقاد عن حصافة واتّزان، صاحب ذوق رفيع نظرا لكونه شاعر فنّان ذو حسّ عال ،إضافة إلى كونه ناقدا وأديبا متميزا في معالجته لبعض المسائل النقدية كالتي أوردها في مقدمة كتابه العمدة :"فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب وأحرى أن نقبل شهادته ... ووجدت الناس مختلفين عن كثير منه يقدمون ويؤخّرون ويقلّون ويكثرون قد بوّبوه أبوابا مبهمة ولقّبوه ألقابا متّهمة، وكل واحد منهمك قد ضرب في جهة وانتحل مذهبا هو فيه إمام نفسه وشاهد دعواه، فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه إن شاء الله تعالى، وعوّلت في الأكثر على قريحة نفسي ونتيجة خاطري"[2]،وهو ما تأكّد لي حينما صادفت مقولة لابن خلدون يشيد فيها

[1] – شوقي ضيف ،البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، 1965م، ص 146.

[2] – ابن رشيق، العمدة، 1/16-17.

بكتاب ابن رشيق الذي برأيه يغنيك عن كثير من أمّهات الكتب أمثال الكامل للمبرد، نقد الشّعر لقدامه، عيار الشّعر لابن طباطبا ... وغيرهم، وهذا دليل كاف يجبّ ما قيل عنه وفيه ، كما أنه دليل أيضا على تفوّق ابن رشيق ونجاحه في رؤيته النقدية التي جاءت تتويجا لجهود النقاد والأدباء في المغرب والمشرق على حدّ سواء، وربما يعود السّبب في ذلك إلى طريقته التي انتهجها في طرحه لمجموعة من آراء سابقيه من النّقاد حول قضيّة معيّنة ،ثم إبداء رأيه فيها بأسلوب يجمع بين القوة في الطّرح وجمال في العرض مما يدفعنا للقول أن ابن رشيق استطاع بفطنته تشرّب القضايا الأدبية والنقدية السائدة آنذاك ليدرك كنهها ويعيَ مضامينها فآراءً نقدية تتّسم بالجدّة يخرجها ابن رشيق على الوجه الذي ينبغي لها أن يكون، وهي طريقة لا يقدر عليها إلا من أُوتي ثقافة واسعة وقدرة على التمثّل والاستيعاب وسلامة في التفكير والذوق، وقد كان ابن رشيق الأديب الفذّ الذي توفرت فيه مثل هذه النعوت والأوصاف[1]، التي لمسنا جزءا منها حقيقة حينما تطرّق لمفهوم الشعر وحقيقته إذ يقول في معرض حديثه عنه: "الشعر يقوم أولا على القصد والنية ثم ،بعد ذلك اللفظ والوزن والمعنى والقافية"[2] ، فقد تميز عن غيره من النقاد السابقين له أو المعاصرين لحقبته لأنه يطلق من خطين متوازيين[3]":

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 141.

[2] – ابن رشيق، العمدة،ج1 "باب حد الشعر وبنيته"، ص 209.

[3] – المرجع السابق، ص 135.

-**الشكل**: بما فيه من الألفاظ والأوزان والقوافي تشكل في مجموعها عنصر الموسيقى.

-**المحتوى**: ويشمل المعاني مهما كانت بسيطة أو معقدة وهي تشكل الخيال والعاطفة.

وتأسيسا على هذا الكلام يمكن القول أن الشعر تلاقح بين الخيال والموسيقى والعاطفة ،وهي نتيجة تشهد لابن رشيق بسعة ثقافته ومعرفته في هذا الميدان خاصة في ردّه على من يحطّ من قيمة الشعر ولو أن حججه –في ذلك- كانت تتأرجح بين القوة والضعف[1] ،لكن هذا لا ينفي أن هذا الأخير كان أبعد نظرا وأوسع أفقا في فهمه للعملية الشعرية فهو –كما نعلم- شاعر قبل أن يكون ناقدا يستعمل ذوقه كأديب وحسّه كفنان وعقله كمثقّف.

وعلى هذا الأساس كانت نظرته للشعر نظرة متكاملة إن لم نقل نظرة ناقد متذوق مدرك لعناصر الجمال يعرف مكامن أسراره وخفاياه[2]، فضلا عن طرحه العميق لقضية الشاعر نفسه حيث حدّد دوره ومسؤوليته في العملية الشعرية مشترطا عليه زادا من المعرفة والثقافة[3]،و لا يفوتنا أن ننوّه إلى أنّ ابن رشيق شدّ إليه أنظار نقاد و أدباء عصره جرّاء تعرّضه لماهية الشعر وحقيقته لينتزع له مكانا خاصّا في عالم النقد ناهيك عن معالجته قضايا نقدية أخرى تمثلت فيا يلي:

[1] – ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 117.

[2] – ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 136.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص ص 148، 149.

أ-القديم والجديد:

يلاحظ من خلال الاطّلاع على آراء ابن رشيق حول هذه المسألة أن له رأيان فيها بناء على أنه مزدوج الشخصية مرة ناقد وشاعر مرة أخرى، ناقد أميل إلى القدماء، وشاعرا أميل إلى المحدثين لأنه منهم، ونظرته الأولى موضوعية أو أقرب إليها، أما النظرة الأخرى فذاتية أقرب إليها ولعله لهذا - حسب بعض النقاد- كان متعادلا مع نفسه ومنصفا الحقيقة المجرّدة بتقريره أن القدماء أحكم بناءً وأرسخ عمدا أما المحدثون فأرقّ لفظا وأرقّ فكرا"[1].

وقد يخيل للقارئ —استنادا إلى هذا الكلام- أن ابن رشيق يفضّل القديم على المحدث في حين أنه آمن بالتسوية بين الشعر القديم والشعر المحدث ،لكن بطريقته الخاصة حيث يرى أن الحكم للأجود منهما المتمثّل في الأثر الفنّي الذي يضمن خلوده واستمراريته، أضف إلى ذلك فإنه لا يحبّذ مجيء شعر المحدثين على منوال طريقة القدامى لأنها قد تأتي بنتائج عكسية هم في غنى عنها .

من هذا المنطلق قد يعتقد البعض أن ابن رشيق متناقض مع نفسه ،غير أن الأمر غير ذلك فهو حين يريد أن يتكلم عن خصائص القدماء يبرز محاسنهم ويدافع عنهم ،والمسألة نفسها حين يعرض للمولدين وهو من هؤلاء وحريّ به-كما يقول أحد النّقاد —إبراز محاسنهم وعناصر الجدة والجمال في قصائدهم، إذن تلك هي وجهة نظر ابن رشيق العادلة —كما يراها البعض - بالنسبة لهذه القضية

[1] - عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 385.

التي تدلّ على بعد نظر وحصافة في الرأي ،ووضوح في الرؤية مع طول دربة ومراس، ولن يتأتّى مثل ذلك إلا لناقد وشاعر وأديب كابن رشيق القيرواني[1].

وعليه يمكن القول أن ابن رشيق يوصي بضرورة وقوف الناقد عند الأثر الأدبي في ذاته ولا ينبغي أن يتعدّاه إلى بيان التأثر به[2] ،وهذا يقودنا بطبيعة الحال إلى الحديث عن منهجه النقدي الذي سلكه في كل قضية كما فعل مع قضية اللّفظ والمعنى.

ب–اللّفظ والمعنى:

لقد حاول ابن رشيق الاعتدال في موقفه تجاه كل من اللّفظ والمعنى غير منحاز لأحدهما على الآخر، إذ يقول :"اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه كارتباط الروح بالجسم"[3] بخلاف العلاقة الجدلية التي خلقها نقاد سابقون له أو معاصرون بشأنهما.

ومردُّ ذلك –ربما– إلى منهجه النقدي الخاص الذي أعانه في أغلب الأحيان على إيجاد نظرة توفيقية للعديد من المسائل النقدية، إذ يعتبره –بعض النقاد– منهجيا في عرضه معتمدا في ذلك على

[1] – ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص ص 193، 194.

[2] – ينظر: شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص 49.

[3] – ابن رشيق، العمدة، ج1 "باب اللفظ والمعنى"، ص 217.

طرق المناطقة والعلماء، حيث يسوق طائفة كبيرة من آراء النقاد وأقوالهم اختلفت معه في النظرة إلى قضية اللفظ والمعنى، ثم يبدي هو رأيه دون تعصب منه مما يدلّ على موضوعيته في النّقد[1].

وعلى هذا الأساس يصنفه العديد من النقاد شخصية نقدية فذّة استطاعت جمع أهم وأبرز القضايا التي أثارها النقاد في المشرق والمغرب كقضية الطبع والصنعة.

ج–الطبع والصنعة:

جدير بالملاحظة ما فعله ابن رشيق من اهتمام بمسألة الطبع و الصّنعة ،حيث خصّها بباب من أبواب "عمدته" ،ومن هذا المنطلق الشعر لديه أنواع ثلاثة: المطبوع هو الأصل الذي بنى عليه وفيه المصنوع وهو نوعان: مصنوع مهذب، ومصنوع متكلف[2] ،وفي هذا الإطار نورد المفاضلة القصيرة التي استدل بها ابن رشيق في معالجته لهذه القضية والتي أظهر من خلالها أنه أكثر فهما من غيره لجوهر التزاع والصراع بين أنصار البحتري وأنصار أبي تمام بل أنصار القديم وأنصار الجديد، وكذلك القائلين بمذهب الصّنعة والقائلين بمذهب أهل الطبع، ذلك أن ابن رشيق يرى أن كلاّ من البحتري وأبي تمام شاعران مصنعان، فلم يكن البحتري مطبوعا فقط و لم يكن أبو تمام متكلفا فقط إنما مشكل التزاع وجوهر الخلاف في التفاوت بينهما (وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها) ،غير أن أبا تمام

[1] – ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص 178.

[2] – ينظر:بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 207.

كان يطلبها بكلفة ويأخذها بقوة عكس البحتري الذي لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة[1] ، إذ لم يجعل الطبع مقتصرا على الشعراء القدامى والإسلاميين فقط تجاوزهما ، لذلك يوسم ابن رشيق ببعد النظر واتساع في الفهم .

د-السرقات الشعرية:

لا شك أن أول ما يتبادر إلى أذهاننا عند التّطرق لمسألة السّرقات الشّعرية هو كتاب "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" لابن رشيق ،حيث أبدى اهتماما لا نظير له بخصوص هذه المسألة التي اتبع فيها منهجه المعتاد، فكما جرت العادة عنده أن يطلعنا على آراء سابقيه من النقاد باستعراض مجموعة من الأقوال الخاصة بالسرقة وأنواعها إلا أنه يراها أنواع:

-سرقة اللفظ مع المعنى.

-سرقة المعنى مع تغيير بعض اللفظ.

-سرقة تعتمد على تغيير بعض المعنى أو قلبه من وجهه حتى يخفيه.

ومن هذه الأنواع تتولد التفريعات العديدة لأوجه السرقات يعددها ابن رشيق في "العمدة"، ويعرف بها ثم يأتي لها بالأمثلة والشواهد من ذلك (الاصطراف-الانتحال-الإغارة-العصب-المرافدة-الاهتدام-الإلمام-الاختلاس-العكس-المواردة-التلفيق ... وغيرها)[2].

[1] - ابن رشيق، العمدة، 130/1.

[2] - ينظر: ص 9، 10، 11 من الفصل الأول ــ المبحث الثالث.

وعليه يرى العديد من النقاد أنّ ابن رشيق القيرواني قد أفلح في آرائه النّقدية حول أبرز القضايا النقدية مشيدين في ذلك بمنهجه النّقدي الذي دلّ –في نظرهم- على شخصية ناقدة فذة في عالم النقد استطاعت أن ترجّح كفّة النقد المغاربي بالتوازي مع النقد المشرقي، لكن هناك من يرى غير ذلك من النقاد ،إذ اعتبره مجرّد راو للأفكار النقدية ودليلهم في ذلك ما يلي:

-اللّفظ والمعنى:

إن مسألة الشبهة التي أوردها ابن رشيق في رسم العلاقة بين الدّال والمدلول لقيت استحسان الكثير من النقاد حينما يقول :"اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه كارتباط الروح بالجسم"[1]، لكنه أخفق –في نظرهم- في استغلال هذا التشبيه والاستفادة منه خاصة وأنه تحول –برأيهم- إلى طبيب أكثر منه ناقد حيث تحدث عن السّلامة وما يقابلها من حالات ضعف واختلال في ميزان الصحّة[2].

أضف إلى ذلك ما قاله عن بيت الشعر ،إذ يرى أن "ساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون"[3]، أي أنه يتصور وجود تركيب لفظي بلا معنى متناسيا التشبيه الذي ذكره إضافة إلى

[1] – ابن رشيق، العمدة،ج7 "باب اللفظ والمعنى"، ص 217.

[2] – المصدر نفسه، 124/1.

[3] – المصدر نفسه، 121/1.

تصوره وجود كلمات لا فائدة منها أثناء حديثه عن الحشو فيقول :"أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن"[1].

وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه الآراء النّقدية قد تسببت في موجة نقد لاذعة —من بعض النقاد- لابن رشيق فيما يتعلق بتذبذب آرائه النقدية حول هذه المسألة ،الأمر الذي يسمح —برأي بعضهم- بحدوث احتمالية تعثر الدارسين لمن أراد منهم التعرف على فهم خاص لكل من اللفظ والمعنى، وعلة ذلك حسب الدكتور علي مهدي زيتون هو انسياق صاحب العمدة وراء شتات الآراء التي وجدها في مصادره المتعددة دون أن يفكر باللجوء إلى أسس مقتنع بها يصحبها على جميع مواقفه ،زد على ذلك الحيرة التي تنتاب المتتبع لمسألة التّأويل عنده، إذ كثيرا ما تزول الحواجز بين آرائه الشخصية والآراء التي يوردها لغيره، مما يوقعه في التناقض أحيانا ويبعده عن فكرة تحوّل الدلالة الذي قد يعتري بعض الألفاظ في بعض التراكيب وفكرة احتمال أكثر من دلالة واحدة اللفظة واحدة في التركيب الواحد[2].

والشاهد في ذلك تفسيره بيت امرئ القيس المذكور من قبل بعض المحدثين ،حيث يقول :"إنما أراد الإفراط فزعم أنه يرى مقبلا مدبرا في حال واحدة عند الكر والفرّ لشدّة سرعته ،وكأن ابن رشيق يوحي لنا أن هذا النّص يحتمل هذه التّفاسير وإن لم يكن بعضها قد خطر على بال الشاعر،

[1] – ابن رشيق، العمدة،ج7 "باب اللفظ والمعنى"، 69/2.

[2] – ينظر: علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص 117.

لأن النص يقدم مثل هذه المعاني ،وعلى هذا الأساس يجده –بعض النقاد- غير مستقر على رأي واضح محدد فيما يخص العلاقة بين اللّفظ والمعنى من جهة وبمكمن المزية من جهة أخرى[1].

وهنا يبرز مصطلح من المصطلحات النقدية ،وهو "الاتّساع" الذي حدّده ابن رشيق بوضوح فيقول: "ذلك أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى"[2]، فيصف اللفظ بالاحتمال والقوة ويأتي بالمثل "كجلمود صخر حطه السيل من عل" ليفسر لنا معنى احتمال اللفظ وقوته في إشارة إلى مسألة هامة في عالم النقد تقوم على أن المعنى هو ما يقدمه النص[3]، بالإضافة إلى الوجود الموضوعي للنّصوص،[4] فقد رأى بعض النقاد أن التعرف على المفاهيم النقدية لصاحب العمدة يشوبها بعض الغموض خاصة تلك المتعلقة بالتركيب ،بل العجز أحيانا عند تحديد مفهوم التركيب لأن العمدة في محاسن الشعر وآدابه لا يتضمّن ذلك إضافة إلى العمل المضني في محاولة فهم العودة إلى آثار تدلهم على بعض الخيوط كي يعيدوا نسجها من جديد[5]، ولعل السبب في ذلك عائد إلى الانتماء الفكري الذي لا يشغل حيزا هاما في عالم ابن رشيق حتى بلغ الأمر –ببعض النقاد- إلى نعته برواية للأفكار النقدية أكثر مما هو ناقد بالنظر إلى

[1] – ينظر: علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص 119.

[2] – ابن رشيق، العمدة، 93/2.

[3] – عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، ص ص 34، 35.

[4] – أبو ديب، النقد العربي، مواقف، ع41-42، ط1981م، ص 18.

[5] – علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص 180.

إشاراته الخاطفة حول مستويات التركيب (الصوتية-التأليفية-الدلالية) والتي لا تكاد تذكر في عالم النقد، و السبب في ذلك يرجع ربّما إلى أن الدراسات الإعجازية لم تثر اهتمام صاحب العمدة، لكنه رغم ذلك تعرض لمسألة أصيلة على المستوى التأليفي وهي المطبوع والمصنوع، فباعتقاده أن كلا من الطّبع والصّنعة يسهمان بلا شك في بنية التركيب ،وجدير بالذكر أن هذه النظرة ليست وليدة التأثر بالبيان القرآن وما نتج عنه من دراسات، ولكنها تعود إلى الحقبة الجاهلية حيث المدرسة الأوسية[1] تحاذي البديهة والارتجال في معلقة الحارث بن حلزة[2]، ومنه نخلص إلى أن ابن رشيق كان أصولي الذوق وظلّ كذلك بشكل عام متمسّكا بعمود الشّعر القديم يصدر عنه في بعض مواقفه من دلالة التّركيب غير متأثر بمسألة الإعجاز وما رافقها من دراسات كانت ستكون جديرة بالاهتمام أكثر – حسب بعض النقاد- لو أنه تعاطى مع المسائل النقدية بوضوح نظري وخلفية فكرية محددة ،وعلى العكس من ذلك فقد اعتمد على ذوقه الذي يعود إلى تكوينه أصوليا لا محدثا، إذ أنه ربط وضوح الدلالة بالتنظيم الجملي للتركيب حينما قال :"ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعا لا يعدوه، فيكون كلامه ظاهرا غير مشكل"[3]، وهنا يشير إلى نقطة جوهرية تتمثل في ارتباط وضوح الدّلالة وغموضها بالتّركيب، إلا أنّ التراتب الآلي للألفاظ لا يمكن أن يصلنا في ظل تشعّب القضايا وتنوّعها

[1] – ابن رشيق، العمدة، 133/1.

[2] – المصدر نفسه، 190/1.

[3] – المصدر نفسه، 259/1-260.

وعمقها ،ولا يشكّل ذلك التراتب بالضرورة منهجا للوضوح لأنّ التّقديم والتأخير يمكنهما أن يقدّما تركيبا واضحا أيضا ،بخلاف ما اعتقده ابن رشيق عمّا يمكنهما أن يحدّثاه من إشكال وغموض.

وعليه يقدّر –البعض- أنّ صاحب العمدة كانت لديه فرصة ثمينة لاستغلال ما بين يديه من تراث نقدي متعلق بالدّراسات الإعجازية لكنه ضيعها و لم يحسن الإفادة منها، ولو أنه فعل لأمكنه دفع دراسة التركيب قدما بما يلفت الانتباه ،وفي نفس السياق يتحدث عن السرق وإمكانية وجود أكثر من تركيب للبيئة الدلالية الوحدة، وبطبيعة الحال هذا أحد المواقف الأصولية التي جعلت –العديد من النقاد- يعيبون على ابن رشيق اعتماده على سابقيه دون أن تبدو أمارات شخصيته واضحة فيما عرض خصوصا تلك المسائل التي أنتجها الإعجاز القرآني (الطباق-التشبيه-المبالغة-الكناية-الاستعارة-المجاز-الحقيقة) ،فقد مرّ عليها –ينظر البعض- بعقلية أصولية وبصورة عفوية لدرجة أنّ الدارس ليظن أنّ هذا الأخير لا يعي سرّ ما يقول، ويبدو أن الدافع وراء إطلاق حكم كهذا حديثه عن العلاقة التي أوجدها عندما تحدّث عن المجاز والاستعارة إذ يقول :"والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعا في القلوب والأسماع ... فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز"[1] ،وهنا لابدّ من الإشارة إلى أن المجاز عندما يكون أبلغ من الحقيقة يعني أنها قاصرة والمجاز هو المعوض عن هذا القصور، فكيف تلعب الاستعارة، مجازا هذا الدور وتكون في

[1] – ابن رشيق، العمدة ، ص 266.

الوقت عينه من اتساعهم في الكلام اقتدار أو دالة، ليس ضرورة؟[1]، ويرى بعض النقاد هذه القضية كشفت عن قصور في الرؤية النقدية لصاحب العمدة ، فلا يقف مثل هذا الموقف سوى رواية للأفكار النقدية لا يتمتع بخلفية فكرية تعطي لأفكاره ومواقفه مسحة من التكامل والانسجام[2]، وجدير بالملاحظة أن النقطة التي يلام عليها ابن رشيق –في نظري- أنه لم يول العناية للدراسات الإعجازية رغم أنّها كانت محرّكا ومسهما في تحديد النتائج البلاغية التي توصلت إليها الدراسات الإعجازية ممّا أثّر بطبيعة الحال على الدراسات النقدية في القرون التالية وأسهم في تحديد مسارها وما توصّلت إليه من مفاهيم[3].

وخلاصة القول أنّ الآراء تباينت حول شخصية ابن رشيق فمنهم من يعتبره شخصية نقدية فذّة استطاعت جمع أهمّ وأبرز القضايا النقدية ومعالجتها ،في حين يراها –آخرون- وعاء لطائفة من الأفكار النقدية لا تعي سرّ ما تقول وتعجز عن فهم بعض القضايا النقدية ،لكن هناك من يرد على هذا الكلام بأن تبني الآراء النقدية لا ينقص من شخصية الناقد خاصّة وأنّ ابن رشيق كان ثقة في كل ما كتب –حسب بعض النقاد- بالإضافة إلى سعة ثقافته وقدرته على الكتابة والتأليف تنوء به من أن يكون مجرد ناقل أو راو، فلقد كان شاعرا فحلا وأديبا متضلّعا وناقدا فذّا يتميّز بلجوئه إلى الأمثلة

[1] – المصدر نفسه، 279/1.

[2] – علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص 192.

[3] – المرجع نفسه، ص 285.

الحسية لاستعمال الحجج والبراهين ،وهذه إحدى مميزاته حتّى يكون الأمر واضحا بالنسبة لغيره أو على الأقل بالنسبة للمتعلمين والمتأدبين، في المقابل يعاب عليه عدم تعمّقه في الفكرة والخبرة في التحليل والعمق فيما كتب خاصّة عن فضل الشعر وأولويته إلّا أن –بعض النقاد- يثني على ابن رشيق فيما وصل إليه من أنّ الإبداع الشعري يتطور من منطلق السرقة والقلب حينما أدرك بفطنته كيف أن المعاني الشعرية تؤخذ وتقلب على وجوه لا يدركها إلّا الحاذق بهذه الصناعة فضلا عن امتلاكه مقوّمات كاللّغة التّي يعتبرها الكثير من النقاد ليست مجرد وعاء للفكر بل هي الفكر، والفكر السّوي أداة للعمل وخطّة للإنجاز وخريطة يهتدي بها المسافرون إلى المستقبل، وإذا ما أسقطنا هذا الكلام على رجل كابن رشيق المسيلي نجدها شخصيّة نقدية أخفقت مرة وأجادت مرات.

الفصل الثالث

معارضة ابن شرف النقدية لابن رشيق بين التّذوق والتّفوق

تمهيد:

يبدو أنّ معارضة ابن شرف النقدية خلقت نوعا من الجدل بخصوص دوافعها حيث اختلفت الرؤى وتباينت في الأوساط النقدية بين مؤيّد لها ومعارض ،أمّا من يؤيّدها فمن منطلق أن ابن رشيق قد تفوّق على بقيّة أقرانه من نقّاد عصره ،وأمّا من يعارضها فيستند إلى أن ابن شرف ناقد مغمور أراد من خلال معارضته لابن رشيق اكتساب شهرة هذا من جهة ومن جهة أخرى أنّ المعارضة بالنسبة لبعض النّقاد لم تأت بجديد يذكر ،فالآراء النقدية المتعلقة بقضايا كاللفظ والمعنى ،الشعر والنّثر ،الطبع والصّنعة وغيرها كانت وابن رشيق تقريبا بنفس الآراء إن لم نقل أنه اتفق معها.

وحتى تتضح حقيقة الأمر حول صحّة هذا الكلام من عدمه حاولت تقصّي البحث في الخلفيات والدوافع التي أفضت إلى معارضة ابن شرف لابن رشيق فوجدتها "دينية –نفسية –أخلاقية –فنّية " متبعا في ذلك استراتيجية الإقناع الذي يعد أحد استراتيجيات الحجاج التي تكون هدفا لممارسته من قبل المتكلم، وبالإضافة إلى أنه ينبني غلى حجج ووسائل يمكن تقسيمها إلى نوعين :

-الإقناع العقلي باستعمال القياس أو المثل .

-الإقناع الوجداني : الاعتماد على البلاغة وأناقة التأليف وجمالية الصورة .

ولا بدّ من الاشارة في هذا المقام الى أن ابن رشيق في دوافعه النفسية قد أثبت كفاءته النقدية حينما استطاع التّعرف على نفسيات الشعراء عن طريق قراءة نقدية في منظوماتهم وأشعارهم رغم عدم معرفته بمعالم التّحليل النفسي الفرويدي ولا بمصطلحات علم النفس العيادي و هذا لا يدل في رأيي إلّا على فراسة حسيّة قويّة كامنة في دواخله .

وفي نفس الصدد نشير إلى تلك المقاييس النقدية التي ذكرها ابن شرف في مسائل الانتقاد، وقد صنفها إلى مقاييس جودة و مقاييس رداءة موحيا لنا التزامه الموضوعية في آرائه النّقدية، فكانت أحكامه متباينة في نظر بعض النّقاد ،إذ يرون أنها أحكام نقدية معلّلة في بعض الأحيان، وأحكام غير معلّلة في أحيان أخرى ،وهذا لا يتوافق مع جملة ما أشار إليه من مقاييس نقدية، عمل جاهدا من خلالها ليقوّي حجّته وله الحق في ذلك لأن العملية الحجية تنبني على مبدأين :[1]

-مبدأ القوة الحجية :حيث تخضع الحجج لتراتبية تعكس قوّتها .

-مبدأ التعارض الحجي :إذا كانت لدينا حجة تؤيّد نتيجة ما "ب" فهناك حجة تؤيد "ب".

[1] - حافظ اسماعيلي ،الحجاج ضمن مفهومه و مجالاته، ص230.

وللإشارة فإنّ ما "يميّز الخطاب الحجاجي أنه يقبل الورود في صورة ضمنية عكس البرهان الذي يلزم فيه التصريح بكلّ مكوّناته، إذ أنّ الإضمار ميزة في الخطاب الطبيعي (الحجاج جزء منه)يجعله في بعض الأحيان أبلغ أثرا في تحقيق الهدف الأساس من العملية الحجاجيّة وهو الإقناع بالإضافة إلى فائدة الإضمار في أمور أخرى تتّصل بالطبيعة الاجتماعية للتواصل اللغوي عموما "[1]، عطفا على ما سبق نخلص إلى أنّ الإضمار قد يؤدي الوظيفة الحجاجية بصورة أبلغ من التّصريح الذي يفصح عن كل شيء، وبالتالي لا يلبّي مقصد المتكلم من وراء الخطاب لهذا السبب ربّما حاول ابن شرف في كتابه مسائل الانتقاد اعتماد أسلوب المقامات مبرّرا شخصية "أبي الريّان الذي لم يعرف لحدّ الآن إن كان شخصية واقعية أم من نسج الخيال رغم أنّني أجده من المناصرين بشدة للوضوح والافهام ،الأمر الذي جعلني أفكّر أن ابن شرف لم يكن يقصد الإضمار غير أنّ الضرورة تطلّبت منه ذلك ،فكلّ "حجاج يشتمل سياقا محركا للنقاش يقوم على العرض والاعتراض من خلال عمليات تستهدف تحصيل المطلوب وفق مقتضيات تتطلب الانضباط النّظري والعملي "[2]

[1]- حافظ اسماعيلي ،الحجاج ضمن مفهومه و مجالاته،ص192.

[2] -المرجع نفسه ،ص230.

وهذا مافعله ابن شرف حينما قام بالاعتراض على ابن رشيق في اختياره للشاعر امرىء القيس لدوافع ذكرناها آنفا جعلتني أهتدي حقيقة إلى التمييز بين صنفين من الحجج التي أرى أنّ ابن شرف قد وظفها دون سابق تصور منه وهي نوعان:[1]

أ-حجج تنبني على الوقائع :تستمدّ صحتها من مدي مطابقة الحجة مع الواقعة التي تتكلم عنها وفي هذه الحالة نعمد إلى إقناع المخاطب بالإحالة على الأشياء الخارجية التي تتكلم عنها الواقعة والتي يمكن معاينتها والتحقق منها .

ب-حجج تستند إلى استدلال منطقي :تتوقف صحّتها على مدي اتّساقها وملاءمتها للضوابط المنطقية، فلا يكتفي المدلّل بتقديم وقائع أو تصوّرات متفرّقة ،بل لا بدّ له من الربط بينها وفق ضوابط منطقية محدّدة ،وفي هذه الحالة يتمّ تركيز النّظر على طبيعة العلاقات الرابطة بينها وبين الحجج ،و في هذا المقام يحضرني حكم ابن شرف النقدي على سحيم عبد بني الحسحاس عن طريق الربط بين ما يقوله بالنظر إلى شكله الخارجي ،حيث كان سحيم مغروما بالزنا مدّعيا فيه ليصل-ابن شرف- إلى حقيقة مفادها :"فأنت تسمع هذا الأسود وادّعاءه ،تعلم أنّ الله لو أخلى الأرض ،فلم يبق كبعرة بعير في معرض عير ، والممنوع من الشيء حريص عليه مدّع فيه ".[2]

[1] - حافظ اسماعيلي ،الحجاج ضمن مفهومه و مجالاته، ص230.

[2] - ابن شرف القيرواني،أعلام الكلام ، ص31.

أضف إلى ذلك وصفه الدقيق له ،فقد قال عنه :"فهو أسود في شمله ،دسنة قملة ،لا يواكله الغرشان ، ولا يصاليه القرد العريان "[1]فأنّى له ممّا ادّعاه غير أنه تلقى ردّا من ابن رشيق يمكن تلخيصه في كتاب"قراضة الذهب في نقد أشعار العرب "الذي أثبت من جديد مقدرة ابن رشيق النّقدية .

الأمر الذي يدفعني للقول أنّها أحد إنجازات المعارضة النّقدية التي لولاها لاكتفى المرء بما أنجزه فقط.

[1] – ابن شرف القيرواني،أعلام الكلام ، ص31.

I- دوافع وخلفيات ابن شرف في معارضته النّقدية لابن رشيق.

ــ الأوضاع السّياسية:

إذا ما أردنا إلقاء نظرة موجزة حول الأوضاع السياسية لبلاد المغرب لابد لنا من الإشارة إلى نقطة أعتبرها في غاية الأهمية كي يفهم القارئ الوضع الجيوسياسي ومدى تأثيره على بقية المجالات الأخرى آنذاك، ألا وهي المقصود "ببلاد المغرب" التي يعتقد البعض أنها دولة المغرب بشكله الحالي لكن في واقع الأمر هي غير ذلك، إذ المقصود بها جميع الدول المغاربية ما عدا مصر، إضافة إلى المغرب الإسلامي بالنسبة لبعض الباحثين يشمل شمال إفريقيا والأندلس ويقابل المشرق الذي يشمل الحجاز والشام والعراق ومصر[1].

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن المغرب العربي يعد من البلاد العريقة في الحضارة تعاقبت على أرضه الشعوب والدول منذ فجر التاريخ، وتمازجت في أجوائه الحصارات الفينيقية واليونانية والرومانية البيزنطية والعربية ...

وتأكيدا على هذا الكلام نجد أن أهمّ مرحلة تعرّض فيها لتحولات كانت مرحلة الفتوحات الإسلامية التي بدأت منذ عهد عثمان بن عفان –رضي الله عنه- وتوسعت كثيرا في العصر الأموي الذي كان عبد الله بن سعد وعقبة بن نافع وحسان بن النعمان ثم موسى بن نصير أشهر الفاتحين

[1] – أمينة فزاري، الأدب الأندلسي والمغربي، دار الكتاب الحديث، 2013م، ص 34.

لهذه البلاد، ويذكر أن موسى بن نصير قد استقرّ معه الفتح ليدخل المغرب ضمن أقطار الدولة الإسلامية في أواخر القرن الأول الهجري ،لتشهد بلاد المغرب استتبابا للحكم الإسلامي،و انتشارا واسعا في ربوعه

حذا بسكانه إلى الاستعراب وتعلم لغة القرآن، ولما كان عهد حسّان بن النّعمان الغسّاني إلى إفريقية من قبل الملك بن مروان أصبحت العربية لغة البلاد الرسمية ،فضلا عن ذلك فقد أنفذ عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية عشرة فقهاء يعلّمون الناس القرآن والدّين، كما انتدب موسى بن نصير عددا كبيرا من الفقهاء والقراء للغرض نفسه، وقد ذكر بعض المؤرخين أن عددا كبيرا من العرب —رجالا ونساء وأولادا- نزحوا من مصر إلى إفريقية الشمالية واختلطوا شعوب البربر اختلاطا شديدا ...

هذا كلّه عمل على نشر اللغة العربية نشرا واسعا في شتى نواحي البلاد وأطرافها[1]، لكن بلاد المغرب العربي شهدت حالة سيئة في مختلف النواحي السياسية-العلمية والأدبية نظرا لأن القرون الثلاثة الأولى كانت حافلة بالفتن لا يقر للناس فيها قرار ولا تطمئن النفوس فيها إلى نظام أو مدار[2] ،حيث ازدادت أوضاعه تأزّما بعد الغزو الهلالي في منتصف ق الخامس الهجري ، وفي الوقت ذاته بدأت تظهر قوة في جنوب المغرب الأقصى وفي الصحراء بالذات بعد أن استطاع عبد الله بن ياسين جمع قبائل لمتونة الصنهاجية والبدء في تأسيس دولة المرابطين، التي اكتسحت المغرب الأقصى في بضع

[1] -أمينة فزاري، الأدب الأندلسي والمغربي، دار الكتاب الحديث، 2013م، ص 13.

[2] - المرجع نفسه، ص.ن

سنوات وقضت على الكيانات الزناتية الجائرة والنحل الضالة بالمنطقة، وبوصول يوسف بن تاشفين إلى حكم الدولة الناشئة توحّد المغرب الأقصى مع جزء من المغرب الأوسط وبني مراكش كقاعدة للمرابطين وقضى على مذاهب الزندقة كبرغوطة وقضايا الخوارج والروافض، ليقوم بإحياء منهاج السنة الصحيح إضافة إلى إنقاذه الأندلس وهزيمته النصارى في موقعة ملوك الطوائف ليبدأ عصر الدول الكبرى بالمغرب وارتباطه السياسي بالأندلس[1] ،وهو ما ركّز عليه يوسف بن تاشفين عندما ضمّ أطراف المغرب والتقريب فيما بينها وبين الأندلس في ظل دولة واحدة ،فكانت النتيجة بأن حكم المرابطون المغرب الأقصى وقسم من المغرب الأوسط مع الأندلس الإسلامية في الوقت الذي تعرّضت فيه سواحل المغرب الأدنى للغزو النورمادي الذي انتهى من احتلال جزيرة صقلية بعد ضعف سلطة الزيريين وتضعهما أمام غارات العرب، لكن ما لبثت دولة المرابطين نفسها أن ضعفت ولحقت بها قلاقل نتيجة حركة الموحدين وزعيمهم ابن تومرت وكذلك انشغالهم بالجهاد في الأندلس، فتمكن الموحدون بقيادة عبد المومن علي من إسقاط دولة المرابطين وحكم بلاد المغرب[2].

وجدير بالذّكر أن المهدي ابن تومرت كان زعيم الحركة الأدبية في المغرب العربي مناهضا بذلك عوامل التخلف والجمود، لكن المنية وافته شابا، فخلفه رفيقه عبد المؤمن بن علي الكومي يواصل العمل بدأب ونشاط ويحقق أمل الأمة في النهوض، وهو ما تحقق له بقيام الدولة الموحدية في

[1] – ينظر: عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 40.

[2] – المرجع نفسه، ص. ن.

المغرب الأقصى لكن سرعان ما اجتاحت المغرب الأوسط وإفريقية من توحيد المغرب الكبير سنة 555هـ بعد أن قضت على بقايا الزيريين وبني حماد وطردت النّورمان من السواحل الشرقية ،كما ورثت حكم المرابطين أيضا بالأندلس وجاهد الموحدون ضد المسيحيين وانتصروا عليهم في معركة الأرك عام 591 هـ في عهد يعقوب المنصور، لكن هزيمتهم في وقفة العقاب كانت إيذانا بسقوط دولتهم وتدهور أمر الأندلس[1].

ومن الضروري القول أن الاضطرابات التي عصفت ببلاد المغرب نتيجة اضمحلال دولة الموحدين الكبرى التي تمّ لها بسط النفوذ على جموع المنطقة فسقطت معظم حواضر الأندلس عدا غرناطة التي احتفظ بها المسلمون تحت سلطة بنو حماد، في المقابل نجد أن المغرب الإسلامي قد انقسم إلى ثلاث إمارات في كل من أقطار شمال إفريقيا الثلاث:

-بنو مرين بفاس.

-الزيانيين بتلمسان.

-الحفصيين بتونس.

تحاول كلّ منها جاهدة التوسع على حساب جارتها، ممّا أدّى إلى اندلاع مواجهات بينهم في القرن السّابع والثامن الهجريين، فغفلوا بذلك عن العدوّ الصّليبي الذي استغل هذه الأوضاع فأحاط

[1] – ينظر: عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص. ن.

بمسلمي الأندلس وتربّص بهم، على الرغم من تقديم المرينيين حكام المغرب الأقصى خدمات جهادية لهم في البداية لتُقابل من سلاطين غرناطة بالخيانة والتواطئ مع الأعداء ،لتتوالى بعد ذلك الحملات الصليبية والاستعمارية على بلاد المغرب.

ولا يفوتنا أن ننوّه إلى الفترة التي حكم فيها المرينيون المغرب، إذ أنهم قاموا بوضع مقوّمات الدولة مؤسّسين ركائزها ودعائمها، كما انتصروا على الموحّدين وأنصارهم بالجزائر ،وذلك قبل بسطهم نفوذهم على المغرب العربي:الجزائر/تونس/ليبيا، وقبل استقرار الأوضاع ببلاد الأندلس، وبذلك تم للنظام المريني تهيئة الجو والمناخ السياسي للتفرغ للبناء الحضاري والاقتصادي والاجتماعي والفكري للأمة[1].

ونافلة القول، أن ما مرّت به بلاد المغرب كان له أثر دون شكّ في إبرازه كرقم صعب يستطيع أن يؤثّر ويتأثّر داخليا وخارجيا ،وهذا الكلام ليس سوى دافع للحديث عن المناطق الجغرافية التي كان لها دور في تشكيل الشخصية النقدية الأدبية لكل من ابن رشيق وابن شرف نذكر أهمها بطبيعة الحال وهي القيروان –المهدية–صقلية.

[1] – محمد الفاسي، التعريف بالمغرب: معهد الدراسات العربية العليا، جامعة الدول العربية، 1961، ص 46.

أ-القيروان:

"ذرة التّراث السّياحي"، "ملحمة الفنانين"، "رمز الحضارة الإسلامية"، هي أسماء أطلقت على القيروان إلى جانب الدّور الكبير الذي قامت به في نشر التعاليم الإسلامية، فقد كانت مركز العلم والمعرفة ووجهة العلماء في المشرق والمغرب خاصة بعد التطور الذي عرفته خلال فترة وجيزة لم تتعدّ أربعة قرون نتيجة الاستقرار السياسي النّسبي الذي شهدته الحياة السياسية والظروف الاجتماعية على أيام بني الزّيري الصّنهاجي، حيث برز العديد من النّقاد والشعراء والفقهاء مما أهلها إلى إثراء المكتبة العربية بشتى الكتب سواء أكان ذلك على الصعيد الديني والدنيوي.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الفعل ليس غريبا عن بلاد يحكمها أمراء شجعوا على طلب العلم والمعرفة وحفزوا الشعراء والأدباء وطلاّب العلم من كل مكان للرواية والتّفقه على النّزول والاستقرار في بلاد المغرب ،إذ يصرح ياقوت الحموي فيقول :"وكانت للقيروان في عهده وجهة العلماء والأدباء تشد إليها الرحال من كل فج كما يرونه من إقبال المعز على أهل العلم والأدب وعنايته لهم ..."[1].

من هذا المنطلق كانت القيروان قد اكتسبت مكانة سامية نظرا للاحتكاك القائم آنذاك بين الشعوب المجاورة وتبادل المعارف في مختلف المجالات التي شملت الاقتصاد والاجتماع والثقافة ،مما

[1] - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار المأمون، 1936، ص 28.

يدفعنا للقول أنها مقوّمات جعلتها أهمّ المراكز الحربية الخاصّة بالجيش الإسلامي بالإضافة إلى اشتهارها بالأسواق الواسعة بفضل رقعتها الجغرافية والاستراتيجية وطرقها الكبيرة المكتظة بالسّكان وشوارعها الخاطفة للأنظار بوجود معالم أثرية قديمة.

-القيروان (الحاضرة العلمية):

لقد استطاعت القيروان أن تدشن طوال أربعة قرون منذ تأسيسها سنة 750م كعاصمة إفريقية مدرسة متعدّدة الخصائص، حيث كانت مركز المعرفة ينهل إليها العديد من طلاب العلم والمعرفة وأصبحت بيتا للحكمة والمعرفة ومنارة للعلوم المختلفة تحاكي مثيلها مدينة في المشرق العربي.

وعلى هذا الأساس استقطبت القيروان أنظار و أفئدة كلّ مَن يهوى العلم و الأدب ، فأصبحت بمرور الوقت ملتقى ومأوى المهاجرين من المشرق، وبذلك قطعت شوطا كبيرا في مجال العلم والأدب، ولا ريب أن هذه الظاهرة الاجتماعية أثّرت بشكل كبير في نمو الحركة العلمية والمعرفية على نطاق واسع ،وخير دليل على ذلك ما ذكره المراكشي عن القيروان قديما أنها كانت دار العلم بالمغرب وينسب إليها أكابر العلم والأدب ورحل إليها كثير من العلماء بغية طلب العلم وملاقاة أهله وقد ألف الناس في أخبار القيروان، وذكر علمائها،فقد حظيت بعديد من الشعراء والبلغاء ورواة الأدب الذين حملوا إليها أيام العرب وأخبارها ووقائعها، فالتنافس كان على أشدّه بين شعرائها وأدبائها وعلمائها، الأمر الذي ساهم في ظهور صنوف المؤلفات التي تعالج موضوعات شتى في

مختلف المعارف الفقهية والعلمية والأدبية، فكان للنحو واللغة نصيبا برز فيها علماء أشهرهم محمد جعفر القزاز الذي كان شيخ اللغة في المغرب وتتلمذ العديد من الأدباء والنقاد أمثال ابن رشيق الذي يورد في كتابه الأنموذج :"كان الغالب عليه علم النحو واللغة والافتتان في التأليف الذي فضح المتقدمين وقطع ألسنة المتأخرين"[1]، وترك القزاز كتب عدة منها: "العثرات" و"كتاب الحروف" إضافة إلى عبد الله بن مسلم القيرواني النحوي الذي يقول عنه الدكتور بشير خلدون :"وقد تمكن بفضل مكانته العلمية أن يكون أستاذا للغة والنحو في المدرسة النظامية ببغداد"[2].

وفي هذا الإطار يمكن القول أن ما شد انتباه النقاد والأدباء والعلماء وغيرهم إلى حاضرة القيروان هو تنوع المجالات الفكرية فيما بين الفقه والحديث واللغة والنحو والفلسفة والمنطق والطب والتنجيم والفلك والرياضيات إلى جانب الشعر والأدب، فكان منهم الشاعر والكاتب والأديب واللغوي والنحوي وغيرهم ...

وتماشيا مع ما تم ذكره يورد الدكتور بشير خلدون أيضا حديثا عن الحركة العلمية فيقول:"وإلى جانب الحركة الدينية واللغوية وجدت الحركة العلمية التي كانت لها أيضا مكانة لا بأس بها في المغرب، بحيث ظهرت الفلسفة والمنطق والطب والتنجيم والفلك والرياضيات، الجو العلمي ظهر أبو

[1] – علي أبي الحسن بن رشيق القيرواني، أنموذج الزمان في شعر القيروان،ص 395.

[2] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 29.

القاسم بن محرز الذي برز في فن المناظرة بصفة خاصة وإسحاق ابن سليمان والكندي القيرواني في علوم الرياضيات وهناك غيرهم كثيرون"[1].

ونافلة القول أن ما تقدم ليس سوى صورة حية تظهر لنا مدى ارتقاء القيروان ،حيث يقول الدكتور حسن حسني عبد الوهاب :"وفي هذا العصر حظي الأدب من نثر وظم في حلة التفنن والرقة وظهر فيه الاختراع الجيد وتوليد المعاني الرقيقة نظير ما حصل للأدب بالعراق في مبدأ الدولة العباسية حينما امتزج الشعر العربي بالآداب الفارسية والفرس أهل رقة وخيال متسع، فاتفقت القرائح وتولد العجيب لتأثير المدينة على الخيال الشعري"[2].

وهذا يقودنا إلى أنّ ابن رشيق الذي عاش أكثر من أربعين سنة مما جعله ينسب إليها ويعرف بها وتعرف به، والسبب في ذلك يعود ربما إلى —ما ذكر آنفا- أن للمدينة تأثير على مكامن الأدب والخيال الشعري الذي لابد لكل أديب أن يمتلكه بصرف النظر عن الكيفية، وهكذا كانت جميع العوامل مسعفة على ظهور حركة نقدية في القيروان في شكل ملفت للنظر، فكان من أعلامها: أبو عبد الله القزار وعبد الكريم النّهشلي، كما تميّزت هذه الحركة بظهور منافسة ومهاجاة شديدة جمعت بين ابن شرف وصاحبه ابن رشيق في حضرة الأمير الصنهاجي معزّ بن باديس الذي يقرب تارة هذا وأخرى ذلك، أضف مجالس الشعراء والأدباء مما زاد من شدة تنافسها لنيل المكانة العليا.

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 30.

[2] – حسن حسني عبد الوهاب، مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص 105.

ويبدو أنّ مثل هذه الظروف ساهمت في تحريك ذاتية الشاعر والناقد ابن شرف ليضع الحبر على الورق متخطيّا عتبة القول إلى الفعل والتأليف، ويسير وفق سابقيه من النقاد والأدباء في عصره أمثال صاحبه ابن رشيق القيرواني في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه" ،غير أن حافزه في نظر بعض الدارسين والنقاد في تأليفه كتاب "مسائل الانتقاد" ما هو إلا رد على كتاب "العمدة" لمؤلفه ابن رشيق إذ يقول الدكتور حسن الحسن في ذلك "يهدف ابن شرف إلى معارضة كتاب العمدة لابن رشيق"[1].

وتعليقا على ما سبق ذكره نستطيع القول أنه سواء كان تأليف ابن شرف لكتابه ردا على ابن رشيق أو كان غير ذلك فإنه من وجهة نظري يعد إنجازا نقديا لا يمكن التغاضي عنه أو التنكر له فالرجلمهما كانت نيته فإن إضافته هذه تّحسب له في الساحة النقدية المغاربية،فالناظر في مؤلّفه يبصر تنوعا وتباينا في الدوافع الخاصة لابن شرف في معارضته النقدية لابن رشيق سنتعرض لها، غير أننا نتساءل كيف كانت الحياة الثقافية في حاضرة القيروان؟.

ج–القيروان (الحياة الثقافية):

لقد شهدت القيروان فترة مزدهرة تشبه إلى حدّ كبير الحياة الثقافية التي ظهرت في بلاد المشرق العربي ،وأخص بالذكر بلاد الأندلس شملت مختلف المجالات العلمية والفكرية نتيجة لذلك نشطت

[1] – حسن حسي عبد الوهاب ،مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص.ن

الحركة الأدبية والثقافية ،فتوافد القيروان الأدباء والكتاب فجعلوا منها منارة للفكر والإبداع، ناهيك عن بروز المجالس العلمية والفكرية التي ساهمت بشكل كبير في تطور المستوى الثقافي ،إذ يقول الدكتور بشير خلدون :"لقد كان لهوة العلماء والفقهاء دور كبير في إنماء الحياة الفكرية بفضل المناقشات والمناظرات ومجالس الدراسة وحلقات البحث والشرح والتفسير حتى أننا لا نكون مغالبين إذا قلنا: إنها كانت المنطق الحقيقي لألوان الثقافات اللغوية والأدبية والعلمية"[1].

وبناء على ذلك سيكون له أثر بطبيعة الحال على المستوى العلمي والثقافي لمدينة القيروان التي تعرف بأنها تعلي من شأن المكتبات ،والدليل على ذلك هدية أرسلها إليه عقب مجلس علمي استحسن فيه المعز آراء هذا الأديب، وذكر أيضا جدته وهي حاضنة باديس والده أهدت هي الأخرى كتبا جميلة إلى المكتبة العامة التي كانت في البيت المجاور للمحراب من الجامع الأعظم[2]، فثراء المكتبات في القيروان ينمّ على عناية واهتمام السلطة الحاكمة آنذاك بتطوير الحياة الأدبية والثقافية ،مما أحدث ثورة نقدية وصفت بالضّخمة كالتي حدثت بين النقاد والشعراء في سوق عكاظ أو أكثر، في دلالة واضحة على تأثّر نقاد القيروان بالنقاد المشارقة أمثال ابن قتيبة وقدامة بن جعفر والجرجاني والروماني، وغيرهم فألفوا كتبا عديدة مثل كتاب "أنموذج الزمان في شعراء القيروان" لصاحبه ابن رشيق، وكذا "كتاب الروضة الموشية في شعراء المهدية"، إضافة إلى كتب نقدية عديدة

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 19.

[2] – ينظر: عبد الرؤوف مخلوف، ابن رشيق القيرواني، ط1،دار المعارف بمصر ، 1964م، ص 16.

ككتاب "مسائل الانتقاد" لابن شرف القيرواني، وكتاب "ما يجوز للشاعر في الضروة" للقزار القيرواني، وكتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" للحصري وغيرها.

وخلاصة القول أن الكل مجمع أن مدينة القيروان كانت مثالا يحتذى في التعايش بين الأمم المجاورة وملتقى الشعوب والحضارات ممّا أدى إلى تسارع وتيرة الحركة العلمية و الأدبية نجم عنه ازدهار ثقافي آنذاك بمساعدة حكامه، وهنا لابد لنا من الوقوف عند هذه النقطة التي تعد غاية في الأهمية وهي اهتمام البلاط الصنهاجي ،ومن قبله الفاطمي بالعلم والأدب إيمانا منهم أن قوة العقل والفكر قادرة على نشر مذهبهم الشيعي، والمطّلع على كتاب طبقات علماء إفريقية لأبي العرب التميمي يأخذ فكرة واضحة عن ازدهار الأدب في الدولة الفاطمية خلال استقرار حكمها في القيروان[1]، وهذا لا يعني سوى أن مخاطبة العقل ومحاولة إقناعه وسيلة فعّالة في نشر الأفكار وتبنيها، وهو ما أدركته الطبقة الحاكمة التي تعاقبت على حكم بلاد المغرب الإسلامي ومن ضمنهم مدينة القيروان التي سرعان ما خربت تماما على أيدي قبائل بني هلال المقيمين في صعيد مصر بتحريض من الحكم الفاطمي عليها –أي القيروان- انتقاما من المعز الذي غادرها سنة (449هـ) وحاشيته وأهله رفقة أبي علي الرّجّال مصحوبا بابن رشيق إلى المهدية[2] التي قام ابن شرف بشدّ الرّحال إليها بعد أن

[1] –أبو العرب بن تميم القيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس، تح: علي الشابي ونعيم حسن الباني، الدار التونسية للنشر، الجزائر، ط2، 1985م، ص 29.

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه و صحّحه : محمد يوسف الدقاق ،ج8، دار الكتب العلمية،بيروت ـــ لبنان ، ص 172.

نظم قصيدة شعرية غرضها الرثاء يصف من خلالها أجواء القيروان وما لقيته من دمار وخراب على أيدي الغزاة، معبّرا عن إحساسه بالأسى عليها وحسرته وحزنه الشديد فيقول :

"آه للقيروان إنه شجو من فؤاد بجماجم الحزن يصلى

حيث عادت بها الديار قبورا بل أقول الديار منهنّ أحلى

ثم لا شمعة سوى أنهم تخطوا على أفقها النواعس كسلى

يعد زهر الشماع توقد وقدا ومثـــــال الذيال تقتل قتلا"[1]

ويقول أيضا في رثاء القيروان وهو أحسن ما نظم من الشعر:

يا قيروان وددت أني طائر فأراك رؤية باحث متأمل

آها وأية آهة تشفي جوى قلب نيران الصبابي مصطلى

أيدت مفاتيح الخطوب عجائبا كانت كوامن من تحت غير مقفل[2].

[1] – ابن شرف القيرواني،الديوان ، تح: حسن ذكرى حسن، دار مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د. ط، د. ت، ص 89

[2] – إبراهيم عبد النور، اتجاهات النقد في المغرب العربي بين ق 4 هـ وق 8هـ، وهران، 2009/2008، ص 72.

*المهدية وتوجد بإفريقية وتنسب إلى المهدي وهو أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل الأكبر بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة يزند واختارها المهدي لأنه سمع أن هذا الموضع يسمى جزيرة الخلفاء فأعجبه الاسم فتيالها سنة 303هـ، وجعلها دار مملكته وانتقل إليها سنة 308هـ من شوال وينشب إليها جماعة أميرها كان من خيرة الرجال عقلا وأدبا وحسن إدارة وكان خبيرا بأصول الأدب والشعر.

2-المهدية*:

تعدّ هي الأخرى أيضا من أهمّ المراكز الثقافية في الغرب الإسلامي –آنذاك- حيث عرفت هذه الحاضرة بالمكانة السامية رغم صغرها من حيث الحجم ويؤكد ذلك الدكتور –حسن حسني عبد الوهاب بقوله: "المهدية مدينة جليل قدرها شهير في قواعد الإسلام ذكرها وهي بناء عبد الله المهدي سنة (303هـ)"[1]، وربما يرجع السبب في ذلك أن البلاط الصنهاجي قد لجأ إليها بعد خراب القيروان على يد قبائل بني هلال وسليم، بناء على ذلك يمكن القول أن المهدية قد أسهمت في انتعاش الحركة الفكرية والثقافية، فقد ازدان ملك صنهاجة بالمهدية، كما ازدان بالقيروان، فكان فيها بلاط فاخر التفت حوله ثلّة صالحة من رجال العلم وأعلام الأدب وكبار الفلاسفة والشعراء"[2]، ومن بينهم ابن رشيق القيرواني وابن شرف البارزين في بلاط المعز بن باديس مؤكّدا على ذلك ما قاله ياقوت الحموي : "وكان ابن شرف وابن رشيق صاحب العمدة من المتقدمين عند المعز على سائر من حضرته من الأفاضل والأدباء، وكان يقرب هذا تارة ويدني ذلك تارة فتنافسا وتنافرا ثم تصاحبا ولكن لم يتغير أحدهما على الآخر بما جرى بينهما من المناقضات[3].

[1] – عبد الرؤوف مخلوف، ابن رشيق القيرواني، ص 97.

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص ص 86-172

[3] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص 28.

*هي جزيرة تقسم البحر قسمين، شرقي وغربي، وتبعد إيطاليا بحوالي ثلاثة كيلو مترات وعن تونس مسافة 120 كيلومتر، فتحها الأغالبة في أوائل ق 8 هـ وحكمها عدد من ولاتهم إلى أن استقر الحكم لأمراء الأسرة الكليبي عام 345هـ فتعاقبوا على حكمها ولكن ضعفت شوكتهم بسبب الفتن،

3-صقلية*:

عرفت انتعاشا ثقافيا كغيرها من الحواضر التي عاش فيها ابن رشيق وابن شرف نظرا لاهتمام حكامها برجال العلم والأدب من خلال إعفاء المعلمين المسلمين من المشاركة في الحروب التي شهدتها صقلية، فكانت رحلة هذا الأخير –ابن شرف القيرواني- حافلة كأدبه ،فهو شاعر وكاتب بلاط ينافس صاحبه ابن رشيق على امتلاك على مكانة مرموقة لدى الحاكم واكتساب ثقته بذكر محاسنه في العديد من المناسبات في مقاطع شعرية.

ومن المعروف عن ابن شرف أنه لم يكن ليهجر وطنه لولا اضطراره لذلك بسبب الأوضاع والظروف التي حلّت بالقيروان ليترامى في ربوع صقلية ثم إلى الأندلس ليتنقل عند ملوك الطوائف بعد أن كان مقربا من الأمير الصنهاجي المعزّ بن باديس فأصبح من أهمّ الشعراء، يقول :"وكان أبو عبد الله بن شرف القيرواني من فرسان هذا الشأن واحد من نظم قلائد الأدب وجمع أشتات الصواب بالمنظوم والموزون، تلاعب الرياح بأطراف الغصون"[1].

وعليه يمكن القول أن انتعاش الجو الثقافي لمدينة صقلية كان نتيجة تنوع مشارب الثقافة لديها، فاحتل بذلك رجال العلم والثقافة مقاما مرموقا في المجتمع الصقلي ،ونبغ مؤرخون ولغويون

فتوالت حملات النورمان عليهم مما جعلهم يستجيرون بالأمير تميم الذي لا يتأخر عليهم في مرات عديدة ولكن هجمات العدو أخذت تقوى مرة بعد مرة إلى أن سقطت سنة 484 هـ. (ينظر: شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ليبيا، صقلية، ط 2 ،دار المعارف ـ القاهرة ، د.ت ،ص 131).

[1] – الشنتريني ابن بسّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997، ص 122.

ونحويون وأدباء وفقهاء أمثال ابن ظفر الصقلي المؤرخ للأديب (ت 565ه) والأديب ابن حميدي الصقلي"[1].

استنادا إلى ما سبق نجد أن لهذه البيئات أو الأقاليم بكل مكوناتها وأشكالها كبير الأثر في تكوين كلّ من ابن شرف وابن رشيق الثقافي ونضج روحهما المعرفية، الأمر الذي أدى إلى تفتّح قرائحها وتولّد الإبداع لديهما ،فهي -أي البيئات- قد عملت على توفير الجو المناسب للمطالعة والقراءة اللذان يعدّان من أهمّ عوامل النبوغ والعبقرية، وبذلك نال ابن شرف الحظ الوافر من العلوم والمعرفة وبزغ في شتى الميادين، إذ درس علوم اللغة والأدب والشعر وعلم الحديث والفلك، كما أثّر ذلك أيضا في أسلوبه وجعله بارعا في الشعر متمكّنا من اللغة ،وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون :"ما كان بإفريقيا من مشاهير الشعراء إلا ابن رشيق وابن شرف"[2]، فتأثير البيئة العامة مسألة متأصّلة لها صلة بتكوين شخصية الفرد وصقلها خاصّة إذا كانت هذه التحوّلات التي حصلت تقريبا على جميع الأصعدة أثّرت على البيئة لمنطقة المغرب الإسلامي و غيرها كما فعلت مع ابن رشيق وابن شرف بالأخص ابن شرف القيرواني الذي ركّزنا عليه حرصا منا على معرفة وفهم دوافعه المختلفة في معارضته لابن رشيق وقد أوجزناها فيما يلي:

[1] – عبد الرؤوف مخلوف، ابن شرف القيرواني، ص 18.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة،تح: عبد الله محمـــد الدرويش، دار يعرب، ط1، 2004، ص 518.

أ-الدوافع الدينية:

المعيار النقدي يحتكم إلى أساس ديني ذكر في القرآن الكريم يشير إلى تعلّق القلوب بالقديم كما هو الشّأن عند ابن رشيق الذي تشبّث بعمود الشعر ورفض المحدث ،أو لنقل لم يستسغه مقارنة بالقديم الذي لا يفوّت موضعا إلّا وينتصر له، فجاء ابن شرف منتقدا إيّاه على أساس ديني في قوله :"وقد وصف تعالى في كتابه الصادق تشبّث القلوب بسيرة القدماء ونفارها عن المحدث الجديد، فقال حاكيا لقولهم :"إنا وجدنا آباءنا على أمّة و إنّا على آثارهم مقتدون"[1].

ب-الدوافع الأخلاقية:

يتّضح من نقد ابن شرف لامرئ القيس أنه قائم على أمرين، أمّا الأوّل فهمّ لم يحمله إجلاله القديم على استحسانه من غير أن يميّز بين جيّده ورديئه، إذ أنّ امرئ القيس أقدم الشعراء عمرا لكن هذا لم يكن مسوّغا يحول دون نقده، أمّا الثاني فهو اعتماده موقفا أخلاقيا وفضله في نقده لامرئ القيس "ويذكرنا نقد ابن شرف لشعر امرئ القيس بموقف الباقلاني منه، فهو يعتمد النظرة الأخلاقية قبل كل شيء"[2]، غير أن الدكتور إحسان عباس يرى أن ابن شرف حينما اعتمد على الجانب الأخلاقي في نقده لشعراء مثل الفرزدق وسحيم عبد بني الحسحاس، وامرئ القيس بشكل خاص إنما

[1] -سورة الزخرف، الآية 23.

[2] - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، 464/1.

"يدل على جهل بأحوال النفوس"[1]، فقد استشهد ابن شرف بما يدل على كذب الفرزدق نحو قوله :"كما انقض بارز اقتصر الريش كاسره هما دلياني من ثمانين قامة، فهذه أول كذبة ولو قال: من ثلاثين قامة لكان كاذبا بالتفاخر الأرشية عن ذلك"[2]، لكنّ الباحث يرى أنّ النّظرة الأخلاقية لها ما يسوّغها في حكم ابن شرف على امرئ القيس وهذا ما أيده الدّكتور إحسان عباس ، فقول عنيزة له: لك الويلات وهي قولة لا تقال إلا لخسيس إضافة إلى هذا فإن ابن شرف يجد أن امرئ القيس لم يكن لها عاشقا، بل كان فاسقا، ثم أهجن هجنة عليه وأسخن سخنة لعينية، إقراره بإتيان الحبلى والمرضع، فأما الحبلى فقد جبل الله النفوس على الزهد في إتيانها وافتخر بالمرضع وفيها من التلويث بأوضار رضيعها ومن اعتزالها واشتغالها عن أحكام اغتسالها، وقد قال أيضا في موضع آخر هذا الباب من قصيدة أخرى[3]:

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال.

فقالت لحاك الله إنك فاضحي ألست ترى السمار والناس أحوالي.

حلفت لها بالله حلفة فاجر تناسوا فما من حديث ولا صالي.

[1] – إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 465.

[2] – ابن شرف القيرواني، أعلام الكلام، ص 31.

[3] – المصدر نفسه،ص 30

يلاحظ أن امرئ القيس يصف نفسه بأنه هين القدر عند النساء وقبل كل شيء عند نفسه يرضاه قولها: لحاك الله فحصل على الويلات من تلك وعلى لحاك الله من هذه فشهد-انطلاقا من هذه الأبيات على نفسه أنه مكروه ومطرود غير مرغوب في مواصلته ولا محروص على معاشرته ولا مرضي بمشاكله، ثم أخبر عن نفسه أنه رضي بالحنث والفجور وهذه أخلاق لا خلاق لها[1].

وتماشيا مع ما تم ذكره يرى ابن شرف أن الشعر وسيلة للتعبير عن شخصية صاحبه وهذا ما أخذه على امرئ القيس فشعره لم يرفعه إلى مكان الملك إنما حط من قدره وهذا ما ذهب إليه الدكتور إحسان عباس بقوله :"تشبثه بأن الشعر الصحيح لابد أن يعبر عن نفسية صاحبه ما دام صاحب هذا الشعر ملكا فلابد أن تكون للملك نفسية ترفعه عن مثل هذه الأقوال والشق الأول من هذا الغرض صحيح"[2].

ج-الدوافع النفسية:

رغم عدم معرفة ابن شرف القيرواني بمعالم التحليل النفسي الفرويدي ولا بمصطلحات علم النفس العيادي التي يدركها العام والخاص اليوم، إلا أنه يملك فراسة حسية قوية يعرف من خلالها نفسيات الشعراء عن طريق قراءة نقدية في منظوماتهم وأشعارهم، لذلك وجد ضالته في استغلال بعض المفهومات النفسية، التي حاول على إثرها تفسير بعض الظواهر الشعرية على نحو –اعتبره بعض

[1] – ابن شرف القيرواني، أعلام الكلام، ص30

[2] – إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،ص .154

النقاد- لا يخلو من طرافة، فقد توصّل ابن شرف إلى نتيجة مفادها أن امرئ القيس من أولئك الشعراء الذين جاهروا بالمحرمات لاعتبارات عدة مفسّرا هذه الظاهرة تفسيرا نفسيا من تحليله النفسي لبعض هؤلاء الشعراء فيقول :"إن الشاعر كان مصابا بنوع من الإنحراف في غريزته الجنسية بدليل أنه كان "هيّن القدر عند النساء وعند نفسه"[1]، كما عرفنا سابقا، أضف إلى ذلك الفرزدق الذي اشتهر بأنه كان مغروما بالزنا مدعيّا فيه[2]، أما سحيم عبد بني الحسحاس فهو :"أسود في شمله، دسنة قملة، لا يواكله الغرشان، ولايصاليه القرد العديان، وهو مع ذلك يقول:

نواهد لا يعرفن خلقا سوائيا وأقبلن من أقصى البيوت يعدنني

ألا إنما بعض العوائد دائيا يعدن مريضا هن هيجن ما به

علي وترمي رجلها من ورائيا توسدني كفا وتحنو بمعصم[3]

فأنت تسمع هذا الأسود وادعاءه، تعلم أن الله لو أخلى الأرض فلم يبق كبعرة بعير في معرض عير، والممنوع من الشيء حريص عليه مدعّ فيه"[4].

[1] – ابن شرف القيرواني ، أعلام الكلام ،ص 167.

[2] – ابن شرف القيرواني ،أعلام الكلام، ص 31.

[3] – المصدر نفسه، ص 30.

[4]– المصدر نفسه، ص 30.

وعلى هذا الأساس يرى ابن شرف أنّ سحيم حرم ممّا ادّعاه كاشفا الجانب النّفسي لديه بناء على مدى تطابق نظم سحيم بالنّظر إلى شكله الخارجي كأي شخص يعتمد المنطق في تحليلاته، غير أنّ الأمر لم يرق لبعض النقاد نحو الدكتور إحسان عباس الذي يرى رأيا آخر :"ولو وقف ابن شرف عند ظاهرة الحرمان أو الإخفاق أساسا لتعليله التّصريح بالفجور، لكان خير من استغل هذا الموقف النفسي في فهم لون من ألوان الأدب أو ظاهرة من الظواهر، لكنه تخطىّ ذلك إلى الحكم على النفسيات المختلفة بمقياس واحد، فزعم أن كلّ النساء لابدّ أن يكنّ من باب واحدة في الطبيعة النفسية، حين خيل إليه أنّ عبدا مثل عبد بني الحسحاس لا يجد امرأة تعشقه أو تتشهّاه، مثلما ظنّ أنّ الملوك لابد أن يكون لهم مستوى خاص، وحديث ابن شرف في هذه الناحية يسخر من نفسه، ولا حاجة به إلى مزيد من النقد والتعليق[1]، غير أن ابن شرف يرد على مثل هذا الكلام مستشهدا بالمركش الأكبر بوصفه نموذجا إيجابيا للجانب الخلقي الذي ارتفع بصاحبه فالمركش الأكبر :"كان من أجمل الرجال وكانت للنساء فيه رغبة وشدة محبة، وكان كثير الاجتماع بهن والوصول إليهن، وله في ذلك أخبار مروية، و لم يكن في أشعاره صفة شيء من ذلك، فحسبك بذلك صحة على ما قلنا[2].

[1] – إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب،466/1.

[2] –ابن شرف القيرواني ، أعلام الكلام، ص 31.

عطفا على ما جاء به ابن شرف والدكتور إحسان أجد نفسي موافقة فيما ذهب إليه ابن شرف بخلاف النقد الذي طرحه الدكتور إحسان عباس حينما قال أن رجلا مثل سحيم لا يجد امرأة تعشقه وتتشهاه، لكن شعره –أي سحيم- يوحي للمتلقي بأنه مرغوب بشدّة لكثرة عدد النساء اللّائي ذكرهن، ولو أنه قال: أقبلت من أقصى البيت تعدني لاختلف الأمر عند ذلك وعبنا على ابن شرف قوله ذاك، أما فيما يتعلق بحكم ابن شرف على سحيم استنادا إلى شكله وخلقه فهو أمر متجذّر في بني البشر، إذ أن الخلقة أو الشكل الخارجي يؤثّر بشكل كبير في تقبّل الآخرين لك أو النفور منك.

إذن ابن شرف لم يخطئ تماما حينما حكم على سحيم ونقده انطلاقا من الدوافع النفسية، لكن ما لفتني في نقد الدكتور إحسان عباس هو "حديث ابن شرف في هذه الناحية يسخر من نفسه"[1]، أعتقد من وجهة نظري أن هذه نقطة قوة لصالح ابن شرف تحسب له لا عليه لأنه يعرف حق المعرفة النفسية الكامنة لهؤلاء الأشخاص إضافة إلى موضوعيته، فالناقد ينبغي له أن يتجنب الذاتية قدر الإمكان وبرأي هذا ما فعله ابن شرف ،إذ أنه لو فعل عكس ذلك لخالف معايير النقد ونهجه الموضوعي.

[1] –احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص.ن

استخلاصا لما سبق ،نجد أنه رغم اتفاق النقاد أو اختلافهم مع دوافع ابن شرف القيرواني (النفسية–الدينية–الأخلاقية) ،إلّا أن تنوّعها أسهم بشكل أو بآخر في نجاح معارضته النقدية لابن رشيق، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على تميز ابن شرف خاصة تمكّنه من ناصية العربية —براعته الأسلوبية– قدرته البيانية مع دقّة نظرته النقدية في إصابة الغرض ،الأمر الذي كشف لنا مترلته العلمية عبر رسالته لاسيما وأنه سبق أصحاب المنهج النفسي في النقد حين قال :إن شعر لبيد يدلك عليه قبل أن يعلم من قائله.

II–أحكام ابن شرف النقدية حول الآراء النقدية لابن رشيق

II–أ–اللّفظ والمعنى:

بعدما تعرّضنا لهذه المسألة الهامّة عند ابن رشيق وعرضنا لآرائه حان الوقت للتعرف على آراء ابن شرف القيرواني النقدية حولها، إذ أنه حاول الوقوف هو الآخر موقفا وسطيا، لكن الغريب في الأمر أن كلا الناقدين يقول أو يورد الرأي لنستشف منه مترعا آخر أو مغايرا بخصوصه نحو اهتمامه بالمعاني أكثر من اهتمامه بالألفاظ "فمن الشعر ما يملأ لفظه المسامع بفخامة مبناه وقوة ألفاظه و قعقعتها، ولكنه مع ذلك يكون خاليا من المعاني وأحيانا نجد العكس، ففي الشعر ألفاظ معناها شريف جيد، وعليه لابدّ من التّأني في إصدار الحكم النهائي إذ قد يكون المعنى العجيب في لفظ غير غريب"[1]، فرأيه كان جليّا حينما صرّح بذلك فقال : "المعاني بمثابة الأرواح، بينما الألفاظ بمثابة الأشباح، فإن حسنا –أي اللفظ والمعنى– فذلك هو المطلوب في العملية الشعرية، وإن قبحا أحدهما قبح الشعر و لم يعد جميلا"[2]، فالشعر عنده لفظ ومعنى تعتريهما الجودة والرداءة.

[1] – ابن شرف، أعلام الكلام، ص 27.

[2] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن شرف المسيلي، ص ص 173، 174.

ويبدو من خلال تعريفه هذا أنّه كان شديد التأثّر بابن قتيبة بالعودة إلى ما قاله ابن شرف :"المعاني هي الأرواح والألفاظ هي الأشباح، فإن حسنا فذلك الحظ الممدوح وإن قبحا أحدهما فلا يكن الروح"[1]،ويصل إلى أنه من باب أولى إذ قبح اللفظ والمعنى معا.

وتأسيسا على هذا الكلام، فالشعر عنده أربعة أضرب:

-ما حسن لفظه ومعناه.

-ما حسن لفظه وساء معناه.

-ما حسن معناه وساء لفظه.

-ما ساء لفظه ومعناه.

وهذا التّقسيم لا شكّ يذكرنا بابن قتيبة غير أن ابن شرف كان يرى أن القبح في المعنى أشدّ منه في اللفظ ،وبذلك يكون قد وقف إلى جانب المعنى[2]،إذن فابن شرف على هذه يشترط سلامة الإثنين من العطب ،وذلك لجودة الأدب فإن حسنا فذلك الحظ الممدوح وإن قبح أحدهما فلا يكن الروح أي المعنى، وفي هذا الإطار يريد القول بمـــا لا يدع مجالا للشك أن التقصير في اللفظ محتمل أما التقصير في المعنى فليس بوارد ولا محتمل[3].

[1] – ابن شرف، أعلام الكلام ،ص 28.

[2] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 174.

[3] –عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص ص 227، 228.

ومن اللّافت أن ابن شرف وغيره من النقاد المغاربة قد اكتفوا بعرض موجز لهذه القضية سواء باللّمحة أو بالإشارة ،فضلا عن ذلك قاموا بتكرار ما جاء على لسان النقاد الأوائل دون أن يأتوا بجديد يذكر، وهذا ما جعل بعض النقاد يطلقون أحكاما على نظرتهم النقدية بأنها غير مكتملة في واقع الأمر، وهذا في نظري لظلم شديد لهم لأن إيراد الآراء النقدية الخاصة بالنقاد الأوائل وتبنيها هو في حدّ ذاته نقد.

وللإشارة فإنّها من المسائل التي أثارت لغطا كبيرا في أوساط النقاد على السواء القدامى والحداثيين نذكر على سبيل المثال لا الحصر ابن شرف الذي يرى بعض النّقاد أنه لم يهتم كثيرا لهذه القضية ودليلهم في ذلك عدم تخصيص جزء لها ولو بسيط من مقامته للحديث عنها باستثناء بعض الشذرات الموجزة المركزة لخص فيها رأيه في طريقة الشعراء الذين تناولهم، فبالنسبة له شعر الشيخ أبي عقيل عنده ينطلق بلسان الجزالة عن جنان الأصالة فلا تستمع له إلا كلاما فصيحا ومعنى متينا صحيحا[1]، ويصف شعر العبّاس بن الأحنف الذي رقق العشق كلامه وتحققت قوة الطبع نظامه، فله رقّة العشّاق وجودة الحذاق[2]، هذا عن عدا إعجابه بشعر البحتري الذي يقول فيه :"أما البحتري فلفظه ماء ثجاج ودور جراج ومعناه سراج وهاج على أهدى منهاج يسبقه شعره إلى ما يجيش به

[1] – ينظر: ابن شرف، أعلام الكلام، ص 16.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص 23.

صدره سيره مراد وليس قياد، وإن شربته أرواك، وإن قدحته أوراك طبع لا تكلف يعيبه ولا عناد يثنيه"[1]، في حين نجده يورد التكلف عندما يتحدث على أبي تمام.

ومن هذا المنطلق يلاحظ أنّ آراء ابن شرف تدلّ على إعجابه بالشّعر والشّعراء المطبوعين يترأسهم في ذلك البحتري، لكن هذا لم يمنعه من الثّناء على بعض شعراء الصنعة رغم إعجابه بالشّعراء المطبوعين ،فها هو يصف شعر مسلم بن الوليد صريح الغواني حينما يقول :"شعره صحيحة الأصول قليلة الفضول"[2].

أمّا أبو تمام الطائي فبرأيه متكلف إذ يقول :"فمتكلف إلا أنه يصيب ومتعب لكن له من الراحة، فأبو تمام كثير الصنعة والتكلف في شعره كثيرا بالصور الإبداعية وبخاصة المطابقة والجناس أما معانيه فجزلة ومبانيه مرصوصة ضمن شعره قضايا فكرية مجرد لم يكن للشعراء قبله اهتمام بها ومن هنا كانت أشعاره متفاوتة حتى أنك إذا سمعت جيّده أن رديئه له وإذا صح عندك أن ذلك الرّديء له أقسمت أن جيده لغيره"[3].

استنادا إلى ما سبق باستطاعتنا القول أن ابن شرف نزع إلى أهل الطبع ولو أنه أراد أن يظهر غير ذلك، ويتخذ موقفا محايدا بين أهل الطبع وأهل الصنعة حينما عبّر عن رأيه في شعر كلّ من البحتري

[1] – ابن شرف القيرواني ،أعلام الكلام، ص 25.

[2] – محمـــد الربداوي، الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع(د.م)، 1970م ، ص 404.

[3] – المصدر نفسه،ص 210.

وأبي تمام دون تمييز في الظاهر ،إلا أنه لم يخف إعجابه بطريقة البحتري الذي يعتمد طريقة الأوائل الذين يمثّلون عمود الشعر العربي بخلاف نقده بعض عيوب أبي تمام خاصة فيما يتعلق بابتداءاته[1]، مشيرا إلى الشاعر ديك الجنّ الذي فعل نفس فعل أبي تمام وعاب عليهما مثل هذه الابتداءات مضيفا إلى أن علة وقوعه فيها إغراقهما في الصنعة وولعهما بحب الغريب[2].

وخلاصة القول أن ابن شرف حاول —حسب بعض النقاد- تصنيف الشعراء إلى قسمين أهل طبع وأهل صنعة، لكن الأمر المؤكد أنه لم يكن معجبا بمذهب الصّنعة والتكلف، بل كان ميّالا لمذهب الطبع، وحبّذا لو أنه أبدى رأيه بشكل صريح وواضح في هذه المسألة التي شغلت الكثير من النقاد المشارقة والمغاربة على حد سواء لاسيما وأنه قد ألف كتابه "مقامة عن الشعراء" أو رسالته "أعلام الكلام" والأخبار عن موضوعات الشعر.

غير أنّ هناك من الشعراء من يؤثر سهولة اللفظ وعينَ بذلك لدرجة النّزول بالألفاظ إلى مستوى العامية نحو ما فعله أبو العتاهية وعباس بن الأحنف، ولسنا ندري إذا كان ابن رشيق قد ترك التعليق على أصحاب هذه النزعة عمدا حتّى لا يؤاخذ على موقفه تجاههم؟ لكن هذا يبقى مجرد

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص ص 211، 212.

[2] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب،ص ص 213، 214.

تساؤل يحتمل أكثر من إجابة، وهذا يقودنا بطبيعة الحال إلى التصنيف الذي اتفق فيه ابن رشيق مع ابن قتيبة وهو الضرب الذي حسن لفظه ومعناه، وكذا الذي حسن معناه وساء لفظه[1].

ختاما لا شك أن التفكير النّقدي يأخذ مادته من طبيعة الإبداع الذي يتفحصه من الألفاظ والمعاني التي يرصد فيها التّطور والتّنوع، ومن القيم الجمالية التي يحددها، وعليه أيمكن أن نرى أحكاما نقدية واضحة لابن رشيق فيما يخص قضية الطبع والصنعة؟ والسرقات الشعرية؟

ب–الطبع والصنعة:

قضية الطبع والصنعة من القضايا التي أخذت اهتماما كبيرا من قبل النقاد والأدباء والرواة ،حيث تفاوتت المفاهيم حول هذين المصطلحين النقديين، فمعظم النقاد يتفقون على أن المطبوع من الشعراء هو "الذي يأتيه الشعر طوعا وينقاد إليه دون كثير مشقّة أو تكلّف، ودون حتى أن يلجأ إجهاد فكره وعقله وخياله"[2]، فلقد كان الشعراء والرواة يتناشدون الأشعار في مجالس السمر والدراسة ،وكان يقال للواحد منهم: شعرك مطبوع جيد بينما يقال لواحد آخر شعرك مصنوع عليه أثر الكلفة"[3].

وقد اهتم صاحب العمدة كغيره من النقاد بهذه القضية فأفرد لها بابا من أبواب "عمدته" هو العشرون في المطبوع والمصنوع، إذ يفيدنا منذ البداية بأن الشعر فيه المطبوع وهو الأصل الذي يبني

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد بشاكر، دار المعارف، 1966، ص 62.

[2] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 201.

[3] – المرجع نفسه، ص 199.

عليه، وفيه المصنوع، والشعر المصنوع نوعان: مصنوع مهذب ومتكلف، وعلى هذا الأساس نجد الشعر عنده ثلاثة أنواع[1]:

1.عر مطبوع يصدر عن نفس صادقة تعيش مع الفطرة والبساطة وتنشد على سجيتها دونما تكلف.

2.الشعر المصنوع المهذب الذي اعتنى به صاحبه وأعاد فيه النظر تمحيصا وتنقيحا، فبدّل أو غيّر بعض الألفاظ والعبارات دون أن يجهد نفسه أو يكدّ خاطره في البحث عن الصور البيانية وبخاصة البديع وإن جاءت فإنّما تأتي عفو الخاطر دون تكلّف أو تعمّل مثلما صنع زهير بن أبي سلمى في مطولاته المسماة الحوليات فقد كان (يضع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقيب)[2].

وتجدر الإشارة إلى أن الطبع كان "الخاصية الأساسية في الإبداع عند الشعراء القدامى ويقابله الصنعة التي تهتم بالبديع، ومفهوم الصنعة بالنسبة لابن رشيق يكون أيضا من غير قصد ولا تعمل، وهو يؤكد ما أشار إليه بداية من أن الطبع هو أساس الإبداع ،حيث قارن هذا الأخير —ابن رشيق- بين مفهومين على طرفي نقيض "الطبع والصنعة" وكأنه يقول —برأي أحدهم- أن الصنعة في الأخير طبع حين تأتي من غير قصد ولا تعمل، وهما شرطان لا يتحققان في نظر القدامى إلا في الشعر المطبوع"[3].

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 207.

[2] – ابن رشيق، العمدة، 129/1-130.

[3] –المرجع السابق، ص 49.

لذلك فهو يوميء للشعراء بالمحافظة وهي توارد الخواطر بين الشعراء في باب السّرقات الأدبية، غير أنّ ابن شرف لم يتقبّل ذلك، وقد أنصف —في رأيه- حين فعل، فتوارد الخواطر ليس من السرقات الأدبية، كما يقول ابن شرف —حتى عند من درسوه تحت هذا العنوان مضيفا إلى أن كتابه : "أبكار الأفكار" يتضمن عبارة ذكية تبرر هذا التوارد حيث قال[1]:استدعاني المعز بن باديس يوما وأبا الحسن بن رشيق الأزدي، وكنا شاعري حضرته وملازمى ديوانه فقال:

أحب أن تضعا بين يدي قطعتين في صفة الموز على قافية الغين فصنعا حالا من غير أن يقف أحدنا على ما صنعه الآخر، فكان الذي صنعته[2]:

ياحبذا الموز وإسعاده من قبل أن يمضغه الماضغ

قد لان حتى لا مجس له فالفم ملآن به فارغ

سيان قلنا مأكل طيب فيه وإلا مشرب سائغ

والذي صنعه ابن رشيق[3]:

موز سريع أكله من قبل مضع ماضغ

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي،ص 238.

[2] – المرجع نفسه، ص. ن.

[3] – المرجع نفسه ، ص. ن.

فمأكل لآكل ومشرب سائغ

فالفم من لين به ملآن مثل فارغ.

يخال وهو بالغ للحلق غير بالغ.

حينها قال ابن شرف معلقا على الأبيات التي صنعها وابن رشيق :"فأنت ترى هذا الاتفاق كما كانت القافية واحدة، والقصد واحدا، ولقد قال من حضر ذلك اليوم: ما ندري ممّ نعجب، أمن سرعة البديهة، أم من غرابة القافية أم من حسن الاتفاق ، والحقيقة أن العجب من كل ذلك"[1]، والذي يمعن النظر فيما قيل يصرف النظر عن القضية التي يعالجها أو التي يطرحها.

وبالعودة إلى مسألة السرقة الشعرية جدير بالذكر أن ابن شرف قد وقف عند هذه النقطة متسائلا عن جدوى سرقة معاني الشعراء القدامى، واتكاء بعض الشعراء المعاصرين عليها، إذ أنه لا يرى مسوغا لمثل هذا الفعل الذي يدلّ بنظره على قصور همة وعدم القدرة على قول الشعر ممّا أثار إعجاب النقاد بطرحه هذا لكن الحسرة ملأت قلوبهم لعدم وجود شرح كاف من ابن شرف لهذه العبارة ،وما المقصود من ورائها، ذلك أنها –برأينا- كانت ستصنع فارقا في عالم النقد، الأمر الذي يفضي بطبيعة الحال وجود تغيير على المستوى العلمي والنظري والإجرائي.

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 239.

لذلك يجب الأخذ بالحسبان إيراد التفاصيل في بعض القضايا النقدية التي تستلزم ذلك، فالناظر للأمر من زاوية أخرى يجده غير ذلك، إذ أنه من الممكن أن يكون منهج الرسالة الذي توخّاه حسب الدكتور بشير خلدون والأسلوب الذي اعتمده هو ما جعله يتخلّى عن فكرة التوسّع في موضوع السرقة، لذلك عوّل ربما على فهم القارئ وتصوره للسرقة وأنواعها[1]، وهو ما يتأكد لنا انطلاقا من قوله :"فقس بفهمك وأعمل فكرك على ما وصفناه من أبواب السرق ما وجدته من أشعارهم أذكرها يظهر لك جميع ما وصفنا ويبدو له وجه ما رسمناه"[2].

وخلاصة القول أن ابن شرف قد استطاع بعينه الناقدة وبصيرته النافذة أن يعطينا تصورا أو رؤية شاملة عن السرقة في فقرات تبدو قصيرة، لكنها ذات دلالة واضحة لا لبس فيها عن وعي بالموضوع وفهم دقيق لقضاياه حتى تلك العيوب الدقيقة التي اقتصر في التمثيل لها على أبي الطيب قال: ومما يقع في عيوب الشعر ويعقل الشاعر عنه لصغر جرم العيب وسلامة اللفظ الذي اجتبى فيه، ثم يكون ذلك بسبب عقله النقاد أيضا عنه مثل قول المتنبي: **كفى بك داء أن ترى الموت شافيا**[3]

وتعليقا على ما جاء في قول المتنبي يقول ابن شرف :"إنما شكا داءه ووصفه بالعظم فعاد شاكيا نفسه وجعلها أعظم الداء لأنه كفى بدائك داء فغلط وقال: كفى بك داء فصار كفى بالسلامة داء

[1] – ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 234.

[2] – ابن شرف، أعلام الكلام،ص 43.

[3] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي،ص 239.

هي الداء، وقال الله تعالى :"وكفى بنا حاسبين"[1] فالله هو أعظم شهيد فجعل المتنبي نفسه أعظم الداء و لم ير إلا استعظام دائه وإصلاح هذا الفساد وبلوغه إلى المراد أن يقول:

كفى بالمزايا أن تسكن أمانيا وحسبك داء أن ترى الموت شافيا"[2].

ويلاحظ من خلال ما سبق ذكر أن ابن شرف أورد مثالا على عيب من عيوب الشعر ثم شرح الخلل الحاصل فيه ثم أتبعه بكيفية إصلاح ذلك الخلل وهي طريقة لا يمكن إلا أن يقال عنها قمة النقد البناء الذي يعالج مواطن الخلل ويرتقي بها نحو أدب راق.

وفي الأخير لابد من التنويه لنقطة جوهرية أوردها ابن شرف تتعلق بمنهجه الذي توخاه، حيث ترك مساحة من الحرية للقارئ أو المتلقي كي يفهم ويعي ما يريده الكاتب أو الأديب إيمانا منه –في نظري- بأن القراءة الإبداعية تلك التي يكون محورها المتلقي، فتعدّد القراءات تختلف باختلاف قرّائها"[3].

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن النقد قراءة للنص الإبداعي ولا يوجد نص لا يحتمل تعدد القراءات، ومهما يكن من أمر فقد استطاع ابن شرف أن يوحي لنا بأن هناك عملية دفع للقارئ أو

[1] – سورة الأنبياء، الآية: 47.

[2] –عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص ص 233، 240.

[3] – ينظر: علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص 135.

المتلقي للمشاركة في عملية إطلاق الأحكام أو فهم الغايات والأهداف من وراء هذه الأقوال وهذا –برأي– عين الصواب والفطنة.

إذن بصرف النظر عن مخالفة ابن شرف لابن رشيق غير أنّهما يشتركان في نفس النظرة أو الاتّجاه الذي يمثله نقادنا في المغرب العربي، وذلك في مجال الدراسات الأدبية بصفة عامة والنقدية بصفة خاصة، وهي نظرة –كما يقول بعض النقاد– يغلب عليها طابع السلفية المتحرّرة، فقد حاولوا جميعهم الملائمة بين التقليدية القديمة للحفاظ على المصادر الأساسية لمنابع الأصالة وهو اتجاه سليم يدل على فهم دقيق لأمهات القضايا النقدية التي شغلت بال النقاد قديما وحديثا[1]

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 146.

III – موقف ابن رشيق من معارضة ابن شرف

III –أ –رد فعل ابن رشيق:

من الثابت لدى النقاد أن القرن الخامس الهجري يمثل ذروة الصّراع النّقدي الذي يجسّد عبر المساجلات النقدية والمحاورات الأدبية آنذاك، وخير دليل على ذلك معارضة ابن شرف القيرواني لابن رشيق رغم ما عرف عن هذين الشاعرين من صداقة استحالت فيما بعد إلى كثير من التلاحي والتهاجي شعرا، وفي أحيان أخرى تبادل الردود في أمور الأدب والعلم خاصة، فكتاب "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" لابن رشيق الذي :"ألفه بعد العمدة بقليل"[1]، شاهد عل عدم تأخّره في الرد كثيرا على ابن شرف، رغم وجود من يشكّك في أنّ ابن رشيق قد كتب العمدة والقراضة في الفترة الزمنية نفسها فيأتيهم الجواب على لسان أحد النقاد أنه "إذا كان ابن رشيق قد ألف العمدة في المدة من 412م-425م كما قررنا ونحن نتكلم عن النهشلي، فإنه قد كتب قراضة الذهب بعد ذلك بدليل إحالته على العمدة في قوله :"والحذق في الأخذ على ضروب أنا ناكر منها ما أمكن وتيسر، إذ ليست هذه الرسالة موضع استقصاء وقد فرغت في كتاب العمدة مما يراه أو أكثره"[2].

استنادا إلى هذا النص يمكن أن ننهي الجدل الدائر في أوساط النقاد من أن العمدة "تأليف العمدة والقراضة" كانا في نفس الفترة الزمنية ،لكن بصرف النظر عن هذه النقطة معظم النقاد يتوقعون أنها

[1] – ينظر: الشيخ بوقربة، رسالة دكتوراه الدولة، مخطوط :"مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي"،ص 35.

[2] – ابن رشيق المسيلي، قراضة الذهب في نقد أشعار العرب،تح: الشاذلي بويحي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1972م، ص 29.

رسالة احتوائية موجهة من ابن رشيق إلى صديقه أبي الحسن علي ابن القاسم اللواتي[1]،إذ يقول أحدهم في هذا الصدد :"وقد ألف ابن رشيق رسالة يرد فيها على ابن شرف سماها "قراضة الذهب" ينتصر فيها للقدماء والشاعر امرئ القيس خاصة، بالإضافة إلى مآخذ أخرى .

وتجدر الإشارة إلى أن ابن رشيق قد كتب "قراضة الذهب" إلى أبي الحسن علي ابن القاسم اللواتي، عندما أحس بأن أحد المعترضين على شعره يتهمه بالأخذ من أستاذه عبد الكريم النهشلي[2]، وهنا نشير إلى أن اللواتي كان معجبا بشعر ابن رشيق يترنّم به في وحدته وبين أصحابه، وذات مرة سمعه أحد جلسائه ينشد بيتين منه ،فادّعى هذا الجليس أنهما مأخوذان من شعر عبد الكريم النّهشلي، ليبلغ مسامع ابن رشيق ذلك فهاج هائجه وماج مائجه ونهض فكتب هذه الرسالة أو هذا الكتيب، وهو بعد أن يحي صديقه بقوله: بلغني –أعزك الله– أنك استحسنت معنى البيتين من مرثية الأمير سيدنا أبي المنصور وهما الأخيران من هذه الأربعة أبيات[3]".

ونشير هنا في عجالة إلى أن الأمير نفسه أديب، شاعر أنزله مؤرخو الأدب من ملوك المغرب منزلة ابن المعتز من ملوك المشرق بجامع البديع، وإذا كان ابن المعتز قد ألف بل هو من ألّف فيه، فإن المنصور

[1] – ينظر:المصدر نفسه ، ص 32.

[2] – محمـــد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة من القرن 5 هـــ–10هـــ، ص 328.

[3] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص ص 144، 145.

الذّهبي قد التزمه وأغرم به وشجّع عليه هذا في الأدب، أمّا في العلم فقد جزم علماء عصره بأنه المجدّد في القرن العاشر الهجري[1].

ومن هذا المنطلق نستطيع القول أن العلاقة بين الحكام –آنذاك– وبين العلم والعلماء علاقة وثيقة ،ربّما يرجع ذلك إلى إدراكهم العميق بأهميّة العلم والفكر في نشر الأفكار والمعتقدات التي كانت سائدة في ذلك العصر، على أيّة حال فقد استهلّ رسالته "قراضة الذهب" بالدفاع عن نفسه مخالفا بذلك النهج الموضوعي الذي سلكه في العمدة ، و السّبب في ذلك أنه "يتكلم في شأن يخصّه ويتعلق بكرامته الأدبية"[2]، ممّا يعني أنّ الجانب الذاتي لابن رشيق بالنسبة لبعض النقاد قد تدخّل ، و بالتالي يوصف على أنّه نقد ذاتي أكثر منه موضوعي، غير أن –العديد من النقاد– يعدون "قراضة الذهب" من المقالات النقدية التي التزم فيها صاحبها وحدة الموضوع ذلك أنه كان يترافع في قضية ويدافع عن موقف معين، أما القضية فهي قضية السرقات الشعرية، وأمّا الموقف فهو موقفه هو ما ادّعى عليه من سرقة[3]،الأمر الذي دفعه لأن يتخصّص في مفهوم السّرقة و أركانها، وذهب فيها إلى التحرّر من النظرة التقليدية للسّرقة وعدم موافقته على اتهام كل أخذ بالسرقة دون نظر إلى ما أخذ"[4].

[1] – عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي،ج1، د. ط، د. ت، ص ص 260-266.

[2] – المرجع نفسه ، ص 160.

[3] – عبد الله كنون ،النبوغ المغربي في الأدب العربي ،ج1،د.ط،د.ت، ص 159.

[4] – محمـــد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة،ص 328.

وهكذا نرى ابن رشيق مشمّرا عن ساعد الجد والاجتهاد في دفع اتهامه بالسّرقة ،حتى إذا أبلى في ذلك البلاء الحسن الذي رأينا بعضه لجأ إلى آخر سهم في جعبته ،ولعب بآخر ورقة في يده ألا وهي الموارد ة ، التي تظهر في قوله :"إنّما نسيانا يمر الشعر بمسمعي الشاعر لغيره فيدور في رأسه أنه له أو يأتي عليه الزمان الطويل فيتسنى أنه سمعه قديما، وإذا كان للمعاصر فهو أسهل على أخذه حتى تساويا في الرقة والإجادة، وربما كان اتفاق قرائح وتحاكيا من غير أن يكون أحدهم أخذ من الآخر كقول صريع في داود بن يزيد ابن الملهب:

تجود بالنفس إن فن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

وقول أبي الشيص في يعقوب بن داود من رواية الصولي في كتاب "الوزراء" وخاطب المهدي:

أمسى يقيك بنفس قد حباك بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

وأقلّ من الاتّفاق قسيم الاتّفاق في البيت بأسره وسبيله سبيل القسيم عن بيتي امرئ القيس وطرفة وماجرى مجراها فقال :"عقول رجال توانت على ألسنتها"[1].

ويبدو أن ابن رشيق قد حاول قدر المستطاع بما لا يدع مجالا للشك أن يكون موضوعيا ،وذلك بأن وسع دائرة بحثه، وزحم الميدان على حدّ تعبير الدكتور عبد العزيز قلقيلة بشعر الجاهلين

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي،ص ص 152، 153.

والمخضرمين والإسلامين والمحدثين مشارقة ومغاربة[1]، لاسيما من حيث ألفاظ الأبيات ومعانيها أو صورها أو بديعها، فجملة ما كان يورد الناقد ابن رشيق من أحكام نقدية كان في أعقاب كل بيت أو بيتين فما فوق من الشعر وكلها تدل على تالك الأحكام[2].

كما تجدر الإشارة إلى النقد الذي وسم به في كتاب قراضة الذهب هو النقد الجزئي الذي نوّه إليه الدكتور طه مصطفى أبو كريشة بأنه اتجاه طبيعي لأن إدراك الجمال الكلي في العمل الأدبي لا يتسنّى إلّا بإدراك الجمال في مكوّناته الجزئية التي بطبيعة الحال تبرز موهبة الناقد الذي يتجنب ما أمكن تلك النظرة السطحية المتسرعة[3]، وعلى خلاف ما عهدناه من ابن رشيق في كتاب "العمدة" يلاحظ أنه قد اعتمد أسلوبا مغايرا وذلك على المستوى الإجرائي، فقراضة الذهب "في جملتها وتفضيلها نقد تطبيقي كأحسن ما يكون النقد التطبيقي وسياحة في دنيا الأفكار والصور"[4].

تأسيسا على ذلك فالغاية من "قراضة الذهب" لم تكن السرقات الشعرية بقدر ما هي "النظر في الخلق الشعري وتطوره ونقد أشعار العرب في نطاق هذا التطور كما يشير إلى ذلك بعض النقاد[5]، ولا مناص من القول أن أي نظرية نقدية ستبقى حبيسة المجال النظري إن لم تجد ناقدا ذو مقدرة

[1] – المرجع نفسه، ص 159.

[2] – إبراهيم عبد النور، طبيعة الإبداع الشعري في ضوء قراضة الذهب، ص 76.

[3] – طه مصطفى أبو كريشة، النقد العربي التطبيقي بين القديم والحديث، المقدمة/ ص. ب.

[4] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في النقد العربي، ص 159.

[5] – ينظر: ابن رشيق، قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، تمهيد، ص7.

على إخراجها من العالم التنظيري إلى الولوج لها إلى العالم التطبيقي، وفي السياق ذاته لابد من التنويه إلى سبب آخر لتسمية ابن رشيق لكتابه "قراضة الذهب" كي تتضح الصورة أكثر فقد اعتبره بعض النقاد بمثابة تحية من ابن لأبيه وهدية من ولد لوالده بالنظر إلى عمل والده كصائغ، فسمى ابنه كتابه "قراضة الذهب" وجدير بالملاحظة لفتته في اختيار الاسم كأنه ينبه قارئه أن ما سيقرأه كلام ثمين مثل نثار الذهب[1]، فكان له بذلك ما أراد في إشارة واضحة إلى الاهتمام الذي أولاه ابن رشيق بكل إبداع في الشعر من خلال كتابه "قراضة الذهب" إضافة إلى أنه ليس سوى مرآة عاكسة لفكر ابن رشيق حول الصناعة الشعرية التي تعدها إلى ما وراء ذلك ليبلغ مصطلحا عصريا ألا وهو الخلق الشعري، نتيجة لذلك عد أحد النقاد "العلم في القراضة مبطن بالعاطفة، وهو في العمدة غير مبطن"[2].

وهذا يحيلنا بطبيعة الحال إلى الفرق بين قراضة الذهب وبين الأبواب التي تعالج موضوعه في كتاب العمدة وهي كما يلي[3]:

-باب المخترع والبديع، ج1، الصفحة 262-265.

-باب الاشتراك، ج2، الصفحة 96-100.

-باب السرقات ومشاكلها، ج2، الصفحة 96-294.

[1] – المرجع السابق، ص 144.

[2] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 160.

[3] – المرجع نفسه، ص 159.

وأهم ما يلاحظ في القراضة أن التمثيل فيه غالب على التعريف عكس ما نجده في العمدة، فالتمثيل والتعريف مساويان لبعضهما البعض .

وعليه يمكن القول أن ابن رشيق كان في ملحمته النقدية محام بليغ المرافعة قويّ الحجّة ناهض الدّليل طويل النفس، لم يترك مطعنا إلّا فنّده واحتمالا إلا سدّه[1]

ب–الآراء النقدية حول المعارضة لبعض النقاد:

المطّلع على "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" يلتمس نوعا من العاطفة في مستهل كتابه لكنها تصير شيئا فشيئا إلى تلك الموضوعية التي يشير إليها –أحد النقاد– بأنها السمة الغالبة على الإنسان كلّما تقدّم به العمر أكثر فأكثر، إلّا أنّ ابن رشيق خالف هذه القاعدة بحسب البعض كون المسألة تخصّه بالدرجة الأولى ، فهو أمر لا شكّ يمسّ كرامته ومنزلته[2] في عالم النقد خاصة وأنه اتهم بالسرقة من أستاذه عبد الكريم النهشلي، ما أثار غضبه لدرجة دفعت به نحو تأليف رسالة نقدية تتعلّق بقضية السرقات الشعرية ،وما يتّصل بها كردّ بليغ الحجّة على من يتّهمون بذلك، لكن من زاوية أخرى نجدهم معذورون –في حقيقة الأمر– بتفكيرهم هذا نظرا لإعجاب ابن رشيق الشّديد بأستاذه عبد الكريم النهشلي لمرحلة بلغت به أن نقل عنه كثيرا من كتاباته ، وأخذ برأيه في العديد

[1] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 160.

[2] – ينظر: عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 160.

من القضايا متجاوزا ذلك ليتبنى بعضها دون تصريح أو إشارة منه إلى اسمه معتقدا في ذلك أنّ شيوع الآراء ،وكثرة تداولها على ألسنة النقاد ويعطيه الحق بتبنيها[1].

ومن هذا المنطلق ينقل عن أستاذه عبد الكريم النهشلي قوله :"قالوا: حسن البلاغة أن يصور الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق، ومنهم من يعيب ذلك المعنى إسهابا وآخر يعده نفاقا"[2]، ويرد ابن رشيق على هذا الجزء الأخير من هذا الحكم بقوبه :"والذي أراه أنا أن هذا النوع من البيان غير معيب بأنه نفاق لأنه لم يجعل الباطل حقا على الحقيقة والحق باطلا ،وإنّما وصف محاسن كل شيء مرة ثم وصف مساويه مرة أخرى"[3]، و قد نعت ابن رشيق بالمقلد نظرا لاتباعه أسلوب أستاذه النهشلي

—حسب رأي بعض النقاد- في آرائه النقدية رغم ما يقال عنه فهذا الأسلوب يعدّ نوعا من الأساليب النقدية التي لا تلغي شخصية الناقد بالأخصّ أنّه واسع الاطّلاع في مجاله ذو مقدرة عالية على الكتابة والتأليف لا يسع المرء إلا أن يقف عند هذه الشخصية إجلالا وتعظيما لما قدّمه من جهود نقدية في سبيل النهوض بالنقد المغاربي، غير أنّ هذا الكلام قد لا يعجب بعض النقاد لأنّه -في رأيهم- "أنّ ناقدا مثل ابن رشيق مازال يبني كثيرا من قواعده النّقدية على آداب اللياقة في مجالس

[1] - ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على ابن رشيق المسيلي،ص ص 251، 252.

[2] - ابن رشيق، العمدة، 165/1.

[3] - ابن رشيق، العمدة، 165/1.

الممدوحين، ولو أنّه آمن بأن انكسار الحلقة السحرية ممكن لما كان بحاجة إلى تكرار تلك القواعد"[1] بمعنى آخر أنّ ابن رشيق لم تكن لديه معايير نقدية بتلك القوة حتّى يستند عليها في نقده ،في المقابل يشير بعضهم الآخر إلى أنّ ابن شرف كأحد النقاد الذين يلتمسون في المقابل كل وسيلة لإلصاق الخطأ بالشاعر[2]، وهذا بنظري –لأمر عار عن الصحة، إذ لو كان الأمر كذلك فهو ليس معصوما من هذه الأخطاء التي يتمّ ردها للآخرين حسب زعمهم، وبالتّالي لا يمكنه فعل ذلك إلّا إذا اعتبر نفسه –أي ابن شرف– في مترلة علياء لا يصل إليها أحد من الشعراء وهذا ما لم نلحظه عند ابن شرف.

ومن اللاّفت أنّ التّباين بين النقاد الذي استمرّ مريره برأي الدكتور إحسان عباس على شكل يوحي بوجود تيارين متوازيين متباعدين على الدوام إزاء المشكلات النّقدية[3] كقضية اللفظ والمعنى، في حين أن الأمر على العكس من ذلك تماما، فالغالبية العظمى من "نقاد القرن الخامس الهجري كانت تميل إلى التوفيق بين اللفظ والمعنى ،إلّا أنّه رغم ذلك نجدهم في حيرة شديدة من أمرهم ربّما لأنّهم لم يهتدوا إلى قاعدة صحيحة تنجيهم من هذا التردد"[4].

[1] – إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 368.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 370.

[3] – ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 369.

[4] – المرجع نفسه، ص 370.

وتماشيا مع ما تمّ ذكره نجد أنّ ابن رشيق قد التزم الوسطية –أي المذهب الأوسط- في كثير من أحكامه النّقدية خاصّة تلك المتعلقة بمسائل الأدب والنّقد لأنّ النّقد مسألة شديدة التأثّر بالقناعات الراسخة لدى أي ناقد.

وعليه يمكن القول أنه "حينما أخفق الشعر في أن يجد طريقه الصحيحة وغايته أخفق النقد في التّطور إلى مستويات جديدة، لذلك كرّر الحديث عن عمود الشعر –مع تطوير جزئي فيه- وعن المفاضلة بين النثر والشعر وعن السرقات في مجال القواعد والتطبيق، وعن المطبوع والمصنوع، ومبدأ "الكذب والصدق" في الشعر، وعن انقسام النقاد في تعصّبهم للفظ والمعنى، وعن شؤون البديع وعلاقتها بالمستوى البلاغي ،وعن عناصر شكلية في طبيعة العمل الفني، وبدا أنّ الوصول إلى نتائج جديدة لا يتعدّى أمورا جزئية[1].

ولا مناص من القول أنّ "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" يعدّ من بين تلك النّتائج الجديدة التي وصلت في آخر المطاف إلى أمور أثرت السّاحة النّقدية علاوة على ذلك "قراضة الذهب رسالة وأسلوب الرسالة لو كان موضوعها العلم والأدب يختلف عن أسلوب الكاتب"[2]، أي أنّ ابن رشيق كان سيبدع أكثر في قراضة الذهب لو كانت العوامل مختلفة، ويمكن تلخيص تلك العوامل في جملة من النّقاط نجملها فيما يلي:

[1] –إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 369.

[2] – عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 160.

-الدفاع عن نفسه ضد ما اتهم به سرقة شعر أستاذه عبد الكريم النهشلي.

-هدية من ابن لأبيه وهذا إن دل على شيء إنما يدل على بر وإحسان ابن رشيق لوالده.

-تخصيص الكتاب بالبحث عن السرقات الشعرية وكل ما يتصل بها من ألفاظ ومعان وصور وبديع ... وغيرها من الأمور ذات الصلة بمعنى آخر الإلمام بجميع جوانبه ونواحيه، وهذا لا يتأتّى إلاّ بالاطّلاع الواسع على مختلف الثقافات ،لكنّ الغريب في الأمر حسب بعض النقاد أنّ كتاب الشعر ،أو الأثر اليوناني، لا يجدون له أيّ صدى بين نقاد القرن الخامس الهجري إذ استثنيت تلك الإشارة الطفيفة لابن حزم الأندلسي، ويرجع -أحدهم- ذلك إلى طبيعة النقاد وطبيعة الشعر ،وكلتاهما أصبحت تنأى عن الأثر الفلسفي —فبرأيهم- أصبح النقاد يجدون الجواب على المشكلات النقدية جاهزا لدى الآمدي والجرجاني دون أن يخلق التيار الشعري —المتجه نحو الشكلية العامة أو الصورة الجزئية —أية مشكلة جديدة تتطلب تعمّقا في النّظر وتأتّيا في الحل[1].

استنادا إلى هذا الكلام حبّذا لو كان هناك احتكاك على المستوى العلمي بين الثقافتين اليونانية والعربية لكان الأمر أو الصورة ستختلف تماما على مستوى الحركة النقدية في القرن الخامس الهجري ،إذ تشير الدّراسات إلى عدم وجود اتّصال بالثقافة اليونانية من قبل ابن رشيق لأسباب تعود إليه، غير أن تأثّره بقدامة ذو الاتّجاه اليوناني قد سمح له بالاحتكاك بها دون وعي منه ،حيث نلحظ ذلك

[1] - ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي،ص 411.

من تحديده لمفهوم الشعر فيقول :"الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا هو حدّ الشعر، لأنّ من الكلام وزنا مقفى وليس بشعر لعدم القصد والنية"[1].

وفي الأخير لا يسعنا سوى القول أن "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" من جملة ما أفرزته العملية النقدية على المستوى النّظري والتّطبيقي، فمثل بذلك وجها جديدا يحمل في طيّاته المزيد من التطور في عالم النقد ما يعدّ ابن رشيق وابن شرف.

[1] – ابن رشيق، العمدة، 119/1.

الفصل الرابع

الموازنـــــــــــة بين ابن شرف وابن رشيـــــــق

توافق بين الأصول واختلاف في الفروع

تمهيد :

في هذا الفصل أمعنت النّظر طويلاً في الطريقة التي بإمكانها أن تبرز أفكار ومواقف كلّ من ابن شرف القيرواني وابن رشيق المسيلي، فلم أجد سوى الموازنة كأبلغ سبيل يمكن للقارئ من خلالها معرفة بعض ما يمكن معرفته، ذلك أن الثّقافة الموسوعية التي يمتلكانها لا يمكن بأيّ شكل من الأشكال اختزالها في فصل أو في أُطروحة أو في مجلد ما ، بل لا يمكن نسيان فضلهما فيما أضافاه للمكتبة العربية من علم رغم ندرة ما قدّماه ،إلاّ أنها تُعدُّ كنوزًا معرفية لا ينبغي بأيّ حال أن نتجاهلها فلكلّ زمان مضى آية كما يقول أحمد شوقي في قصيدته:

من نسي الفضل للسّابقين ****** فما عرف الفضل فيما عرف**

أليس إليهم صلاح البناء ****** إذا ما الأساس سما بالغرف**[1]

بالإضافة إلى أنّ الموازنة وجدها تصلح للتّطبيق بين ابن شرف وابن رشيق، إذ أنّهما شاعران وأدبيان من بيئة وجيل واحد يحملان نفس المدرسة يتقاربان في الخصائص الفنية، أي أنّهما يشتركان في عدّة نقاط ،فضلا عن كونها دراسة نقدية تحتاج لذوق أدبي أرجو أن أوفق في الحصول عليه. ذلك أن الكثير منّا يلتبس عليه الأمر فيجد نفسه أمام مفاضلة وليس موازنة وهذا ما يجب الانتباه إليه، انطلاقا من معرفة الفرق بينهما، فالموازنة والمفاضلة ليستا مصطلحًا واحدًا ،إنّما هناك اختلاف

[1]- أحمد شوقي، قصيدة لكل زمان مع مضى أية، البيت العربيwww.Arabe Home.com، اطّلع عليه 15|08|2021م.

بينهما، فأمّا الأولى لا يكون فيها حكم تفضيل واحد عن الآخر ،بل يحصل ذلك في المفاضلة التي تقوم على تفضيل شاعر أو أديب على غيره تبعا لأحكام الذوق العام التي تتفاوت من شخص لآخر دون أن يتطلّب ذلك تحليلا نقديا سليما ولا تبريرا علميا يفسّر سبب إطلاق هذا الحكم أو غيره كما كان يحدث في عصور خلت من قبل، إذ لم تكن تلك الأحكام النقدية سوى أحكام مفاضلة لا أقلّ من ذلك ولا أكثر.

وجدير بالذكر أنّ معظم أحكام المفاضلة تستند في مجملها إلى الإجادة الشّعرية في خلق تواصل مباشر مع رغبة المتلقي ،ناهيك عن النّاقد الذي لم يكن ينظر للقصيدة كعمل أدبي متكامل في تلك الفترة، إنّما كان مكتفيا بالنظر إليها نظرة جزئية تلفت انتباهه ،فتلثمُ القصيدة وتعيبها أو تعكس جودتها ،ويكون حكم المفاضلة مبنيا عليها[1].

وعليه يمكن القول أنّ الموازنة تبقى في رأي الكثير من النّقاد والأدباء رأي نقدي يكون فيه عنصرالحياد السّمة البارزة أثناء المقارنة بين ناقدين أو شاعرين دون تفضيل أحدهما عن الآخر، كما في كتاب الموازنة للآمدي ،حيث لم يفضّل البحتري على حساب أبي تمام أو العكس، بل ذكر محاسن كل منهما وأين تكمن جودة شعر كل منهما وكذا مكامن الاختلاف بينهما، فقد بدا الآمدي في منهجه هذا مختلفاً عمّن سبقه في ذلك، إذ أنّ الطّابع الوصفي التحليلي كان الغالب عليهما ،حيث وقف على الأسباب والمعايير والمقاييس التي اعتمدها أنصار أبي تمام وفضّلوه تبعا لها على البحتري نحو

[1] ينظر: هيثم طارم، النقد الأدبي بين المفاضلة والموازنة والمقارنة، التراث الأدبي، ع2، ص2.

غموض المعاني ودقّتها وكثرة ما يورد ممّا يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ،وكذا من يميل إلى التدقيق وفلسفة الكلام ؛في المقابل نجد أن حلاوة اللفظ وحسن التخلص ووضع الكلام في مواضعه ،وصحّة العبارة ،وقرب المأتى نوانكشاف المعاني ،معايير دعت أنصار البحتري لتفضيله على حساب أبي تمام ،وهؤلاء هم الكتّاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة، والآمدي قبل ذلك يبدو مقرّا بشاعرية كلّ من أبي تمام والبحتري وإجادتهما فضلا عن أهلية كل منهما للفحولة الشعرية[1].

وعلى هذا الأساس فقد عرفت الموازنة في الأدب على أنّها منهج تطبيقي يرمي إلى تحقيق إحدى الغايتين الوصف والحكم أو كليهما معًا وذلك بدراسة أديبين من ناقد لآخر تبعا لمذهبه في الأدب ونقده[2]، فالموازنة النقدية تسير وفق أسس ومعايير منهجية يتبعها النّاقد بحرص واهتمام في إطلاق حكمه بخلاف عملية المفاضلة ،أضف إلى ذلك أنّ الموازنة لا تقع بين أديبين أحدهما غربي وآخر عربي، فهذه تندرج تحت مسمّى الأدب المقارن، ولا تصلح أن تكون بين أديبين أحدهما شعري وآخر نثري، إذ أنّه من اللّافت أنّ لفظ الموازنة استخدم في الأدب العربي القديم لىكون مصطلحًا نقديا يشير إلى مقارنة نقدية بين أديبين أو فكرتين أو أثرين أو مدرستين أو شخصيتين[3]، يلتقي كل منهما في العرق الاجتماعي واللّون اللّغوي والفنّ الأدبي ،وهذه سمات جعلتني أتأكّد بوجوب عقد

[1] ينظر: موازنة الآمدي بين النظرية والتطبيق2021-8-7،abu-adny

[2] ينظر: عدوية فياض(8-5-2020) نظرات تحليلية في كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي37هـ، مجلة الفتح، ع23-274.

[3] ينظر: تعريف ومعنى موازنة في معجم المعاني الجامع، اطلع عليه بتاريخ2021-6-7- www.almaany.com

موازنة بين شخصيتين لهما وزنهما في النقد الأدبي هما ابن رشيق وابن شرف اللّذان يشتركان فيما سبق ذكره ،فارتأيت أن تكون الموازنة من حيث: الأسلوب ، القضايا النقدية (اللفظ و المعنى – الشعر و النثر – القديم و الجديد –الطبع و الصنعة –السرقات الشعرية)

I–من حيث الأسلوب:

1.I.ابن رشيق المسيلي:

يعدّ الأسلوب من الآليات الفنية التي يستطيع بها الإنسان تمييز شخص عن غيره من الأشخاص ،فما بالك إذا كان علما في النّقد والأدب كابن رشيق الذي تميّز بأسلوب أدبي خاصّ استطاع به الولوج إلى بوابة النقد والأدب، "فالأسلوب هو الرجل" كما يقول الباحث الفرنسي جورج بوفون ،وبخاصة إذا كان الأسلوب راقيا ونبيلا وساميا، فإنّ الكاتب سوف يعدّ كذلك في كلّ العصور لأنه لا يدوم بل لا يخلّد إلاّ الحقيقة ،ولأنّ جمال الأسلوب يكمن في واقع الأمر في العدد اللامتناهي من الحقائق التي يقدّمها[1].

ويمكن القول أن هذا الكلام ينطبق على كلّ من ابن رشيق وابن شرف، فابن رشيق سهل ليِّن في كتاباته غير متعصّب لآرائه ،بل يورد طائفة من آراء وأخبار النقاد والأدباء في مسألة معيّنة ،ثم يبدي رأيه فيها صراحة أو تلميحا بالتّوافق والانسجام مع رأي أحد النقاد باعتبارهم المرجع الذي يعتمد عليه في إقناع المتلقي ،فإنّ المرء لو طابقت كتاباته تفكيره ولو كان مقتنعا بما يريد أن يقنع به

[1]–شفيق جيري،الأسلوب هو الرجل، هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة، أطلع عليه 10-8-2020، www.alukah.net.

الآخرين فإنّ إخلاصه ذلك مع نفسه هو الذي يعطيه صفة اللّياقة عند قارئه ويعطى لأسلوبه صفة الحقيقة، و خير دليل على التزام ابن رشيق بذلك، المقولة التي أوردها عن أستاذه عبد الكريم النهشلي فيما يتعلق قضية السرقات الشعرية ،حيث يقول أنها ما نقل معناه دون لفظه، وأبعد في أخذه على أن من الناس من يعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس، وطرفة حين لم يختلفا إلا في القافية، فقال أحدهما وتحمّل ،وقال الآخر وتجلّد، فمنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى ويكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل" ، وهذا يسوقنا بطبيعة الحال إلى سمة تميّز بها ابن رشيق في مؤلفاته وهي الحجج والبراهين والأمثلة الحسية التي يستحضرها لإقناع المتلقي حتى لو كانت في بعض الأحيان حججاً واهنة ،إلا أنّها تدلّ على حرص ابن رشيق وعنايته بفكر وعقل المتلقي بغية التأثير فيه ،علاوة على ذلك نجده يفصل تارة ويجمل تارة أخرى ،ويدقّق حينا ،ويحلّل حينا آخر دون أن يتر الموضوع أو المسألة حقّها من المناقشة والتحليل، فيقول في هذا الصدد: " فلابد من الإتيان على هذا فصلا فصلا إن شاء الله تعالى" مبرزا في الوقت عينه مقدرة استثنائية في تمكّنه من ناصية العربية مع سعة الاطّلاع التي يملكها في شتى العلوم الأمر الذي مكّنه من معرفة النفس القارئة التي تترع إلى التبويب والتصنيف الذي يساعد على التعلم، إذ يصرّح ابن رشيق: وسأورد عليك مما رويته أو تأدّى إلى فهمه لكل واحد من هذه الألقاب مثالا يعرفه العالم ويقتدي به المتعلم إن شاء الله تعالى[1] :

[1]–شفيق جيري،الأسلوب هو الرجل، هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة، أطلع عليه 10-8-2020 ، www.alukah.net

I-2- ابن شرف القيرواني

يمكن تلخيص أسلوب ابن شرف القيرواني من خلال كتابه أو كما يسمّيها كثير من النقاد رسالة في "مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد"، حيث تعدُّ أول قالب نقدي في صورة مقامة طويلة قدّمت لنا زبدة النّقد الأدبي في أسلوب شيّق مزج فيه بين أسلوبين ذاع صيتهما في ذلك الوقت، قدر بحنكته الأدبية فعل ذلك بنجاح منقطع النّظير، فأمّا أسلوب المقامات (مقامات بدىع الزمان الهمذاني) والأسلوب القصصي المتمثّل في (كليلة ودمنة) ،جعلا من مقامة ابن شرف ذات متعة ،إذ يقول: " لتعلق بها شهوات الأحداث وتستعذب بثمره الألفاظ الحداث "[1]، أي المتحدثين بها في الكتاب من عذب الألفاظ.

بناء على ذلك يمكن القول أن طريقة عرضه لقضايا الكتاب جاءت في صورة ليست من ابتكاره لكنها من اختياره ،وإذا كان الاختيار دالّا على عقل الرجل فقد أحسن ابن شرف في طريقة عرضه كلّ الإحسان ،مفيدا من بحوث السابقين ،وما أضافه من آراء نقدية مكّنته في ذلك براعته اللغوية وثقافه المعرفية أن ينتج مقامة "يروق الصغير معناها والكبير مغزاها"[2]، أي أنَّه كان ذا بصيرة نافذة يهدف من خلالها إلى تسويق فكره وأفكاره إلى مختلف فئات المجتمع ،فالعلم ليس حكرا على فئة بعينها كما يعتبر البعض فللصغير من أحاديث ابن شرف نصيب ومتعة في معانيها القريبة ،وللكبير من

[1] أعلام الكلام، ابن شرف، ص 13.

[2] المصدر نفسه ص. ن

الخاصة متعة في مراميها البعيدة التي تتطلّب إعمال الفكر بتؤدة وروية، وهذا ما عبَّر عنه ابن شرف بلفظي (معناها ومغزاها) مع ما فيهما من تجانس وجرس موسيقي باتحاد الفاصلة في إشارة واضحة إلى أسلوب السجع الذي اعتمده، لكن اللافت في الموضوع أن سجعه لم يأت فارغ المضمون كسجع الكُهان، إنَّما جاء كلّ لفظ منه في موضعه الممكن فيه، لأن المعنى هو الذي استدعاه والمبنى لا يتمّ دونه .

عطفا على ما سبق يمكن القول أن ابن شرف استطاع قراءة النفس البشرية قراءة جيّدة كونه أدرك ما تحبذه ،ومالا تحبذه كالتكلف ،والابتذال في السجع الذي ابتعد عنه ،الأمر الذي جعل الكثيرين يشيدون بما وصل إليه ابن شرف في إدراكه للمنهج النفسي قبل غيره من النقاد، فهو أراد من تجنّبه للتكلف والابتذال أن يلج كلامه مسامع المتلقي ،ويحفظ كنهه ،ويتأمل عباراته وألفاظه ،حيث يستهلّ رسالته بقوله: "هذه أحاديث صنعتها مختلفة الأنواع، مؤتلفة الأسماع عربيات المواشم، غربيات التراجم، واختلفت فيها أخبار فصيحات الكلام، بديعات النظام لها مقاصد ظراف وأسانيد طراف، يروق الصغير معناها والكبير مغزاها وعزوتها إلى أبي الصلت بن السكن من سلامان، وكان شيخا همًّا وبدرا تمًّا في البيان، قد بقي أحقابا ولقي أعقابا ثم ألقته إلينا من باديته الأزمات وأوردته علينا المعجزات، فامتحنا من علمه بجرا جاريا وقد عنا من فهمه زندا واريا وأدرنا من بره طرفا" [1].

[1] أعلام الكلام، ابن شرف، ص13

وفي سياق حديثنا عن أبي الريان فقد اختلفت الروايات في تحديد هويته عمّا إذا كان من نسج الخيال أم شخصية واقعية، وهذا محلّ نظر عند بعض النقاد لأنه على ما يبدو أن ابن شرف أراد أن يفتح آفاقا واسعة أمام مخيلة القارئ أو المتلقي بغية استكناه النص الذي بين يديه وتأويله بعد فهم عميق لمقصود كلامه ووضعه أمام سياقات مختلفة المعاني ،بالإضافة إلى النهج الذي سلكه في عرضه لبعض القضايا على شكل حوار متخيّل بينه وبين أبي الريان ، فيسأل هو وأبو الريان يجيب ويوضح ،وهي الطريقة نفسها التي ابتدعها (بديع الزمان أبو الفضل بن الحسين الهمذاني[1] في مقاماته، فقد كان ينسبها إلى راوية رواها له يسمّيه عيسى ابن هشام ،ويزعم عيسى ابن هشام بدوره أنه يحدثه بها عن بليغ يسميه أبا الفتح الإسكندري[2]

كما تجدر الإشارة إلى أن ما يتميز به ابن شرف أيضا هو إثارة فضول القارئ في أكثر من موضع إذ يقول: "ولا لهم إلى سوى القصيدة معدل عنها فقس بفهمك وأعمل فكرك على ما وصفناه من أبواب السرق ما وجدته في أشعار لم أذكرها، يظهر لك جميع ما وصفناه ويبدو لك جميل ما رسمناه" وهذا لا يعني سوى أمور ثلاثة:

[1]-ابن شرف القيرواني ،أعلام الكلام، ص.ن

[2]المصدر نفسه، ص 14

ـــ **أوّلها**: الدعوة إلى توظيف ما ذكره والحرية في إثبات صحة مقولاته.

ـــ **ثانيها**: إشراك المتلقي في عملية البحث والتأويل.

الايجاز في الكلام وعدم تكراره :حتى لا تمل نفس القارئ إذ يقول " فأقمت من هذا النحو عشرين حديثا، أرجو أن يتبين فضلها ولا تقصر عما قبلها [1]

[1]-أعلام الكلام ، ابن شرف القيرواني .ص14

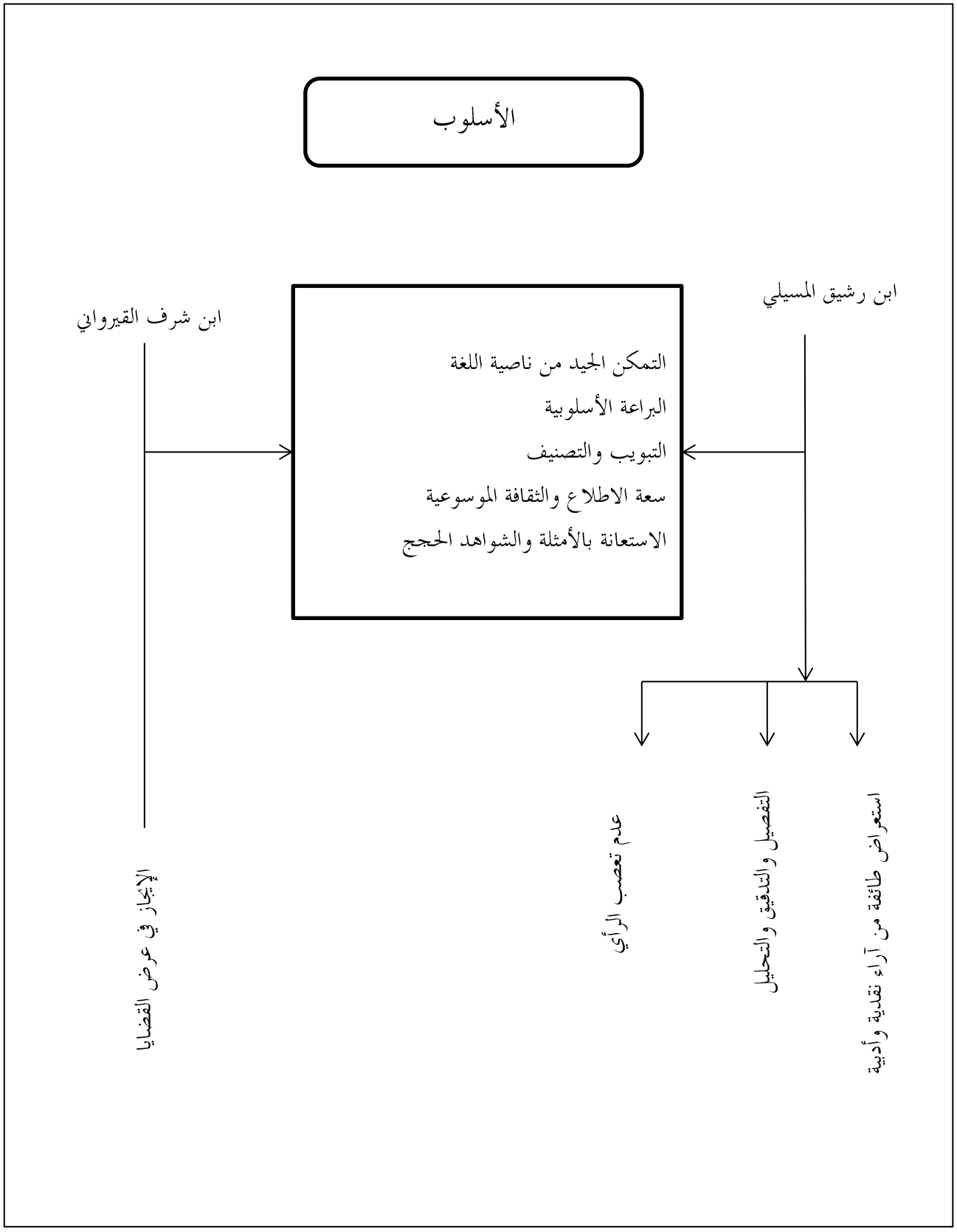
الأسلوب
ابن رشيق المسيلي
ابن شرف القيرواني
التمكن الجيد من ناصية اللغة
البراعة الأسلوبية
التبويب والتصنيف
سعة الاطلاع والثقافة الموسوعية
الاستعانة بالأمثلة والشواهد الحجج
استعراض طائفة من آراء نقدية وأدبية
التفصيل والتدقيق والتحليل
عدم تعصب الرأي
الإيجاز في عرض القضايا

II-الشعر والنثر

II -1-ابن رشيق القيرواني:

المطّلع على كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق يجده من الوهلة الأولى منتصرا للشعر ميَّالا له قد يتساءل البعض كيف ذلك ؟.

نلمح الإجابة عن هذا السؤال بدءا من اختياره الشعر كمادة لكتابه الذي يبرز فيه فضل الشعر ومحاسنه فضلا عن الأبواب التي أفردها دفاعا منه عن الشعر والشعراء نذكرها كما يلي:

- باب فضل الشعر.

- باب في الردّ على من يكره الشعر.

-باب في أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء.

-باب من رفعه الشعر ومن وضعه.

-باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه.

-باب احتماء القبائل بشعرائها.

-باب من فأل الشعر وطيرته.

-باب تعرض الشعراء

-باب في منافع الشعر ومضاره

كلّها تشير بوضوح إلى ميله للشّعر على حساب النثر محاولاً إظهار عظمة الشعر، وبيان فضله ،ومزاياه مؤكدا على القيمة الاجتماعية للشعر والشعراء ومالها من مكانة اجتماعية خطيرة ، فمسألة إنشائه عملية مهمّة شاقّة ،ومسؤولية خطيرة تقع على عاتق الشاعر ، لذلك كان مسؤولا عن فنّه والتزامه بما يقول ، حتى إذا تعرّض الشعر والشعراء لانتقادات تحطّ من قيمتهم ،أو تنال من شاعريتهم وأشعارهم ،فإنها لا قيمة لها ويبقى فضل الشعر ومزاياه ساريا على مرّ الأيام والعصور[1] .

وهذا ما يؤكده ابن رشيق عبر حشده لمجموعة من الأخبار والنصوص والشواهد يريد بها إثبات رؤيته الخاصة عن الشعر فيورد حديثا منسوبا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم إذ يقول فيه: " إنَّما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب" كما يستحضر قوله أيضا لحسان بن ثابت: " اُهجهم فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام، أهجهم ومعك جبريل روح القدس، وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات "،علاوة على ذلك ما أُثر عن النبي –صلى الله عليه وسلم –أنه قد بنى منبرا في المسجد حتى ينشد عليه الشعر الذي يقول عنه عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه[2]، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: مُر من قبلك يتعلّم الشعر، فإنه يدلّ على معاني الأخلاق ،وصواب الرأي ومعرفة الأنساب، أمَّا علي –كرم الله وجهه– فقال: ا"لشعر ميزان القول"، ومعاوية يصرِّح:

[1] –شير خلدون، الحركة النقدية، ص 122.

[2]– المرجع نفسه، ص116.

"الشعر أعلى مراتب الأدب" وقيل لسعيد بن المسيب: "إن قوما بالعراق يكرهون الشعر فقال: تنسكوا منسكا أعجميا"[1].

وفي السياق ذاته يورد حديثا آخر للنبي -صلى الله عليه وسلم -يقول فيه: " إنّ من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكما"[2] ،فقد قرن البيان بالسحر فصاحة منه- صلى الله عليه وسلم -وجعل من الشعر حكما ،لأنّ السّحر يخيّل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه، وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل، والباطل بصورة الحق لرقّة معناه ولطف موقعه وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة"[3] ، ويسهب ابن رشيق أيضا في ردّه على مَنْ لم يفهم ويعي الآية الكريمة: "والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون"[4]، مؤكدا أن الكثيرين قد التبس عليهم الأمر في فهمها لأن المقصود برأيه هنا هم الشعراء المشركون الذين تناولوا الرسول -صلى الله عليه وسلم -بالهجاء وأفحشوا فيه القول ،أمَّا الشعراء المؤمنون فقد استثناهم الله بقوله: "إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا"[5]، نحو حسان بن ثابت، عبد الله بن رواحة كعب بن مالك" الذين قال فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم-

[1] ابن رشيق،العمدة، 27/1

[2] المصدر نفسه، ص.ن

[3] المصدر نفسه، ص.ن

[4] سورة الشعراء، الآية 227.

[5] سورة الشعراء الآية227

هؤلاء النفر أَشَدُّ على قريش من نضح النّبل، ذلك أنهم انتصروا لرسالة ودافعوا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والمسلمين.

ولا مناص من القول أن ابن رشيق أراد من حججه هذه الوصول إلى حقيقة مفادها أن الشعر ليس حراما ، و ليس مكروها ،إذ لو كان كذلك لما اتّخذ النّبي شعراء يثيبهم على قوله ويأمرهم بذلك ،بل وإنشاده ليسمع منهم، فما كان من ابن رشيق إلاّ أن يقتطف في كلّ مرة نخبة من أشعارهم.

والملاحظ على ابن رشيق في عرضه وسوقه لمختلف الحجج والبراهين الدينية خاصة تلك التي ترفع من قدر الشعر ومنزلته في الإسلام ليست سوى دفاع مستمدت منه حول أفضلية الشعر عمّا سواه ،ذلك أنه أشدّ وقعا من الحسام ،وأبلغ تأثيرا في النفوس.

وعليه من الضروري التطرّق لأوليّة الشّعر التي اختلف بشأنها العديد من النقاد ،غير أن ابن رشيق أبدى رأيه صراحة في هذا الموضوع ،حيث يقول " وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها، وذكر أيّامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأنجاد وسمحائها الأجواء لتهزأ نفسها إلى الكرم ،وتدلّ أبناءها على حسن الشّيم، فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام ،فلمّا تمّ لهم وزنه سمّوه شعرا لأنهم شعروا به أي فطنوا [1]، وقد عمد ابن رشيق إلى تمهيد لموضوعه بباب في فضل الشعر قبل التطرق لماهيته وحقيقته، حيث ذكر فيه فضل العرب على

[1] ابن رشيق، العمدة،20/1.

الأمم لما تميزت به منذ غابر الأزمان من حكم وفصاحة لسان، فيقول حول هذا الموضوع بصريح العبارة: "كلام العرب نوعان منظوم ومنثور "[1] وبطبيعة الحال موضوع فصل الشعر على النثر لا يكاد يخلو منه كتاب نقدي ألف في هذه الفترة أو قبلها، ذلك أنّ المعركة اشتدت بين الشعراء والكتاب لتنتقل بعدها كالنار في الهشيم إلى أصحاب الأدب والنقد باعتبارهم حكّام القول والفصل في هذا الأمر الذي حذا بابن رشيق لوضع موازنة أو مقارنة بين الشعر والنثر رغم تفضيله الشعر على النثر من باب الردّ على بعض الكتاب الذين انتصروا بحكم مهنتهم للنثر واحتجّوا بأن القرآن هو كلام الله تعالى جاء نثرا ،وأن الرسول- صلى الله عليه وسلم -لم يكن شاعرا نومن هنا فالنثر حسب اعتقادهم أفضل من الشعر، غير أن ابن رشيق ردّ على هذه الحجة بحجة مثلها تثبت عكس ما قيل لكنها تعدُّ في نظر الكثيرين حجّة واهنة لم يسدَّد فيما احتج به إذ يقول:" إنما بعث الله رسوله أميّا غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك حين استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة: آية للنبوّة ،وحجّة على الخلق ،وإعجاز المتعاطين، وجعله منثورا ليكون أظهر برهانا لفضله على الشعر ... ، ولو أن كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر غضّ من الشعر لكانت أمنيته غضّا من الكتابة، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد [2].

[1]- ابن رشيق، العمدة،19/1.

[2]- ابن رشيق، العمدة ،20/1-21.

وجدير بالذكر أن ابن رشيق قد قسّم الكلام إلى موزون ومنثور ،وفي الشعر ما هو جيد في لفظه ومعناه ،ومتوسط مقبول في لفظه ومعناه ،الرديء فاسد تمجّه الأذواق في لفظه ومعناه ،كذلك الأمر نفسه بالنسبة للنثر، فيه الجيد وفيه المقبول المتوسط، وفيه الرديء السيء الذي تمجّه الأذواق بالنظر إلى لفظه ومعناه ،وإذا ما أردنا موازنة بين الشعر والنثر، فإن الشعر الجيد خير من النثر العادي ،بدعوى أن كل كلام منظوم هو أحسن وأفضل من المنثور العادي، بدعوى أن كل منظوم هو أحسن وأفضل من المنثور من جنسه وطبقته ،وذلك في معترف العادة كما ذكر ابن رشيق "كلام العرب نوعان منظوم ومنثور ولكل منهما ثلاث طبقات، جيدة ومتوسطة، رديئة، فإذا اتفقت الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة، ولم يكن لأحدهما فضل على الأخرى ،كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة"[1].

ويفهم مما سبق أنّ النثر الجيّد هو أفضل من الشّعر المتوسط ،وأنّ النّثر المتوسّط المقبول هو أفضل في الواقع وأحسن من الشعر السيء الرديء، لكن تبدو هذه الموازنة غير صالحة بتاتا –بنظر العديد من النقاد – وأرى صوابا فيما ذهبوا إليه من أنّها قسمة ضيزى من طرف ابن رشيق ،فقد خانه الموقف الذي يعدّ بعيدا كلّ البعد عن مكانته وثقافته الأدبية والنقدية، ذلك أنّه أولى اهتماما أوسع وبعدا أشمل للشّعر على حساب النثر الذي لا نراه في حديثه سوى لمحات خاطفة لا تفي بالغرض، في المقابل نجد منه إسهابا وإطنابا منقطع النظير حينما يتعلق الأمر بالحديث عن فضل الشعر

[1]– ابن رشيق، العمدة، 19/1.

الذي شرع في تعداد محاسنه وتبيان فضائله ، فللشّاعر أن يخاطب الملك باسمه ،وينسبه إلى أمّه ،ويوجّه إليه الخطاب بالكاف ،بينما الكاتب لا يستطيع أن يفعل مثل ذلك ،والكذب في الشعر جائز، بل هو محبب مرغوب" ما ظنّك بقوم الاقتصاد محمود إلّا منهم والكذب مذموم إلّا فيهم"[1]، لذلك ربّما نجد ابن رشيق يسوق الحجّة تلو الأخرى قصد إقناع المتلقي بوجهة نظره حتى لو كانت في بعض الأحيان حجة ضعيفة لا ترقى إلى ما يصبو إليه، ناهيك عن الكمّ الهائل للأمثلة والشّواهد الحسيّة التي يقوم باستحضارها نحو ما عرضه لطائفة من الشّعراء القدامى والمحدثين ممّن رفعهم ما قالوه من شعر مقترنة ببعض الآراء النقدية التي قالها بعض النقاد الأوائل في تفضيله ،من أمثال امرئ القيس، والحارث بن حلزة، وحسّان بن ثابت، والأخطل، وأبي نواس ،ومسلم بن الوليد، والبحتري، فهؤلاء جميعا كما يقول ابن رشيق رفعهم ما قالوه من الشعر، فنالوا الرّتب واتصلوا بالملوك[2].

ويواصل – ابن رشيق– حديثه عمّن رفعه الشعر وعمَّن وضعه في باب عقده لأجل ذلك تأكيدا منه على أهمية الشعر وفضله وماله من قيمة اجتماعية في القبيلة، وخاصية مميزة تجعله يؤثر بقساوة على حياة الأفراد:إنما قيل في الشعر أنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل وأنه أسنى مروءة الدنيء وأدنى مروءة السري"[3].

[1] – ابن رشيق،العمدة ، 46/1.

[2] – المصدر نفسه ،46/1

[3] –المصدر نفسه، 40/1.

هذا فضلا عمّا أورده عن ظاهرة احتماء القبائل بشعرائها، بيّن فيها كيف كانت العرب تمجّد شعراءها وتكرّمهم ،لأنها تعتمد عليهم في حالتي اليسر والعسر بنشر مناقبها والدّفاع عنها ،حيث يقول في هذا الباب:" كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنّأتها ،ووضعت الأطعمة ،واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ،ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلاّ بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج[1] ،وفي نفس الصدد الذي يؤكد من خلاله ابن رشيق على أهمية الشعر يعقد بابا آخر أسماه بمن ضرّه الشعر ونفعه كقول دعبل بن علي الخزاعي:

إني إذا قلت شعرا مات قائله ومن يقال له والبيت لم يمت

وهذا البيت لا يدل سوى على خشية الناس والشعراء من الشعر نظرا لأوصاف قد تبقى عالقة في الأذهان على مر العصور من ذلك ما ذكره أبو العباس المبرد[2] أن المأمون سمع منشدا ينشد قول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

أأترك إن قلت داراهم خالد زيارته ؟ إني إذا اللئيم

[1] -ابن رشيق، العمدة ،باب احتماء القبائل بشعرائها ،65/1.

[2] -المبرد ،الكامل،ط1 ، مصر ،1308ه،ج 113/1.

في سياق متصل يروي ابن رشيق حادثة أخرى تلخص فيمن ضره شعره سديف[1] الشاعر الذي دفن حيًّا بأمر بن أبي جعفر المنصور الخليفة الأموي بسبب أبيات من الشعر هجا بها بني أمية ويعلق ابن رشيق على هذه الحادثة: " وأحمق الشعراء عندي من أدخل نفسه في هذا الباب أو تعرّض له ،وما للشاعر والتعرض للحتوف ؟ إنما هو طالب فضل قلم يضيع رأس ماله ؟ لا سيما وأنما هو رأسه وكلّ شيء يحتمل إلّا الظّعن في الدّول، فإن دعت إلى ذلك ضرورة مجحفة فتعصب المرء لمن هو في ملكه وتحت سلطانه أصوب، وأعذر له من كل جهة وعلى كل حال، كما فعل سديف[2].

استنادا إلى ما سبق يمكن القول أن ابن رشيق كان مثالاً للصناعة الشعرية على حساب النثر لعدة أسباب نذكرها كما يلي:

-شاعر في المقام الأول ودفاعه عن الشعر وعمّن يقوله هو دفاع عن نفسه قبل كل شيء.

-حفاظا على المنهج الذي اختاره لنفسه كمدافع شرس عن الشعر والشعراء وإظهار عظمة الشعر وبيان فضله ومزاياه كلها عوامل أدت إلى وضوح الرؤية الخاصة بالعملية الشعرية عند ابن رشيق في كتابه العمدة الذي اعتبره كثير من النقاد تتويجا لجهود سابقيه في المشرق والمغرب.

---

[1] -سديف بن ميمون، مولى بني العباس وشاعرهم، جاء في كامل المبرد:

دخل سديف الشاعر على أبي العباس السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك فقال:

لا يغرنك ما ترى من الرجال ******** إن تحت الضلوع داء داويا

فضع السيف وارفع الصوت حتى ******** لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأقبل عليه سليمان فقال: قتلتني أيها الشيخ قتلك الله وقام أبو العباس فد خل فإذا المنديل قد القي في عنق سليمان ثم حيز فقتل ولكن الدوائر دارت على سديف ودفن حيا على أيام أبي يعفر المنصور (ابن قتية ،الشعر والشعراء،76/2)

[2] – ابن رشيق، العمدة،75/1

II-2-ابن شرف القيرواني:

الذي يتأمّل كتاب "مسائل الانتقاد" لابن شرف القيرواني قد يفهم من اللّحظة الأولى أنّه ينتصر للشّعر كما فعل ابن رشيق منذ البداية ، ذلك أنّ معظم أحاديثه إن لم نقل جلّها تتحدّث عن قضايا نقدية متّصلة بالشّعر والشّعراء ، نحو ما رأينا في الفقرة الأولى والثانية التي أتت في خاتمة كتابه، أمّا الفقرة الأولى تناول فيها مفهوم الشّعر الجيّد انطلاقا من حديثه عن عيوب الشعر إذ يقول: إن أملح الشعر ما قلّت عباراته ،وفهمت إشاراته ، ولمحت لمحه ،وملحت ملحه، ورقّت حقائقه ،وحقّقت رقائقه ، واستغنى فيه باللّمحة الدّالة عن الدّلائل المتطاولة"[1] ،بينما نراه في الفقرة الثانية يصرّح بقوله : "وأحسن الحسن منه -أي من الشعر- ما اعتدل مبناه ،وأغرب معناه ،وزاد في محمودات الشّعر على ما سواه "[2] ،تعليقا على جاء في كلا الفقرتين يمكن القول أنّ ابن شرف رضي بالإشارة مكتفيا بها لتأدية مقصده من وراء ذكر مزايا الشعر التي يرى من خلالها أنّ أملح الشعر وأحسنه ما كانت ألفاظه قليلة وعباراته موجزة ومقاصده بيّنة واضحة وبعيدة عن التّعقيد والغموض على أن يكتفي باللّمحة والإشارة ويستغني عن الإطالة والتطويل ، رغم محاولته الخجولة -في نظر البعض – التطرّق لمفهوم الشعر و تحديد قضاياه،

[1] - ابن شرف،أعلام الكلام،ص37.

[2] -المصدر نفسه،ص46

هذا بالنسبة لأملح الشّعر وأحسنه، أما أحسن الحسن من الشّعر كما عبّر عنه عندما تكون الألفاظ على قدر المعاني التي ينبغي لها أن تتّسم بعمق الفهم بعيدة الدّلالة ،والإشارات ،والمقاصد غير مطروق ،ولا مبتذل.[1]

وجدير بالذكر أن ابن شرف لم يأت بمستجدات بخصوص هذه القضية ،ذلك أنّه بنظر الكثيرين قد طرق المطروق من قبل النقاد المشارقة والمغاربة ،لكنّه أراد ربما تأكيد هذه الفكرة كون مناسبتها للسّياق الذي اغتنم فيه فرصة الحديث عن عيوب الشعر التي سقط فيها بعض الشعراء فتكلّم عن "اللحن ،وخشونة حروف الكلمة ،وتعقيد الكلام، التقديم والتأخير، ومجاورة الكلمة مالا يناسبها ،ولا يقارنها والافتتاحات الثقيلة ،أما الإقواء و الإبطاء و السناد فكلّ ذلك كما يقول ابن شرف يستعمل إلاّ أنّ السّالم من جميع ذلك أفضل وأجمل"[2]، كأنّ لديه جانب تعليمي ، حيث يورد العيب ويشرحه ويستشهد له بأبيات من الشعر، ثم ينبّه إلى موضع الخطأ محذّرا الشّعراء من الوقوع فيه أو في مثله ،كما جاء ذلك على لسان أبي الريّان في بيت جرير الذي يعدّ من اللّحن الذي لا تسعه فسحة العربية إذ يقول:

ولو ولدت لعترة جرو كلب لنسب بذلك الجرو كلابا

[1] –المصدر نفسه، ص.ن

[2] – ابن شرف،أعلام الكلام،ص38.

هنا يعلق ابن شرف على هذا البيت بقوله: فنصب الكلام بغير ناصب ، وقد تحيّل له بعض النحويين بكلام كالضّريع لا يسمن ولا يغني من جوع[1]، إضافة إلى قول الفرزدق الذي لحن فيه فيقول:

وعضّ زمان يابن مروان لم يدع *** من المال إلّا مسحتها أو مجلفُ[2]**

فرفع مجلفا وحقه النصب، وقد تحيّل بعض النّحويين كذلك للفرزدق على وجه الإقواء ،ناهيك عن خشونة حروق الكلمة التي تمثّلت في قول جريرالخلطي:

وتقول بوزع قدر بيت على العصا ****** هلا هزأت بغيرنا يا بوزع**

ويعلّق ابن شرف على هذا البيت بقوله أنّه موجود في قصيدة من أحلى وأملح قصائد جرير، وأجزلها وأفصحها، لكنّها ثقلت كلّها بهذه اللفظة بوزع[3].

وخلاصة القول أن ابن شرف كان ميالاً للشّعر أيضا على حساب النثر بحكم ما جاء في كتابه من عناوين فرعية كلّها قضايا متعلقة بالشعر بدءا من مفهوم الشعر الجيّد – عيوب الشعر – تصنيف الشعراء – المقاييس النقدية الخاصة بالصناعة الشعرية المتمثّلة في حسن التصوير واختراع المعاني الجزلة والمخترعة.

[1] –المصدر نفسه،ص37.

[2]–المصدر نفسه، ص15.

[4]- المصدر نفسه ،ص38

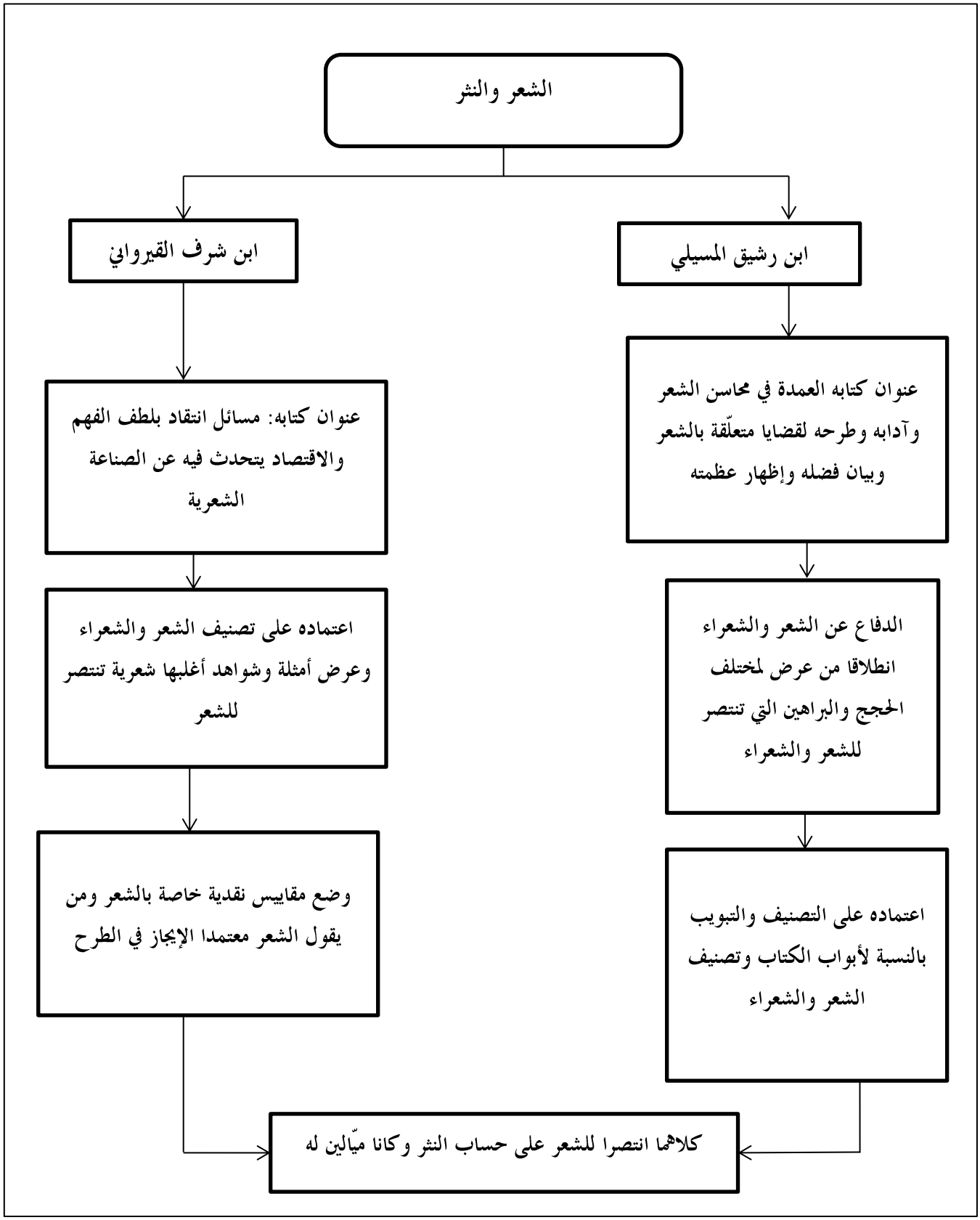
الشعر والنثر
ابن رشيق المسيلي
ابن شرف القيرواني
عنوان كتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه وطرحه لقضايا متعلّقة بالشعر وبيان فضله وإظهار عظمته
عنوان كتابه: مسائل انتقاد بلطف الفهم والاقتصاد يتحدث فيه عن الصناعة الشعرية
الدفاع عن الشعر والشعراء انطلاقا من عرض لمختلف الحجج والبراهين التي تنتصر للشعر والشعراء
اعتماده على تصنيف الشعر والشعراء وعرض أمثلة وشواهد أغلبها شعرية تنتصر للشعر
اعتماده على التصنيف والتبويب بالنسبة لأبواب الكتاب وتصنيف الشعر والشعراء
وضع مقاييس نقدية خاصة بالشعر ومن يقول الشعر معتمدا الإيجاز في الطرح
كلاهما انتصرا للشعر على حساب النثر وكانا ميّالين له

III-تصنيف الشعراء:

III-1-ابن رشيق المسيلي:

لوحظ عن ابن رشيق أنه قام بتصنيف الشعراء معتمدا في ذلك على إجادتهم الفنون الشعرية التي تتوافق واتّجاهاتهم، فمن كان يفضّل مذهب البديع على بقيّة فنون الشعر يقول بتفضيل امرئ القيس من الجاهليين ،وذي الرمة[1] من الإسلاميين، وابن المعتز من المولدين، فهؤلاء الثلاثة اشتهروا بتشبيهاتهم الرائعة الجميلة ،والذي كان يميل إلى رواية الخمر ومناسبها يفضل الأعشى ،والأخطل ، وأبا نواس ،وهؤلاء الثلاثة اشتهروا بوصف الخمر وشربها ،أمّا من كان يعشق الأنفة وسهولة الكلام والقدرة على الصنعة والتجويد في فنّ واحد فقدّم المهلهل ،وعمر بن أبي ربيعة[2] ،وعباس بن الأحنف .[3]

وقد تحدّث ابن رشيق عن الشعراء مبديا رأيه في بعضهم ،حيث عقد بابا خاصا أشار في بدايته إلى أنّ الشّعراء أكثر من أن يحاط بهم عددا ،ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم ،وسارت الرّكبان بأشعارهم ،وكثر ذكرهم حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم [4] نحو امرئ القيس الذي تقدم

---

[1] -هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي يكنى أبي الحارث وذو الرمة، شاعر عربي من شعراء العصر الأموي من فحول الطبقة الثانية في عصره ولد سنة (77 هـ / 696م) وتوفي بأصفهان وقيل بالبادية سنة (117هـ / 735م) وهو في سن الأربعين.

[2] -هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله عمر بن مخزوم (644م/23هـ) توفي 711م/93هـ (شاعر مخزومي قريشي، لم يكن في قريش أشعر منه، اشتهر بالغزل والنوادر حق لقب بالعاشق، أحد شعراء الدولة الأموية من طبقة جرير والفرزدق والأخطل.

[3] -هو أبو الفضل العباس بن الأحنف الحنفي اليمامي النجدي، شاعر عربي عباسي ولد في اليمامة بنجد وعندما مات والده انتقل من نجد إلى بغداد ونشأ بها وعاش منتقلا ما بين بغداد وخراسان (120م-192هـ) (737م-807م)يوصف أنه إمام شعره في عصره في الغزل العفيف

[4] - ابن رشيق،العمدة، 94/1.

جميع الشعراء سواء كان ذلك في الجاهلية أم في الإسلام، أمّا بقيّة الشعراء ،فقد اختلف النقاد واحتاروا فيمن يقدمون أو يؤخرون فتارة يفضّلون طرفة ،وتارة زهيرا ، ومرّة النابغة ،وآخرون يفضّلون القول، فأشعر الناس إذا رغب ،والنّابغة إذا رهب ،والأعشى إذا طرب ،وعنترة إذا كلب، أمّا أنا فأقول عنترة أحب.

وعلى هذا الأساس قام ابن رشيق بترتيب المولدين ،وتصنيفهم طبقات بعد إقراره بشهرة أبي نواس ،فأبو تمام ثم البحتري ،ليصل إلى ابن الرومي وابن المعتز ،حتى جاء المتبني فملأ الدنيا وشغل الناس ،لكنه استدرك العودة مع بشار بن برد[1]، مشيرا إليه على أنه رأس المولدين باعتباره أشهرهم وأشعرهم ممَّا يضعه –حسب رأيه– في الطبقة الأولى مع ثلّة من الشعراء الآخرين نذكر منهم العمدة مروان بن أبي حفـــصة[2] ،وأبو دلامة[3]، والسيد الحميري،[4]وسلم الخاسر[5]، وأبو العتاهية[1]، أما الطبقة

[1] –بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي(96 هـــ – 168ه) أبو معاذ، شاعر مطبوع إمام الشعراء المولدين والمخضرمين عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية، ولد أعمى وكان من فحولة الشعراء وسابقيهم المجودين (عرف بشعره الغزير، وقريحته السمحة، كثير الافتنان – قليل التكلف حتى لم يكن في الشعراء المولدين أطبع منه و أصوب بديعا.

[2] –هو سليمان بن يحي بن أبي حفصة يزيد بن عبد الله الأموي (105م – 182م) شاعر عالي الطبقة من شعراء صدر الإسلام يكني بأبي السمط، كان جده ابو حفصة مولى لمروان بن الحكم أعتقه يوم الدار أدرك العصرين الأموي والعباسي، مدح الخلفاء والأمراء وسائر شعره سائر لحسنه وفحولته واشتهر اسمه وحكى عنه خلف الأحمر والأصمعي.

[3] –شاعر ساخر عاصر العباسيين وكان أحد الشعراء المعاصرين لخلفاء بني العباس الثلاث الأوائل: السفاح والمنصور والمهدي بل يعتبر شاعرهم ونديمهم الخاص، كان فكها مرحا فهو حسن الحديث يتمتع بالرواية.

[4] –هو اسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري (105ه–723م /173ه–789م)شاعر شيعي وحفيد الشاعر يزيد بن ربيعة قال عنه صاحب الأغاني: " يقال ان أكثر الناس شعرا في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشار بن برد وأبو العتاهية والسيد فإنه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع.

[5] –هو سلم بن عمرو بن حماد يعود ولاؤه إلى بني تميم بن مرة قبيلة أبي بكر الصديق (ت 180ه / 802م) ولد بالبصرة ونشأ بها، سمي الخاسر لأنه باع مصحف ورثه من أبيه فاشترى طنبورا ودفتر شعر وقد فعل ذلك مجونا مع أنه لم يكن رديء الدين (كان تلميذ بشار وقد نحى منحاه في السهولة والأناقة والرشاقة ولين النسيج اللغوي.

الثانية فهي طبقة أبي نواس ،ومنها العباس بن الأحنف ،ومسلم بن الوليد ،ودعبل بن علي الخزاعي[2]، أما الطبقة الثالثة: هي طبقة أبي تمام ،وفيها البحتري ،وابن المعتز ،وابن الرومي ،غير أنّ الطبقة الرّابعة قد انفرد بها المتنبي لولا أبو فراس الحمداني الذي نازعه الزعامة والعبقرية.

إذن هؤلاء الشّعراء جميعا (جاهليين وإسلاميين ومولدين) ،هم المقدمون على من سواهم من الشعراء، فلكثرة ما تكرّر ذكرهم، وتردّد على ألسنة النقاد اتسعت شهرتهم بأشعارهم المعبّرة عن مواقفهم التي عرفوا بها ،فصاروا بذلك من المشاهير ، ولهم الحقّ في أن يتقدّموا على من سواهم من الشعراء بخاصة المقلين ، وأصحاب الواحدة من الشعراء الذين قالوا قصيدة واحدة فاشتهروا بها كطرفة بن العبد البكري[3] وعبيد بن الأبرص[4]، وعلقمة بن الفحل، هذا وقد أضاف فئة المغلبين الذين غلبهم على غيرهم من الشعراء نحو الزبرقان بن بدر[5] الذي غلبه عمر بن الأهتم[1] ، وتميم بن أبي مقبل

---

[1] –اسماعيل بن القاسم بن سويد العنزي أبو اسحاق، ولد في عين التمر(130هـــ /797م) ثم انتقل إلى الكوفة، نظم الشعر حتى نبغ فيه لينتقل إلى بغداد واتصل بالخلفاء العباسين أمثال الخليفة المهدي وهارون الرشيد ومدحهم يعد من مقدمي المولودين من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما ليشتهر بالزهد والمديح.

[2] –هو محمد دعبل بن علي بن رزين، من مشاهير شعراء العصر العباسي اشتهر بتشيعه لآل علي بن ابي طالب وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين.

[3] –شاعر جاهلي (60ق. ه / 539 – 86 ق. هـــ / 564م) من أصحاب المعلقات يتم طرفة من أبيه فأبى أعمامه أن يقسموا له نصيبه من ارث أبيه وظلموا حقه فنشأ مع أمه في بؤس. مات مقتولا بأمر من الملك عمرو بن هند.

[4] –شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات ويعد من شعراء الطبقة الأولى، قتله المنذر بن ماء السماء حينما وفد عليه في يوم بؤسه، عاصر إمرؤ القيس وله معه مناظرات ومناقضات وهو شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها وأحد أصحاب المجمهرات المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات.

[5] –شاعر جاهلي (ت:20 ق./603م) من الطبقة الأولى، عاصر امرؤ القيس وله معه مساجلات، أسر الحارث ابن أبي سحر الغساني أخا له اسمه شأس فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات، فأطلقه له ديوان شعر شرحه الأعلم الشتمري معروف بعلقمة الفحل وهو من بني تميم ويؤكد ذلك في قوله: ما أنت أم ما ذكرها ربعية******** يخط لها من ترمداء قليب لقب بالفحل لتفوقه على إمرئ القيس الكندي أمير شعراء الجاهلية في قصة معروفة تحاكما فيها إلى ام جندب زوج امرئ القيس أنشد فيها امرؤ القيس في وصف فرسه فكان حكمها لصالح علقمة، مما أثار نفس امرئ القيس فطلقها فتزوجها علقمة الفحل.

الذي هجاه النجاشي وغلب عليه غير أن هناك بعض الشعراء ممّن كفّوا ألسنتهم عن الهجاء تماما كما فعل عبد الكريم النهشلي والحجّاج، وقد سئل ذات يوم لم تهجو ؟ فأجاب على الفور و لم أهجو؟ إنّ لنا أحسابا تمنعنا من أن نظلم ،وأحلاما تمنعنا من أن نظلم ، وهل رأيتم بانيا لا يحسن الهدم[2]، فضلا عن أولئك الشعراء الذين يترفعون عن ملاحاة غير الأكفاء من أمثال الزبرقان بن بدر، والفرزدق ،والبحتري ،وأبو تمام ،وكذا المتنبّي الذين يهجون ويردّون على الشعراء الأكفاء أمثالهم فقط دون الالتفات إلى من هم دونهم منزلة حتى لو تعرّضوا للهجاء والشّتم ، لكن ابن رشيق يعيب على بعض الشعراء الذين كما يقول: مَنْ **يتزيا** بالكبر ويظهر الأنفة في الجواب عن هجاء من هو مثله أو فوقه من الزراية على نفسه[3].

III– 2–ابن شرف القيرواني:

الذي يقف عند مسألة التصنيف في كتاب "مسائل الانتقاد بلطف الفهم و الافتقاد" لابن شرف، يرى التزاما منه بمنهج خطّه لنفسه في ترتيب الشعراء اعتمادا على بعض المعايير تبدو صحيحة

قال ابن الأثير" كان الزبرقان بدر سيدا في الجاهلية عظيم القدر في الإسلام وكان يقال للقمر نجد لجماله وكان ممن يدخل المكة. ..... لحسنه وقد ولاه رسول الله صلى اله عليه وسلم، صدقات قومه بني عوف بن كعب، فأداها في الردة إلى أبي بكر.

[1]– عمر بن الأهتم السعدي الملقب بالمكحل وهو شاعر مخضرم، من شعره:

فإن تسألوني بالنساء فإنني ****** خبير بأدواء النساء طبيب**

إذا شاب رأس المرء أوقل ماله*****فليس له من ودهن نصيب**

يردن ثراء المرء حيث علمته***** وشرح الشباب عندهن عجيب**

[2]– ابن رشيق، العمدة،112/1.

[3] – ابن شرف، مسائل الانتقاد، ص 14.

من جانبه، فالشعر في الجاهلية والإسلام حتى بداية القرن الخامس الهجري أكثر من الإحصاء ،فهو لم يذكر إلا المشهورين ، ولم يبد رأيه إلاّ في المذكورين ، حيث استغرق منه بضع صفحات، استعرض فيها مجموعة لا بأس بها من الشعراء الجاهلين والإسلاميين والمحدثين من الأمويين والعباسيين حتى عصر المتنبي وأبي فراس الحمداني دون إغفال نخبة من المغاربة والأندلسيين، وما كان لافتا عند ابن شرف أحاديثه الموجزة عن هؤلاء الشعراء إذ يورد تعريفا مقتضبا لكلّ واحد منهم يبيّن فيه مزاياه الفنية ، وأهمّ ما اشتهر به في عصره ،كلّ ذلك يجمله في سطر أو سطرين بدءا با مرئ القيس الذي أطلق عليه لقب الضليل، ثم القتيل الذي يريد به طرفة بن العبد الذي لو طال عمره لطال شعره وعظم في الشعر ذكره ،ولقد خصَّ بأوفر نصيب من الشعر على أنزر نصيب من العمر ، فملأ أرجاء ذلك النصيب بصنوف من الحكمة وأوصاف من علوّ الهمة والطبع ، معلّم حاذق والذكاء جواد سابق[1] ، ثم يتابع ابن شرف في ذكر كلّ من لبيد بن ربيعة، عنترة بن شداد – زهير بن أبي سلمى – الحارث بن حلزة – عمر بن كلثوم التغلبي – النوابغ (الذبياني — الجعدي)– الأعشى (ميمون بن قيس) –الأسود بن يعفر –حسان بن ثابت الأنصاري – دريد بن الصمة – الراعي النميري – زيد الخيل بن مهلهل ثمَّ عامر بن الطفيل الذي أقرّ بشعريته في الفخار ، وفي حماية الجار أوصفهم لكريمة وأنعتهم لحميد شيمة[2] ، أما الحطيئة فيقول: " خبيث هجاؤه ،شريف ثناؤه

[1] –ابن شرف القيرواني ،مسائل الانتقاد،ص14

[2]– المصدر نفسه،ص19

،صحيح بناؤه، رفع شعره من الثّرى ، وحطّ من الثّريا، وأعاد بلطافة فكره ومتانة شعره قبيح الألقاب فخرا يبقى على الأحقاب ، ويتوارث في الأعقاب"[1]، أما أبو ذؤيب النصراني الأخطل ، فبالنسبة له فغيّات بن غوث الملقّب بالأخطل.

والملاحظ عن ابن شرف حينما يذكر هؤلاء الشعراء تارة يذكرهم بلقب[2] اشتهروا به من ذلك الضليل (امرؤا القيس) .والقتيل: (طرفة بن العبد) والنوابغ (الذبياني، الجعدي)، الأعشى وغيرهم، ويذكر بعضهم باسمهم[3] كلبيد وعامر بن الطفيل ،وأحيانا أخرى يذكر الاسم مع لقب اشتهر به الشاعر من هؤلاء شعر الخبزأرزي ،وكشاجم، الفارسي، وعلي بن العباس الإيادي التونسي .

وفي هذا الإطار نشير إلى أن ابن شرف قام بجمع أكثر من خمسة وخمسين شاعرا من امرئ القيس إلى المتنبي محاولاً سلوك مسلك آخر في التصنيف كما فعل مع ثلّة من شعراء الغزل العذري ، حيث جعلهم في طبقة واحدة ذات مذهب واحد مع اشتراكها في بعض الخصائص فيقول: " وأمّا القيسان ،وجميلا ،وغيلان ،والدثرى ،وابن الدمينة ،وحميد الهلالي ،وسحيم الهلالي ،وسحيم الرياحي فطبقة عاشقة تواقّة قد استحوذت الصّبابة على أفكارهم ،واستغرقت دواعي الحبّ معاني أشعارهم

[1] – ابن شرف القيرواني ،مسائل الانتقاد، ص19

[2] اللقب هو"ما أشعر بمدح كزين العابدين أو ذم كأنف الناقة " انظر: "ابن عقيل" شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحه الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، ط20، دار التراث، القاهرة 1400هـ – 1980م، ج 1/ 119.

[3] المراد بالاسم هنا ما ليس بكنية ولقب كزيد وعمرو، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ج1 , 119.

فكلّهم مشغول بهواه لا يتعدّاه إلى سواه [1]"؛ فابن شرف على هذه الحال صريح لا يخفي رأيه حول الشعراء بالأخص أبو نواس الذي أنكر معظم شعره ما خلا تلك الطرديات وقصائد الصيد التي تميزت – برأيه- بمتانتها وفصاحتها بخلاف بقيه شعره الذي وصفه بالكاسد[2]، ذلك من منطلق تحميله مسؤولية عمّا آل إليه الشعر من تدنّ واضح إلى مستوى العامّة ،معتبرا ذلك خروجا عن القياس المألوف وعن عمود الشعر العربي ، غير أن كثيرا من النقاد يرجع السبب كونه ظهر في وقت انحلت فيه العربية وملّت الفصاحة فلم يكن بيد أبي نواس بدّ من أن ينزل بالموضوعات الشعرية إلى مستوى العامة التي تجاوبت وأقبلت على تلك اللّغة الشعرية ،عكس ما فعلته النخبة المثقّفة من إعراض ونفور خاصّة أولئك النقاد الذين لو نقد واحد منهم أبا نواس بصدق لوجد النّاس في حقيقة الأمر ضدّه لأنهم ما تعلّقوا به ،إلّا لخفّة روحه وسهولة كلامه الملحون[3].

[1] –ابن شرف القيرواني ،أعلام الكلام،ص21

[2] –المصدر نفسه،ص22.

[3] ابن شرف القيرواني، أعلام الكلام، ص 30.

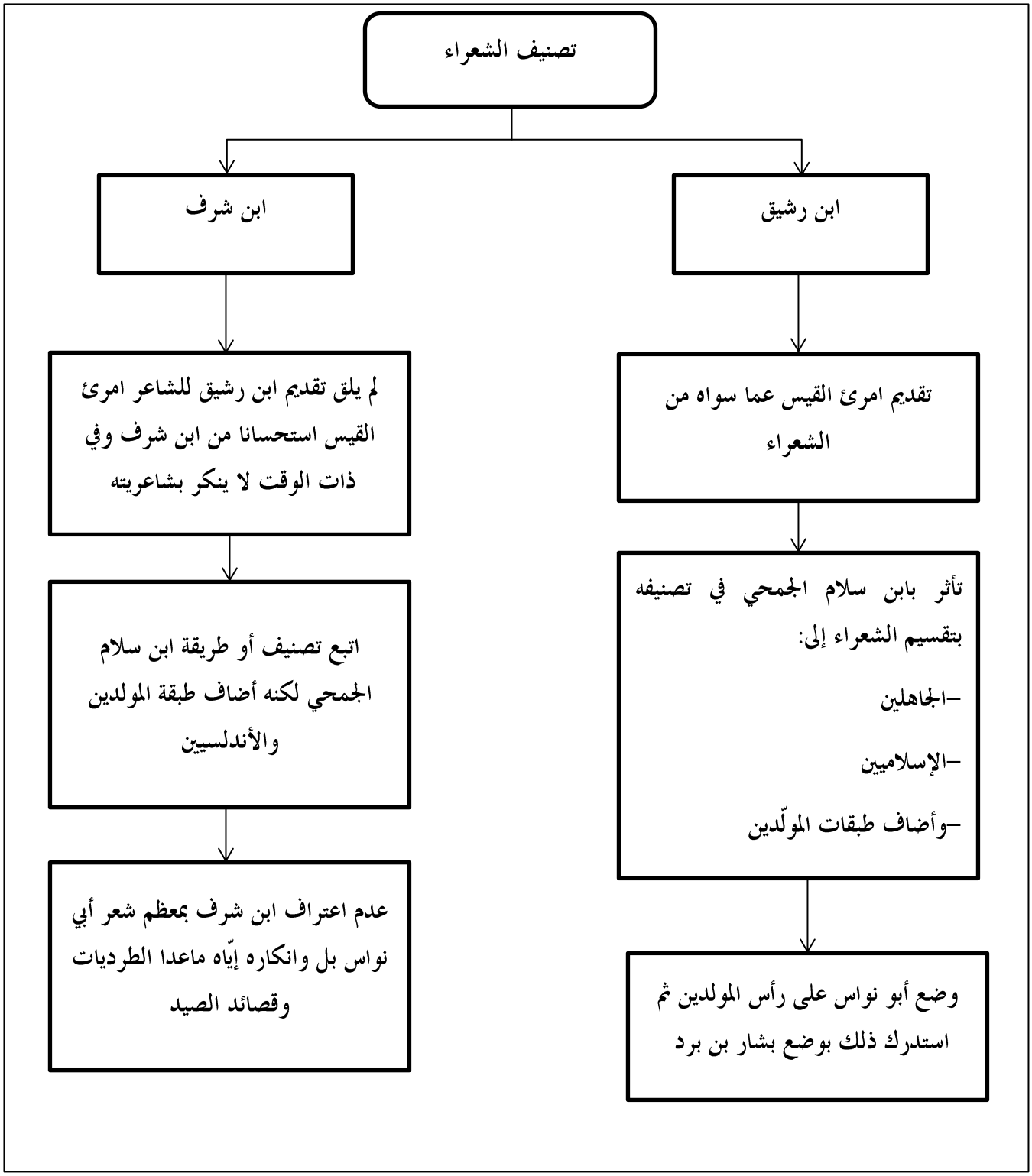
تصنيف الشعراء
ابن رشيق
ابن شرف
تقديم امرئ القيس عما سواه من الشعراء
تأثر بابن سلام الجمحي في تصنيفه بتقسيم الشعراء إلى:
-الجاهلين
-الإسلاميين
-وأضاف طبقات المولّدين
وضع أبو نواس على رأس المولدين ثم استدرك ذلك بوضع بشار بن برد
لم يلق تقديم ابن رشيق للشاعر امرئ القيس استحسانا من ابن شرف وفي ذات الوقت لا ينكر بشاعريته
اتبع تصنيف أو طريقة ابن سلام الجمحي لكنه أضاف طبقة المولدين والأندلسيين
عدم اعتراف ابن شرف بمعظم شعر أبي نواس بل وانكاره إيّاه ماعدا الطرديات وقصائد الصيد

VI – السرقات الشعرية

VI –1–ابن رشيق السيلي:

إذا ذكرنا قضية السرقات عند ابن رشيق ،فهو يعدّ من بين قلّة من النقاد الذين تناولوها بشيء من التدقيق والتفصيل ،وما سنعرضه من أقوال له في هذا السياق خير شاهد على ذلك ،إذ يقول:

"هذا باب متّسع جدّا لا يقدر أحد من الشعراء أن يدّعي السّلامة منه ، وفيه أشياء غامضة إلاّ عن البصير الحاذق بالصناعة ،وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفّل، وقد أتى الحاتمي في حلية المحاضرة بألقاب محدثة تدبرها ليس لها محصول إذا حقّقت ،كالاصطراف ،والاجتلاب، والانتحال، والاهتدام ، والإغارة، والمرافدة ، والاستلحاق ، وكلّها قريب ،وقد استعمل بعضها مكان بعض ،غير أني ذاكرها على ما خيلت فيما بعد [1].

و تماشيا مع ما تم ذكره نجد ابن رشيق يعرض لصنوف السرق ،إذ يعتبر أنَّ من أخذ معنى بلفظه كما هو دون تغيير كان سارقا، فإن غيّر بعض اللفظ كان سالخا ، فإن غيّر بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه[2] ،و هذا يقودنا بطبيعة الحال إلى شرح بعض المصطلحات التي ابتدعها ابن رشيق تقصّدنا وضعها في شكل مخطّط يلمّ بها بغية تبيان مواضع السرقة .

[1] –ابن رشيق،العمدة، باب السرقات وما شكلها" ،ص394

[2] ينظر: المصدر نفسه، 395.

المصطلحات الخاصة بالسرقة الشعرية

الاصطراف: أن يعجب الشاعر بيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه فإن صرفه إليه على جهة المثل فهو اجتلاب واستلحاق[1].

الانتحال: هو ادّعاء ملكية البيت بنسبه إلى نفسه بشرط قول المتحدث الشعر.

الإغارة والغصب: هو أخذ الشعر لشاعر بالغلبة والقوة بينهما فرق[2].

المرافدة: هو أخذ الشعر من شاعر آخر هبة ويقال الاسترفاد[3].

النظر والملاحظة: هو تساوي المعنيان دون اللفظ مع خفية الآخر[4].

الاهتدام: إذا كانت السرقة فيها دون البيت ويسمى النسخ أيضا[5].

الاختلاس: هو تحول المعنى من نسيب إلى مديح ويسمى نقل المعنى[6].

الإلمام: هو تضاد المعنيان وذل أحدهما على الآخر[7].

الموازنة: هو أخذ بنية الكلام فقط.

العكس: هو جعل مكان كل لفظة ضدها[8].

المواردة: توافق النظم وثبات صحة أن الشاعر لم يسمع بقول شاعر آخر رغم وجودهما في عصر واحد[9].

الالتقاط والتلفيق: هو تأليف أبيات من بيت ركب بعضها من بعض ويسميه آخرون الاجتذاب والتركيب.[10]

---

[1] -ابن رشيق،العمدة، 395/1

[2] المصدر نفسه، ص.ن.

[3] المصدر نفسه، ص.ن

[4] المصدر نفسه، ص.ن.

[5] المصدر نفسه، ص.ن.

[6] المصدر نفسه، ص.ن.

[7] المصدر نفسه، ص.ن.

[8] المصدر نفسه، ص.ن.

[9] المصدر نفسه، ص.ن.

[10] المصدر نفسه، ص.ن.

أضف إلى ذلك إلى أن ابن رشيق لم يكتف بذلك ، بل مثّل لكلّ مصطلح بشواهد وأمثلة يعرفها العالم ويهتدي بها المتعلّم مثال ذلك قول النابغة الذبياني لتوضيح مفهوم الاجتلاب.

وصهباء لا تخفى القذى وهودها ****** تصفق في رواقها حين تقطب**

تمززتها والديك يدعو صاحبه ****** إذا ما بنوا العش دنوا فتصوبوا[1]**

فاستلحق البيت الخير فقال

وإجانة ربا السر وكأنّها **** إذا غمست فيها الزجاجة كوكب**

تمززتها والديك يدعو صاحبه ****** إذا ما بنوا العش دنوا فتصوبوا**

و ربما اجتلب البيتين على الشريطة التي قدمت.

وفي هذا الإطار يجمع أهل التحصيل أن السرقة إنما تقع في البديع النادر والخارج عن المألوف وذلك في العبارات التي هي الألفاظ كقول أبي عبادة البحتري يصف سيفا

حملت حمائله القديمة بقلة ****** عن عهد عادٍ غضة لم تذبل[2]**

فقال ابن المعتز متبعاـــ له وآخذا منه

ويهزون كل أحضر كالبقلة ***** ماض على القلوب رسوب[3]**

[1] – ابن رشيق ، العمدة،ص 396

[2] –المصدر نفسه، 126/1، القراضةص 160،

[3] – المصدر نفسه، ص 160.

ويؤكد هذا الكلام ما ذهب إليه ابن رشيق بقوله: "والسرق أيضا إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم ،ممّا ترتفع الظنّة فيه عن الذي يورده أن يقال إنّه أخذه من غيره، قال واتّكال الشاعر بلادة وعجز ، وتركه كل معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار عندي أوسط الحالات"[1]، منبّها إلى نقطة محورية وهي الكثرة ،أي كثرة الشعر وتصرّف الناس فيه، هذا التصرف لم يسمّ آخذه سارقا لأن المعنى يكون قليلا فيحصر ويدعى صاحبه سارقا مبتدعا ، فإذا شاع وتداولته الألسن بعضها من بعض تساوى فيه الشعر إلّا المجيد، فإنّ له فضله أو المقصر فإن عليه ترك تقصيره إلا أن يزيد فيه شاعر زيادة بارعة مستحسنة يستوجبه بها ويستحقه على مبتدعه ومخترعه[2]، نحو ما صنعه قديما في ذكر الرايات قوله لمولاه في قصيدة مدحه بها:

وكأنما راياته ****** مشهورة يوم اقتحامه**

أيد تشير إلى العدو ****** ويسلمه أو بانهزامه**

ولا يفوتنا أن ننوّه في هذا المقام إلى أن قراضة الذهب في نقد أشعار العرب لابن رشيق رصد فيها المعاني الشعرية ووجوه البديع في شعر الشعراء منذ أن اخترعها مخترعها ،"فتناولها منه من جاء بعده فزاد عليه ، وحسن أو قصر عنه ، فأخفق كلّ ذلك بداية من العصر الجاهلي إلى عمر ابن رشيق

[1] – ابن رشيق، العمدة ،395/1.

[2] –ينظر: ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 19.

فساير دراسته سير تاريخ الأدب، مما يجعلني أزيد في ضبط روح الكتاب ،وكنهه بأن أقول إنه دراسة لتطور ذلك الخلق الشعري"[1] ،وليست القراضة رسالة في السرقات الشعرية كما ذهب إليه العديد من النقاد الذين انكبّوا على موضوع السرقات فألفوا فيها تصانيف كثيرة تتباين فيها رؤاهم وتتباعد فيها مشاربهم ،لكن المؤكد أن ابن رشيق قد تميَّز عن بقية أقرانه فيما يتعلق بدراسته لهذه المسألة التي استطاع من خلالها إظهار حنكته الأدبية ، والنقدية ،والمعرفية ، وذلك بتركيزه على التفصيل والتحليل والتدقيق ،خلاف ما فعله ابن شرف من طرحه لمعظم القضايا النقدية بشيء من الايجاز وعدم التعمق في الطرح، الأمر الذي أدّى في اعتقاد الكثير من النقاد إلى قصور نظر معرفي من جانبه لم يمكّنه من منافسة غريمه ابن رشيق وبخاصة فيما يخصّ مسألة السرقات الشعرية.

[1] – ابن رشيق، القراضة ،مقدمة الكتاب، ص 6.

VI -2-ابن شرف القيرواني:

هي من أكثر القضايا التي استقطبت اهتمام النقاد والأدباء والشعراء أكثر من قضية أخرى، حيث أشار الجرجاني إلى نقطة مركزية في كتابه الوساطة فيقول: " بأن الكشف عن السرقة لا ينهض بها إلّا الناقد البصير ،والعالم المبرز"[1]، فكان ابن شرف من بين هؤلاء النقاد الذين تناولوها بشيء من العجلة كغيرها من القضايا النقدية، إذ لم يقف عند قوله السرقة عيب من عيوب الشعر ،بل تعدّاها إلى كونها ظاهرة تشوب معظم قصائد الشعر ، وأنه لا يمكن الجزم بعدم وقوع شاعر فيها، إنما قدّم تلخيصا لأهم أنواعها في مقامته، "مسائل الانتقاد" إذ يقول: "هو كثير الأجناس في شعر الناس، فمنها سرقة الألفاظ ، ومنها سرقة معانٍ، وسرقة المعاني أكثر لأنها أخفى من الألفاظ ، ومنها سرقة المعنى كلّه ، ومنها سرقة البعض ، ومنها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى ،وهو أحسن المسروقات ، ومنها مسروق بزيادة ولا نقص".[2]

استنادا إلى هذا الكلام يتبين لنا أن السرقة تحصل على مستوى اللفظ والمعنى ، حيث وضّح ابن شرف بأن سرقة المعاني هي المتداولة بكثرة ، لأنها أخفى عن الألفاظ، وقد يقع هذا العيب في اللفظ والمعنى معًا دون استثناء أحدهما ، نحو ما ذكره من سرقة أبي نواس فقال: " كسرقة أبي نواس في هذه القصيدة التي ذكرنا معنى أبي الشيص بكماله قال أبو الشيص:

---

[1] – القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي ، الناشر:عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة ،ط2 ،1966م ،ص 183.

[2] – ابن شرف، أعلام الكلام،ص19.

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

فسرقة الحسن بكامله فقال:

فما حازه جود ولا حلّ دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

فهذا على أن بيت أبي الشيص على هذا البيت حتى أخذته منه وسرقة المعاصر سقوط همّة ، وبهذه القصيدة يناضل أصحاب الحسن، عنه ويخاصمون خصماءه مقرّين بأن ليس له أفضل منهما، ولا لهم إلى سوى القصيدة معدل عنها "فقس بفهمك وأعمل فكرك على ما وصفناه من أبواب السّرق ما وجدته في أشعار لم أذكرها، يظهر لك جميع ما وصفناه ويبدو لك جميل ما رسمناه"[1]، وكان من اللّافت أن يؤكّد أنّ الفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء للسّارق .

وفي هذا الإطار قدّم الدّكتور محمد مرتاض تلخيصا يحصي فيه أنواع السرقات الستّ، كزيادة ألفاظ وقصور عن المعنى: وهذا العنصر أقلّ شأنا في القيمة من سابقه في نظر ابن شرف، وهو ما جعله يعدّه أقبح السرقات، لأن المقلّد هنا يقع في حوشي القول والتكرار...، وسرقة محضة بلا زيادة ونقص وهي أخطر السرقات وأقبحها، لذلك يعلق عليها ابن شرف الفضل فيها للمسروق منه ولا شيء للسّارق، ولقد قلّ هذا النّوع عند الشّعراء الكبار،لكنه انتشر مع رعيل الشعر الذين أعوزهم المعاني،...فاضطروا إلى الاستعانة بغيرهم كي يطعموا نصوصهم الشعرية.[2]

[1] –ابن شرف، أعلام الكلام،ص19.

[2] –عبدالمالك مرتاض،النقد الأدبي القديم في المغربي العربي،ص110.

وعليه كان لزاما على الناقد أن لا يحكم على شعر أنه مسروق ، ويتّهم المبدع بالأخذ ،إلّا بعد التّأني والملاحظة الدقيقة لشعره ،ودراسته من كلّ الجوانب، وأن يكون ملمّا بشتى العلوم ،وعارفا بمختلف القضايا الأدبية وحتى العلمية، فالسّرقة كما ذكرنا آنفا ظاهرة لم يسلم منها أحد ،والدّليل على ذلك سرقة المعاني التي صارت قضية تهافت الدارسون والنقاد على دراستها ،وابن شرف واحد منهم ، إذ لم يختلف كثيرا عن غيره باعتبارها نقطة مشتركة بين الناس يبين مدى تمسك ودعوة الشعراء إلى أقوال سابقيهم من الشعراء مثلما يبيّنه في قوله عن شعر امرئ القيس: "هذا امرؤ القيس أقدم الشعراء عمرا ومقدمهم شعرا ذكرا ، وقد اتّسعت الأقوال في فضله اتّساعا لم يقرّ غيره بمثله حتى أنّ العامّة تظنّ ،بل توافق أنّ جواد شعره لا يكبو..."[1]، وعلى هذا الأساس فإن سرقة المعاني المتداولة والمشتركة لا تعدّ كذلك، إنّما يمكن الأخذ والردّ فيها، بينما السرقة هي سرقة ما كان مبتكرا وبديعا.

[1] – عبدالمالك مرتاض،النقد الأدبي القديم في المغربي العربي،ص110.

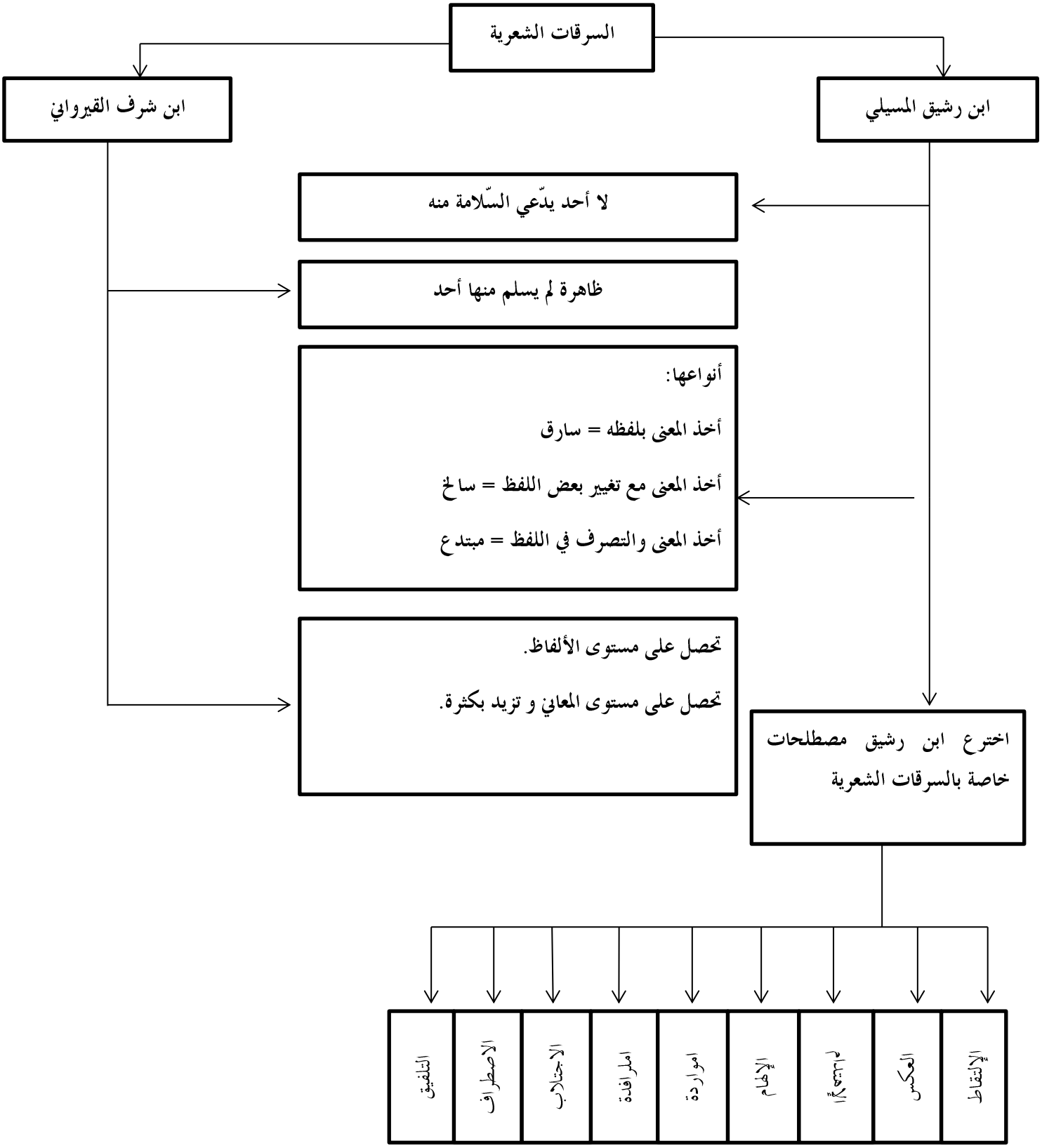
السرقات الشعرية
ابن شرف القيرواني
ابن رشيق المسيلي
لا أحد يدّعي السّلامة منه
ظاهرة لم يسلم منها أحد
أنواعها:
أخذ المعنى بلفظه = سارق
أخذ المعنى مع تغيير بعض اللفظ = سالخ
أخذ المعنى والتصرف في اللفظ = مبتدع
تحصل على مستوى الألفاظ.
تحصل على مستوى المعاني و تزيد بكثرة.
اخترع ابن رشيق مصطلحات خاصة بالسرقات الشعرية
الإلتقاط
العكس
لم يتعمّد
الإلمام
الموارد
المرافدة
الاجتلاب
الاصطراف
التلفيق

V- القديم والجديد

V-1-ابن رشيق المسيلي:

خصّ القضية أيضا بباب [1]كامل في كتابه العمدة مستهلاحديثه بالإشارة إلى أنّ كلّ قديم هو محدث في زمانه ، وأنّ كلّ حديث سيؤول فيما بعد إلى قديم بالنسبة لزمن لاحق ، ثم بعد ذلك عرض علينا أمثلة لمن كانوا يتعصّبون للقديم من أمثال أبي عمرو بن العلاء الذي كان يعدّ من الشعراء ، إلّا ما كان للمتقدمين ،وقد سئل يوما عن رأيه في المولدين فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم[2]، ويفندنا ابن رشيق بأن هذا الموقف يمثّل مذهب أبي عمرو ، وجماعة من أصحابه كالأصمعي ، وابن الأعرابي ، وغيرهم[3] ، وهو لا يتفق مع هذه الطائفة ، لأنها إنما فعلت ذلك لحاجتها إلى الشاهد ،وقلّة ثقتها بما يأتي به المولدون الذين لم يستطع إخفاء إعجابه بطريقة المحدثين ،لذلك استشهد برأي ابن وكيع التنيسي، وهو إنما تروى أشعارهم لعذوبة ألفاظها ،ورقتها وحلاوة معانيها ، وقرب مآخذها[4].

[1]- ابن رشيق، العمدة" باب القدماء والمحدثين"، 90/1

[2] -المصدر نفسه،91/1

[3] -المصدر نفسه،ص.ن

[4]- المصدر نفسه،92/1.

بناء عليه وقف ابن رشيق من الشعر القديم والشعر الحديث على مسافة واحدة معتبرا معيار الجودة هو الفيصل بينهما للحكم دون تشبّث منه للقديم لقدمه ، كما لم ينتصر للجديد لجدّته، إنما العبرة عنده للأجود منهما متجسّدا في الأثر الفني الذي يضمن خلوده واستمراريته.

غير أن ما يزعج ابن رشيق هو نسج الشعراء المحدثين أشعارهم على طريقة القدامى بما في ذلك الألفاظ والمعانيالتي تخرج بصورة حوشية غريبة مثلها في ذلك مثل المـــغني الحاذق لكنه غير مطرب الصوت ،إضافة إلى أنه –ابن رشيق– لا يريد أن تأتي أشعارهم رقيقة سفسافة، فيكون الشاعر بمنزلة صاحب الصوت المطرب الجاهل بالألحان والأوزان ، في حين يثني على مقدرة الشعراء القدامى على إنشاد الشعر الذي يغلب عليه طابع الخشونة في الألفاظ والعبارات، ذلك أنهم أي القدامى في رأي ابن رشيق كانوا يعتمدون الطبع والسجية ، بينما تظهر الكلفة والتصنع على الشعر الجديد، ومع هذا التصنيف للقدماء والمحدثين، فإن الشعر الجيد هو الذي يجمع بين أصالة القديم ومعطيات الجديد، ، فالتطور أمر ضروري دون تنكر للأصل الذي يعدّ معينا ، ومصدرا لاستلهام بعض طرائق إنشاد الشّعر ، خاصة في معرض حديثة عن طبقات الشعراء: " ففي الجاهلية والإسلام من ذهب بكل حلاوة ورشاقة ، وسبق إلى كلّ طلاوة ولياقة"[1] ، ذلك هو شأن الشعر فإنه حتى يكون جيدا أصيلا ينبغي أن يساير الحياة.

[1] – ابن رشيق، العمدة ، ص.ن

عطفا على ما سبق يمكن القول أن ابن رشيق تذبذب بين تفضيله للقديم في هذا الوضع الذي يظهره ناقدا سلفيا محافظا ، وبين إعجابه بالمحدثين في مواضع أخرى تلتمسها في دفاعه عن أبي نواس وأبي تمام الذي يدعّم رأيه بأبيات فيما يخص السّبق والشّرف إنما يكون في المعنى إذ يقول:

فلو كان يغني الشعر أفناه ما أقرت ***** حياضك منه في العصور الذواهب**

ولكنه صوب العقول إذا انجلت ****** سحائب منه أعقبت بسحائـــب[1]**

وحرصا منّا على توضيح موقف ابن رشيق من قضية القديم والجديد نورد التشبيه الذي صرّح به قائلا: " مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناء فأكمله وأتقنه ، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة على ذلك وإن خشن"[2]، بمعنى أنّ الشعراء القدامى يتسمون بالحرفية العالية التي تشبه صنع البنّائين المهرة الذين شيّدوا أفخم القصور والمنازل ثم أحكموا وصلها بالإتقان ليصبح بناء ذا قوة عنوانه الصلابة والمتانة التي بإمكانها مقاومة عوامل الزمن والطبيعة كالرياح والأنواء وما شاكلها، الأمر الذي يبقيها حيّة خالدة على مرّ العصور ، في المقابل يرى الشعراء المحدثين ذو أنامل خفيفة تتسم بالدقة و التركيز المرتفع لديهم كالمزخرفين والنقاشين الذين يختصون بوضع اللمسات الخاصة على تلك القصور والمنازل المشيدة على أساس

[1]- تقديم : عبد الحميد يونس و عبد الفتاح مصطفى ،ديوان أبي تمام، مكتبة محمد علي صبيح و أولاده ،ميدان الأزهر بمصر ،214/1و 215.

[2] - ابن رشيق،العمدة، 92/1.

قوي ومتين، وذلك بما يملكونه من إحساس فنّي وعبقرية مبدعة وذهن متوقّد بالخيالات يحتاج منهم فترة لإنهاء لوحتهم المعبرة من حيث الروعة والجمال.

بناء عليه لا يمكن القول أن أحكام ابن رشيق تشهد تناقضا من قبله ،بالعكس فكما يقول البلاغيون قديما: لكل مقام مقال، فهو حين يريد الكلام عن خصائص القدماء يبرز محاسنهم ويدافع عنهم ،والمسألة ذاتها حينما يتعلق الأمر بالمولدين باعتباره واحدا منهم ، لذا حريّ به إبراز محاسنهم وعناصر الجدّة والجمال في قصائدهم مستنكرا ما فعله بعض الرواة واللّغويين أمثال عمرو بن العلاء ، و الأصمعي بتعميق الشرخ الذي حصل بين القدماء والمحدثين من أجل تحقيق مآربهم وأغراضهم – حسب ابن رشيق– وذلك بإنكار شعر المولدين واستخفافهم به.

V–2– ابن شرف القيرواني:

لقد حاول ابن شرف من خلال النّظرة المتأنيّة للأمور ، و القضايا، والتروي في إطلاق الأحكام والرأي السّليم الذي يعتمده النّاقد الحصيف هو عدم العجلة في استباق الأحكام ،وإمعان النّظر ،وإعمال الفكر في القضايا التي تكون محلّ جدل في أوساط النقاد كقضية القديم والجديد ، حيث يقول على لسان أبي الريان: "وتحفظ من شيئين أحدهما أن يحملك إجلالك القديم المذكور على العجلة باستحسان ما نسمع له ، و الثاني أن يحملك إصغارك المعاصر المشهور على التهاون بما أنشدت له، فإنّ ذلك جور في الأحكام وظلم من الحكام حتى تمحّص قوليهما، فحينئذ تحكم لهما

أوعليهما "[1]، فابن شرف في عرضه لهذه القضية إنما يوافق ابن قتيبة في إجلاله للقديم و إلى المتأخّر بعين الاحتقار مقرّا بصعوبة الأمر، إذ أنّ الناس قد جبلت منذ القديم على تعلّق قلوبهم بسيرة القديم ، و نفورهم من الجديد المحدث بدليل قوله تعالى: " **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**" [2]، وهذا راجع إلى طبائع الناس وسجاياهم وقد عبّر ابن شرف عن هذا الموقف أحسن تعبير حين قال شعرا:

أغرم الناس بامتداح القديم ******* ويذم الجديد غير ذميم**

ليس إلا لأنهم جسد والحـــ ******* يّ ورقّوا العظام الرحيم**

إذن فابن شرف قد وقف موقفا معتدلا بين القديم والجديد ،كما فعل نظيره ابن رشيق في إشارة واضحة إلى وحدة النّظرة والاتّجاه التي تميّز بها نقادنا المغاربة في مجال الدّراسات الأدبية بصفة عامة والنقدية بصفة خاصة ، وفيها محاولة جادة من قبل النقاد المغاربة للتّوفيق بين النظرة التقليدية القديمة للحفاظ على المصادر الأساسية لمنابع الأصالة ، وبين الاتجاه الجديد لمواكبة العصر دون أن يحتاجوا للتخلّي عن الموروث القديم باعتباره معينا لا ينضب ، فما فعله ابن شرف في موازنته التي اكتست طابع الحياد بين أبي تمام والبحتري اللذان يمثلان محوري الخصومة بين القدماء والمحدثين في ذلك العصر قد انعكست آثارها على الحركة النقدية بعدهما ، لكن اللافت في الموضوع أنّ ابن شرف

[1]- ابن شرف،أعلام الكلام، ص28.

[2]- سورة الزخرف ، الآية 23

تتبّع سقطات مختلفات في أشعار بعض المولدين أمثال بشار بن برد التي تتباين طبقات شعره فيصعدها كثيرا ويهبط قليلها كثير، وكذلك كان أبو تمام، فإذا سمعت جيّدهما كذّبت أن رديّهما لها ، وإذا صحّ عندك ذلك الرديء لهما أقسمت أن جيّدهما لغيرهما.[1] ناهيك عن نقده اللّاذع لأبي نواس الذي عاب عليه ترك القديم المتعارف عليه ، وخلط بين الجدّ والهزل، والصعب والسهل، ليحمّله بعد ذلك مسؤولية النزول بالشعر إلى مستوى العامة في زمانه رغم انسجامه مع ابن رشيق فيما قاله: "كل قديم من الشعراء هو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله" ،[2]فالقديم بنظر ابن شرف كان جديدا أيضا في زمانه وسيصير المحدث الجديد قديما مع مرور الزمن كما أشار ذلك صراحة في قوله:

قل لمن يرى المعاصر شيئا ****** ويرى للأوائل التقديما**

إن ذلك القديم كان جديدا ****** وسيغدو هذا الجديد قديما**

و هنا لابد من الإشارة إلى احتمالية الصواب والخطأ الموجودة في أشعار القدماء فليسوا معصومين منها كما يعتقد البعض، من ذلك امرئ القيس الذي اختاره ابن شرف كأنموذج باعتباره أقدم الشعراء عصرا ، ومقدمهم شعرا وذكرا ،كما ذكر عنه ابن رشيق: "وأنا أقتصر من جميع الشعراء في أكثر ما أورده على امرئ القيس لأنه المقدم لامحالة"[3] ، ومع ذلك سجّل عليه ابن

[1]- ابن شرف،أعلام الكلام،ص39.

[2] - ابن رشيق،العمدة، 90/1.

[3] - ابن رشيق،قراضة الذهب، ص45.

شرف هفوات عديدة ارتكبها في العديد من أبياته مخالفا لابن رشيق فيما ذهب إليه من تقديس وتعظيم لامرئ القيس رغم توافقهما في التسوية بين القديم والجديد.

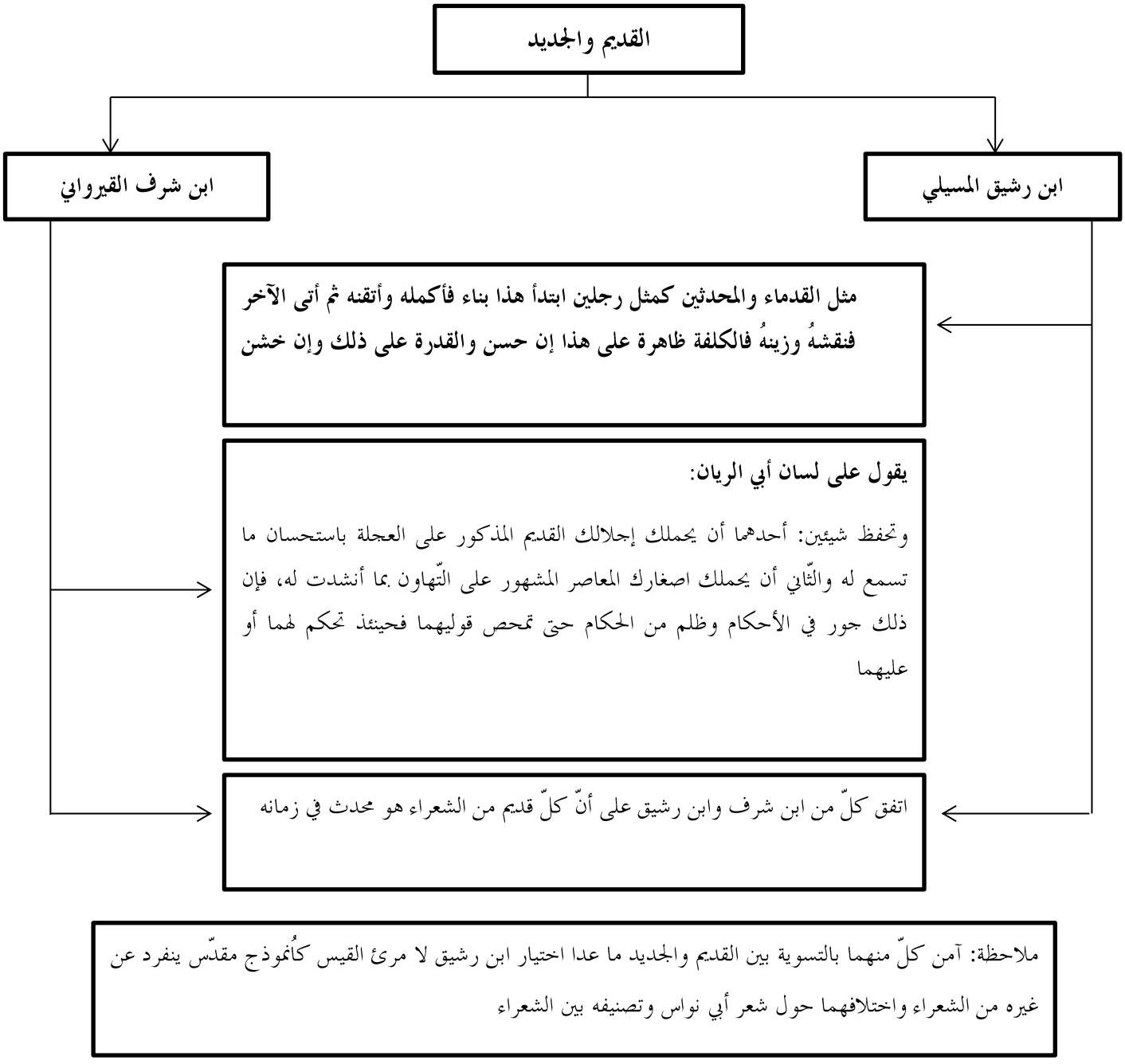

IV –اللّفظ والمعنى:

IV –1–ابن رشيق المسيلي:

تعرّضنا سابقا إلى رأي ابن رشيق حول قضية اللفظ والمعنى إذ يقول في باب مستقل دعاه بباب في اللفظ والمعنى[1] في دلالة واضحة على أهمية هذه القضية بالنّسبة له فأخذت حيّزا لا بأس به من كتابه العمدة" اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فإذا سلم المعنى واختلّ بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه وكذلك إن ضعف المعنى واختلّ بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ. .. "ولا نجد معنى يختل إلاّ من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم فإن اختلّ المعنى كلّه وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه وإن كان حسن الطلاوة في السمع. .. وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى" [2] وكلامه هذا فيه نوع من الموافقة الضمنية بينه وبين ابن قتيبة في الضرب الذي "حسن لفظه ومعناه وكذلك فـــي الذي حسن معناه وساء لفظه"[3]، فالعلاقة كما يرى ابن رشيق، بين اللفظ والمعنى علاقة جدلية وإن تمَّ إنكارها في بعض الأحيان، إذ لم يترك موضعا إلا وقد أكد عليها انطلاقا من أقواله المنسوبة إليه والتي تعبّر عن مواقفه أو فيما يقدمه من آراء لغيره من نقاد قد سبقوه فمنهم قد اتفق معهم ومنهم لم يتفق في إشارة واضحة أنه لا يميل إلى اللفظ على حساب المعنى والعكس

[1] – ابن رشيق،العمدة، 124/1.

[2] –المصدر نفسه، ص.ن

[3] – ابن قتيبة،الشعر والشعراء، 62/1.

صحيح إلَّا أن واقع الأمر ليس كذلك فابن رشيق لم يفضّل الألفاظ على حساب المعنى و العكس صحيح رغم تصريحه بأنّ أكثر الناس يميلون إلى العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف أما المعاني فهي موجودة في طباع الناس يستوي فيها الجاهل والحاذق[1] أي أنَّه يرى بأن المعنى لا يأتيه الفساد والخلل إلا من جهة المعنى لذلك كان يفضل ولا شكّ الاعتناء بالألفاظ مع تجويد المعنى، فكلّما كانت الألفاظ – حسب رأيه–جميلة مختارة كان المعنى جميلا جيدا فإن حصل اختلال للألفاظ اختلّ المعنى ولعلّه من أجل ذلك ألزم الشعراء بوجود ألفاظ شعرية لا يجوز لهم أن يتعدوها لغيرها، وأبعد الفلسفة والأخبار عن موضوعات الشعر لأنّ الشّعر هو ما أطرب وهز النفوس، وحرَّك الطباع[2].

إذن قد يعتقد الكثير من الباحثين أنّ ابن رشيق قد مال للألفاظ على حساب المعنى و لكنّ موقفه واضح معتدل بين اللفظ و المعنى و يدفع الشعراء دفعا إلى الاهتمام بها فبنظره صلاح المعنى يكون بصلاح اللفظ.

IV-2- ابن شرف القيرواني

في الحقيقة لم نلحظ فروقا جليَّة بيّنة فيما يتعلق بموقف ابن شرف حول مسألة اللّفظ والمعنى عن غيره من النقاد، فقد أخذت خيرا واسعا من اهتمام النّقاد الأوائل حتى ذاع صيتها آنذاك ومازالت

[1]- ابن رشيق،العمدة، 127/1.

[2] -المصدر نفسه،128/1.

لحدّ الآن تشغل تفكيرهم نحو ابن شرف الذي لم يتعمَّق كفاية في هذه القضية رغم وجود علاقة وطيدة بينهما، حيث لم يحد عما أورده ابن رشيق في تشبيه اللفظ بالجسد والمعنى بالروح إذ يقول: " والمعاني هي الأرواح والألفاظ هي الأشباح فإن حسنا فذلك الحظ الممدوح وإن قبح أحدهما فلا يكون الروح"[1]، ونستشف من هذا القول أن ابن شرف يولي بالغ الأهمية للمعاني على حساب الألفاظ حين عرض لنا دراسته لشعر مشاهير الشعراء وقدم أحكاما تشمل مستويات اللغة اذ يقول في هذا الصدد:

"فإن من الشعر ما يملأ لفظه المسامع ويرد على السامع منه فقاقع، فلا يرعك شماخة ميناه وانظر إلى ما في سكناه من معناه، فإن كان في البيت ساكن فتلك المحاسن وإن خاليا فأعدده جسما باليا"[2] والعكس صحيح فربما تكون الألفاظ سيئة وضعيفة، ولا يترتب على هذا أن المعاني تكون ضعيفة فالمطلوب هنا هو التدقيق في المعاني حتى وإن طالها الابتذال إذ يقول: " فإذا سمعت ألفاظا مستعملة، وكلمات مبتذلة فلا تعجل باستضعافها حتى ترى ما في أضعافها"[3] ويشير هنا إلى عدم إهمال الجانب التعلق بالألفاظ بعد التمعن في المعاني التي تحملها مؤكدا على ذلك بقوله " فكم من معنى عجيب في لفظ غريب"[4] والمقصود من وراء لفظتي" عجيب وغريب" أنّ الألفاظ والمعاني قد لا يتناسبان إذ أنّ

[1]- ابن شرف،أعلام الكلام،ص9

[2]- المصدر نفسه، ص.ن

[3]- المصدر نفسه،ص.ن

[4]- المصدر نفسه،ص27.

الألفاظ قد تأتي فصيحة ونقية، في المقابل نجد أن معانيها لا تستحق تلك الصفات التي تتحلّى بها الألفاظ،و هذا كلام قد يوهم البعض أنّ ابن شرف قد مال إلى المعاني على حساب الألفاظ في حين أنّ الاعتدال سمته و هذا واضح جليّ،إذ يعدّمن أنصار المساواة التي لا ترجّح كفّة دون أخرى بل تنزل كلا من اللفظ و المعنى المنزلة نفسها ، حيث ينبغي للأديب العناية باللفظ و المعنى بنفس الدرجة حتى يجيد فيهما معا.

وعليه يمكن القول أن الاعتدال سمة بارزة تمثّلها ابن شرف في قضية اللفظ والمعنى اللّذان إن حسنا في رأيه فذلك هو المطلوب في العملية الشعرية وإن قبحا أحدهما قبح الشعر، وانتفت صفة الجمال عنه، وعلى هذا الأساس قسم الشعر إلى أربعة أضرب متأثرا في ذلك بابن قتيبة إلى حدٍّ كبير حيث نجد مايلي: ما حسن لفظه ومعناه.

-ما حسن لفظه وساء معناه.

-ما حسن معناه وساء لفظه.

-ما ساء لفظه ومعناه.

لكن اللاّفت في الأمر أن ابن شرف كان يرى القبح في المعنى أشدّ منه في اللّفظ ، لكن هذا لا يعني بالضرورة وقوفه بجانب المعاني ووددنا لو قام ابن الشرف بالتفصيل أكثر في هذه المسألة غير أن قصر مقامته ربّما تكون السّبب في عدم بلوغ ذلك أو دوافع أخرى متعلّقة بابن شرف نفسه.

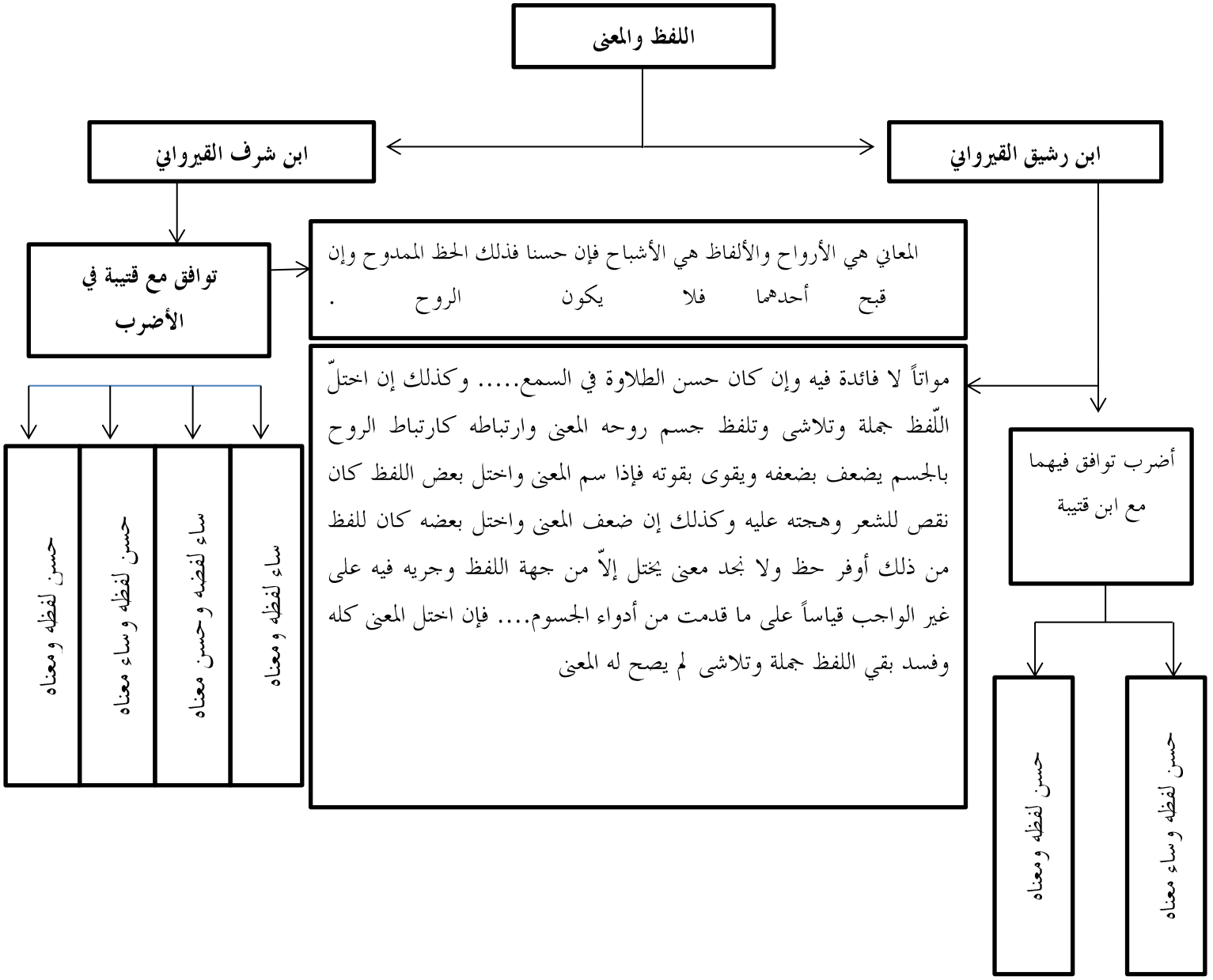

ملاحظه: كلاهما وقف موقفاً معتدلا من هذه القضية متأثرين بتقسيمات ابن قتيبة

IIV-الطبع والصنعة

IIV-1-ابن رشيق المسيلي

تعدّ مسألة الطّبع والصّنعة من القضايا التي تناولها كبار النّقاد بالشّرح والتّحليل والايضاح والنقد، لذلك نجد العديد منهم أصبح يعتبرها بمثابة مقياس تقاس بها جودة ورداءة الشعر ووسيلة للمفاضلة بين الشعراء كما فعل ابن رشيق وابن شرف في موازنتهما للبحتري وأبي تمام الذي أقرّ له ابن رشيق بالصنعة في شعره حينما قال:" إنها حبيب القاضي العدل يضع اللفظة موضعها ويعطي المعنى حقّه بعد طول النظر والبحث عن البنية كالفقيه الورع، يتحرى في كلامه ويتحرج خوفا على دينه، أبو الطيب كذلك الجبار يأخذ ما حوله قهرا وعنوة كالشجاع الجريء يهجم على ما يريده ولا يبالي مالقى وحيث وقع"[1] تعليقا على ما تقدم ذكره ينبغي لنا التفريق بين الشعر المطبوع والمصنوع إذ يفرق بين شعر أبي تمام الذي ينتقي ألفاظه بعناية مستحضرا في ذلك معانٍ مناسبة لها قبل خوضه غمار الكتابة مشبها إياه بالقاضي العدل المحيط بجميع أسوار المعرفة بالإضافة إلى وصفه بالفقيه المتضلع في كل شيء بخلاف المتنبي الذي يندفع باستعمال ألفاظ دون أن يتهيأ لها وشائع عند المولدين من الشعراء اهتمامهم بالمعاني ينقبون الغامض منها علاوة على الإغراق في تناول الموضوعات المجردة دون الاكتراث بالألفاظ وهو ما أطلق عليه بالشعر المتكلف إذ يقول في هذا الصدد:" إلّا أنّ الطّائي

[1] – ابن رشيق، العمدة،ص 133

كان يطلب المعنى ولا يبالي باللّفظ حتى لو تمّ له المعنى بلفظه نبطيه لأتى بها"[1] أي أن أبا تمام وغيرهم من الشعراء الذين انتهجوا سبيله كانوا يكرهون ألفاظهم على تأدية المعنى المراد في أذهانهم ومخيلتهم في حين أن معظم النقاد والشعراء والأدباء الحذاق كانوا يفضلون " ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة يستدلّ بذلك على جودة شعر الرجل وصدق حسّه وصفاء خاطره فأمّا إذا كثر فهو عيب، يشهد بخلاف الطبع وايثار الكلفة"[2] وحتّى يتّضح الأمر أكثر حول مفهوم الطبع والصنعة عند ابن رشيق نورد ما جاء من تخصيص لهما في الباب العشرين من أبواب عمدته إذ يفيدنا منذ البداية بأنّ الشّعر فيه المطوع وهو الأمل الذي بيني عليه وفيه المصنوع الذي ينقسم إلى قسمين: مصنوع مهذب ومصنوع متكلف وعليه فالشّعر عنده ثلاثة أنواع:

مطبوع نابع من صدق النفس المنسجمة مع الفطرة والبساطة وتشدّ على سجيّتها دونما تكلّف بعيدة كل البعد عن البهرجة اللّفظية تقول الشّعر ارتجالا أو بديهة كما هو الحال عند الشّعراء الجاهلين والإسلاميين والأمويين وبعض المحدثين من شعراء العهد العباسي .

الشعر المصنوع المهذب الذي أعاد النظر فيه تمحيصا وتنقيحا فيدل أو غير بعض الألفاظ والعبارات دون أن يجهد نفسه أو يكد خاطره في البحث عن الصور البيانية وبخاصة البديع وإن جاءت فإنما تأتي

[1] – ابن رشيق، العمدة ،132/1.

[2] – المصدر نفسه،130/1.

ارتجالا دون تكلف أو تعمل مثلما وضع زهير بن أبي سلمى في مطولاته المسماة بالحوليات فقد كان (يضع القصيدة ثُمَّ يكرر نظره فيها خوفا من التعقيب)[1].

من هذا المنطلق يرى ابن رشيق أن كل من أبي تمام والبحتري يطلب الضعة في شعره فيوضّح ذلك من خلال حديثه عن أبي تمام فيقول: " فأمّا حبيب فيذهب إلى حزونة اللّفظ وما يملأ الأسماع منها مع التصنيع المحكم طوعا وكرها يأتي الأشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة"[2].فأبوتمام يسعى إلى المحسنات ويركب في سبيلها كل مركب وإن صعب باعتباره ذو نزعة متطرفة – بنظر بعض النقاد – تروم التّجديد في مضامين القصيدة العربية بتناوله للقضايا الفكرية والفلسفية المجردة وبإغراقه في الصور البديعية فكان من الطبيعي أن يترع إلى مذهب الصنعة وأن يضطر أحيانا إلى التكلف بخلاف البحتري الذي يترع إلى الصنعة الجميلة وذلك باختياره ألفاظا سهلة مستعملة وجميلة المعاني واضحة جميلة واضحة الدلالة لكنها مع ذلك لا تخلو من ألوان البديع والصور البيانية المأخودة من واقع الحياة العربية" دون عناء وتكلّف من قبل البحتري حسب ابن رشيق: " وأما البحتري فكان أملح صنعة وأحسن مذهبا في الكلام يسلك منه دماثة وسهولة أحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة[3] هذا فضلا عن محافظته على عمود الشعر من حيث الصياغة والمضامين فهو وإن جدد كان من المجددين لم يخرج على طريقة العرب المألوفة ومن هنا لم يغرق كثيرا في مذهب

[1] –ابن رشيق، العمدة ،129/1–130.

[2] المصدر نفسه، ص.ن

[3] المصدر نفسه،ص.ن

التصنيع و لم تظهر على شعره الكلفة أو المشقة، الأمر الذي جعل ابن رشيق يصل إلى نتيجة مفادها أن كل من البحتري وأبي تمام شاعران مصنعان، ان لم يكن البحتري مطبوعا فقط و لم يكن أبو تمام متكلفا فقط، إنما مشكل التراع وجوهر الخلاف هو في التفاوت بينهما"، وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها. [1]

IIV-2-ابن شرف القيرواني:

لم يتعرّض ابن شرف لمسألة الطبع والصنعة بشكل مفصل على الرّغم من تناوله لعدّة قضايا مهمة في النّقد الأدبي و لم يكبّد نفسه عناء البحث فيها والتّدقيق بتفاصيلها انما اكتفى بالإشارة إليها فهو " الناقد الخبير بخبايا الخطاب الشعري البصير بكثير من جوانب التاريخ الأدبي، لم يكن له دور كبير في التّطرق إلى هاتين القضيتين وقد يكون السبب في ذلك راجع لعدة أسباب خاصة"[2] لم تمنعنا من التماس آرائه وموقفه من قضية "الطبع والصنعة" من بعض الأقوال الموجزة في طريقة بعض الشّعراء الذين تناولهم "فشعر الشيخ أبي عقيل عنده ينطق بلسان الجزالة عن جنان الأصالة فلا تسمع له إلا كلاما فصيحا ومعنى متينا صحيحا " [3] وكذلك شعر العباس بن الأحنف الذي "رقق العشق كلامه، وثقفت قوة الطبع نظامه، فله رقـــة وجودة الحذاق"[4].

[1]- ابن رشيق، العمدة ،130/1

[2] - محـــمد مرتاض،النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، نشأته وتطوره، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،.2000م ،د.ط ،ص124.

[3] - ابن شرف،أعلام الكلام، ص16.

[4] -المصدر نفسه، ص23.

أمّا البحتري فلفظه ماء ثجاج ودرّ رجراج ومعناه سراج وهّاج على أهدى منهاج يسبقه شعره إلى ما يجيش به صدره يسر مراد وليس قياد، إن شربته أرواك وإن قدحته أوراك طبع لا تكلف يعيبه ولا عناد يثنيه[1].

الأمر الذي أدى إلى إقرار ابن شرف بتفوق البحتري على الرّغم من الموقف الوسطي الذي أبداه بشأن المفاضلة بين أبي تمام والبحتري وهما صاحبي مدرستي الطبع والصنعة، فقد جاءت أحكامه النقدية على شكل ملاحظات حيث قال في أبي تمام: " وأما الطائي حبيب فمتكلف إلا أنه يعيب ومتعب، لكن له من الراحة نصيب وشغله، المطابقة والتجنيس وحبذا ذلك أو بيس"[2]

إذن ما يتميز به شعر أبي تمام حسب ابن شرف، غموض المعاني ودقتها وكثرة ما يورد ممَّا يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج من أهل المعاني والشعراء وأصحاب الصنعة، في المقابل نجد نظرته إلى البحتري مخالفة تماما لما وجدناه عند أبي تمام إذ يقول: "وأمّا البحتري فلفظه ماء ثجاج ودر دراج ومعناه سراج وهاج، على أهدى منهاج، يسبقه شعره إلى ما يجيش به صدره، يسر مراد، ولين قياد، إن شربته أرواك، وإن قدمته أوراك، طبع لا تكلف يعيبه ولا العناد يثنيه ولا يمل كثيره، ولا

[1]- ابن شرف،أعلام الكلام ، ص23.

[2] -المصدر نفسه ،ص7.

يستكلف غزيره، و لم يهف أيام الحلم و لم يصف زمن الهرم"[1] أي أنّ ابن شرف ما مال البحتري إلا لحلاوة لفظه وحسن تخلصه ووضع الكلام في مواضعه وصحة العبارة وقرب المأتى وانكشاف المعاني.

وخلاصة القول أن ابن شرف لم يركن إلى أيّ مدرسة سواء مدرسة الطبع أو مدرسة الضعة وإنما عبّر إعجابه بأصحاب الطبع مثلما فعل مع أصحاب الصنعة مانحا ايّانا لمحة عن هذه القضية في كتابة مسائل الانتقاد" ولو ضمن ما قام به إزاء وضع أحكامه على قاطع شعرية لشعراء عصره وغيرهم.

[1]- ابن شرف،أعلام الكلام ،ص.ن

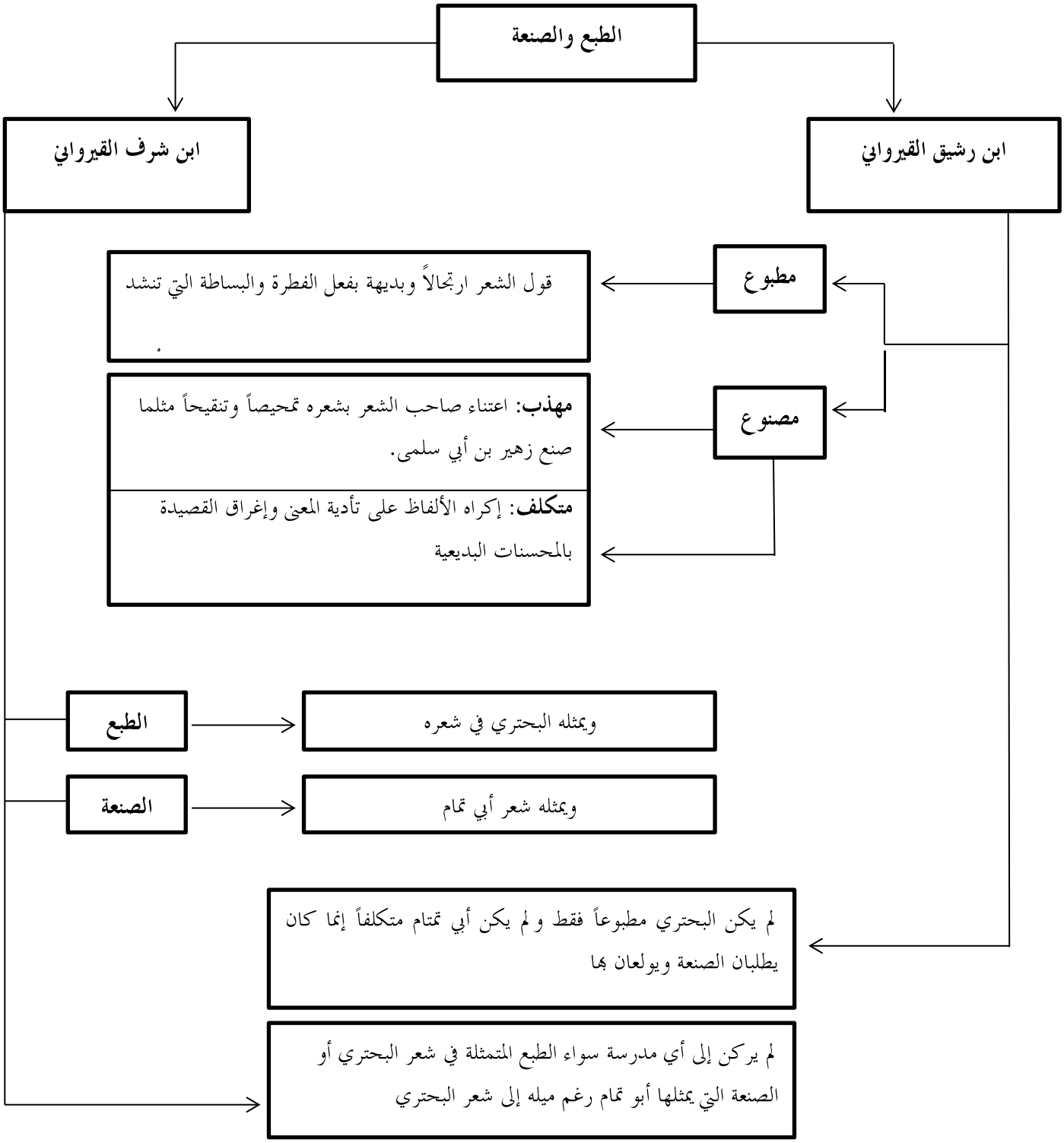
الطبع والصنعة
ابن رشيق القيرواني
ابن شرف القيرواني
مطبوع
قول الشعر ارتجالاً وبديهة بفعل الفطرة والبساطة التي تنشد
مصنوع
مهذب: اعتناء صاحب الشعر بشعره تمحيصاً وتنقيحاً مثلما صنع زهير بن أبي سلمى.
متكلف: إكراه الألفاظ على تأدية المعنى وإغراق القصيدة بالمحسنات البديعية
الطبع
ويمثله البحتري في شعره
الصنعة
ويمثله شعر أبي تمام
لم يكن البحتري مطبوعاً فقط و لم يكن أبي تمتام متكلفاً إنما كان يطلبان الصنعة ويولعان بها
لم يركن إلى أي مدرسة سواء الطبع المتمثلة في شعر البحتري أو الصنعة التي يمثلها أبو تمام رغم ميله إلى شعر البحتري

خـــاتـــمـــة

لقد استطاعت هذه الدّراسة المتواضعة حول ابن رشيق القيرواني ومعارضته النّقدية لابن رشيق من أن تزيل الغشاوة على بعض الأشياء التي كنت قد غفلت عنها وبعضها الآخر جهلته، بل إنّها مكّنتني من بلوغ نتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

-أثبت لنا ابن شرف وابن رشيق أنّ جدارة النّاقد والأديب والعالم لا تكمن في كثرة المؤلّفات والتّصانيف بل في جودتها ونوعيّتها فرغم ضياع جلّ مؤلّفاتهما إلاّ أنّ ما تبقى برهن مقدرتهما كأديبان وشاعران وناقدان مازالت ليومنا هذا أسماؤهم تسطع في عالم النّقد عموما والنّقد المغاربي خصوصا.

-الأمن والازدهار الحضاري والانساني متلازمان فأينما وجد الازدهار وجد الأمن والعكس صحيح.

-نجاح ابن شرف في اعتماده المنهج الأخلاقي وربطه بالدّين والأخلاق و كان قد جمع بين المنهجين الأخلاقي والفنّي.

-توفيق ابن شرف القيرواني في اعتماده المنهج النّفسي في دراسته لبعض أبيات امرئ القيس، وهذا النّوع من الدراسات يندرج ضمن الدّراسات الحديثة التي أثارت ضجّة في عشرينيات القرن الماضي.

-يلاحظ أن ابن شرف قرن بين قول الشّعر وممارسة العمل النّقدي لا سيما وأنه عاش في بلاط المعز بن باديس وتأثره إلى حدّ بعيد بآراء نقّاد القيروان خاصّة ابن رشيق.

-دراسة المعارضة النّقدية نافع من وجوه.

الأمر الأول: أنها عون على فهم بعض القضايا والآراء النّقدية الواردة في كتب النّقد العربي فهما علميّا قائما على الأصول النّفسية والمنظمة.

الأمر الثاني: دعوة الباحثين لتناول المعارضات النّقدية بالدّرس والتّمحيص لاستقراء التّراث وبعثه من جديد خاصة المغاربي منه رغم أن أسلافنا كانوا يقرأون ويؤوّلون لا للمتعة وحدها ولا لإثبات مهاراتهم في استنباط القراءات اللاّمتناهية، إنّما كانوا يهدفون بقراءاتهم وتأويلاتهم إلى توجيه التّاريخ والمساهمة في صنعه.

-احتفاء كتب الأدب المغاربي القديم بشخص ابن رشيق القيرواني أكثر من اهتمامهم بابن شرف.

-اتساع مفهوم المعارضة ليشمل مصطلحات نقدية كالبرهان والحجاج والحوار والجدال.

-المفاهيم والمصطلحات النّقدية كالاتّساع –الابتكار-الاجتلاب-الاختلاس-الموارد – المرافدة....وغيرها دليل على براعة النّاقد ابن رشيق القيرواني.

-كشفت معارضة ابن شرف لابن رشيق عن وجود مقاييس نقدية تتردد بين الجودة والرّداءة عند ابن شرف.

أما مقاييس الجودة حسن التصوير واختراع المعاني الطبع والأصالة ،وصقل الأدب وحسن التصرف في فنونه ،ومن فنون الشّعر أو أكثر، وتباين شعره جودة ورداءة، وقرب لغة الأدب من لغة العلم والتّكلف واللّحن الذي لا يمكن الدّفاع عنه، وخشونة حروف الكلمة وتعقيد الكلام واختلال

الموسيقى ومجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها، والافتتاحات الثّقيلة، والكلام الضاد للغرض، والقافية التي لا ترتبط بما قبلها من الكلام وجفاء الحبيب في النّسيب.

-غموض آراء ابن رشيق النّقدية وتذبذبها في أحايين كثيرة كان مدعاة لوسمه بالرّواية النّقدي مغفلين تماما شخصيته النّاقدة.

رسالة ابن شرف تعد أول قالب نقدي في صورة مقامة طويلة، وأحسن في طريقة عرضه كل الإحسان فافصح عن تمكنه من ناحية العربية وبراعته الاسلوبية وقدرته البيانية مع دقة في إصابة الغرض.

رسالة ابن شرف تدل على علو مترلته العلمية ودقة نظرته النقدية، لأنه وفق في ترتيب الشعراء، إذ وضع طرفة في المترلة الثانية بعد امرئ القيس وبعدهما في المرتبة الثالثة يضع الشيخ أبا عقيل لبيد بن ربيعة العامري، وبهذا وافق في هذا الترتيب رأي لبيد

إنّ ابن شرف القيرواني سبق أصحاب المنهج النفسي في النقد حين قال: إن شعر لبيد يدلك عليه قبل أن يعلم من قائله.

ابن شرف ينكر – من طرف خفي – أكثر شعر أبي نواس سوى الطرديات ويراه مسؤولاً عن الترول بالشعر إلى مستوى العامة وهذا حكم جديد زاده إلى النقد.

حاول ابن شرف أن يوازن بين الشعراء الذين عاشوا في عهد واحد وجمع بينهم المكان الواحد واشتركوا في أكثر من خاصية واحدة ونلمح ذلك أثناء حديثه عن شعراء النقائض جرير والفرزدق والأخطل أو البحتري وأبي تمام.

لم يكن حديثه عن شعراء المشارقة وإنما تحدث كذلك عن شعراء المغاربة من أمثال ابن عبدربه وابن هانئ وابن دراج وعلي التونسي.

التحدث عن شعراء المشارقة أكثر من المغاربة شهد على سقطات الشعراء القدامى والمولدين وخص بالذكر منهم امرئُ القيس وزهير بن أبي سلمى وبشار بن البرد وأبا تمام والمتنبي.

اختياره للشاعرين الجاهليين امرؤُ القيس وزهير بن أبي سلمى الذي درج الناس على تفضيله .

قائمة المصادر والمراجع

1-قائمة المصادر والمراجع:

-القران الكريم برواية ورش.

- الحديث النبوي الشريف

1-المعاجم:

ـــ مجمع اللغة العربية

-المعجم الوسيط ،ج2،ط4،مكتبة الشروق الدولية،مصر ،2004م

ـــ ياقوت الحموي

- معجم الأدباء ، دار المأمون ،(د.ط)، 1936م.معجم الأدباء ،دار صادر ،بيروت ،لبنان ،د.ط،د.ت .

-معجم الأدباء ،إعداد:أحمد شمس الدين،ج6،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان ،2014م

ـــ ابن خلدون

- مقدمة، تح: عبد الله محمـــد الدرويش، دار يعرب، ط1، 2004.

ـــ ابن خلكان

- وفيات الأعيان ،تح: إحسان عباس ،ج2، دار صادر ط1، بيروت ،1998م

-وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1970

- وفيات الأعيان،تح: محمد محي الدين عبد الحميد،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ،د.ت.

ـــ ابن رشيق القيرواني :

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مطبعة السعادة، ج2،ط.2، القاهرة، 1955.

- أنموذج الزمان في شعراء القيروان ،جمع وتعليق زين العابدين السنوسي ،دار المغرب العربي: تونس 1971م.

- قراضة الذّهب في نقد أشعار العرب ،تحقيق :الشاذلي بويحيى، الشركة التونسية للتوزيع ،تونس 1972م.

- قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، 1926

ـــ ابن شرف القيرواني

-أعلام الكلام ، مطبعة النهضة –القاهرة –1926م .

- أعلام الكلام ،مكتبة الخانجي ،ط1، 1926م.

-الديوان، حسن ذكرى حسن، دار المكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة ،د.ط، د.ت.

- مسائل الانتقاد ،دراسة وشرح وتحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مطبعة المدني ،د.ط، القاهرة ،د.ت .

-ابن الأثير

-الكامل في التاريخ، راجعه و صحّحه:محمد يوسف الدقّاق ،ج8 ،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان،د.ت .

-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ج1،تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار النهضة،القاهرة ،د.ت.

ـــ ابن فضل الله العمري

-مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،تح:كامل سلمان الجبوري ،ج11،دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان ،2010م.

ـــ ابن قتيبة

- الشعر والشعراء ،تح وشرح: احمد محمد شاكر ،ج1، دار المعارف، القاهرة ،1966م

ـــ ابن بسّام

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،قسم 4،طبعة كلية الآداب، القاهرة.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،دار الثقافة ،بيروت –لبنان-1997م.

ـــ ابن عذارى المراكشي

-بيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تح : ج.س كولان و إ.ليفي بروفنسال ،ج1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،د.ت .

ـــ الآمدي

-الموازنة بين الطائيين ،تح: السيد احمد صقر ،دار المعارف، القاهرة،1961م

ـــ الجاحظ

-البيان و التبيين ،ج1،دار مكتبة الهلال ،ط2،بيروت –لبنان،1992م.

ـــ القاضي الجرجاني

-الوساطة بين المتنبي و خصومه ،تحقيق وشرح :محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي ،الناشر:عيسى الحلبي و شركاه ،القاهرة ،ط1966،2م.

ـــ المبرد

-الكامل، ج1،ط1،مصر،1308ه

ـــ أبو اسحاق الحصري

- زهر الآداب وثمر الألباب، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي ،ط1،القاهرة ،1953م

ـــ أبو فرج الأصفهاني

-الأغاني مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1963ـــ

ـــ أبو تمام

-الديوان ،تح: محمد عبده عزام، دار المعارف ،القاهرة ،1996

ـــ أبو العرب بن تميم القيرواني

—طبقات علماء إفريقية و تونس ،تح: علي الشابي و نعيم حسن الباني ، الدار التونسية للنشر ،الجزائر،ط1985،2م.

ـــ امرؤ القيس

- الديوان(129-140) حقّقه و شرحه:صلاح الدين الهادي ،دار المعارف،القاهرة ،د.ت.

.جمال الدين القفطي

- انباه رواة على أنباه النحاة ،طبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1950ـــ

ـــ مـــؤلف مراكشي مجهول

–الاستبصار في عجائب الأمصار ،نشر وتوزيع سعد زغلول عبد الحميد ،(د.ط)،(د.ت).

ـــ المراجع:

- ميخائيل أمارى المكتبة العربية الصقلية ،مكتبة المتنبي ،بغداد،1857م.

ـــ إبراهيم عبد النور

–اتجاهات النقد في المغرب العربي بين ق 4 هـــ وق 8هـــ، وهران، 2009/2008م .

–طبيعة الإبداع الشعري عند ابن رشيق في ضوء قراضة الذهب، تيارت للطباعة ، الجزائر ،ط1، 2014م.

ـــ إحسان عباس

–تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الأمانة ،ط1،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،1983م.

ـــ أحمد الشايب

–أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط10، 1994م.

–تاريخ النقائض في الشعر العربي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1998.

ـــ احمد هيكل

–الأدب الأندلسي "من الفتح إلى سقوط الخلافة ".،دار المعارف،ط18،القاهرة د.ت.

ـــ الحبيب أعراب:

-الحجاج والاستدلال الحجاجي ضمن مفهومه ومجالاته ،تقديم :حافظ اسماعيلي ج3،عالم الكتب الحديث، إ.ريد، الأردن ،2010م.

ـــ أمينة فيزازي

-الأدب الأندلسي والمغربي ،دار الكتاب الحديث ،2013م.

ـــ بشير خلدون

- الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1981م.

ـــ تاسعديت فوراري

-المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات (13)،2008م.

ـــ جابر عصفور

- الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي ،دار المعارف ،القاهرة،د.ت.

ـــ حسن الباهي

-الحوار ومنهجية التفكير النقدي ،إفريقيا الشرق ،المغرب ، الطبعة الثانية ،2013م.

ـــ حسن حسني عبد الوهاب

- مجمل تاريخ الأب التونسي ،مطبعة النار ،تونس ،1966.

ـــ حسين المودن

-الحجاج ضمن مفهومه ومجالاته ، تقديم : حافظ إسماعيلي ، ج1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2010م .

-داوود غطاشة وحسين رافي

- قضايا النقد العربي قديمها وحديثها ،الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع زدار الثقافة للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،ط1، 2000م.

ـــ سامية الدريدي

- الحجاج في الشعر من الجاهلية الى ق3ه، عالم الكتب ، الأردن، ط1، 2008.

ـــ شوقي ضيف

-في النقد الأدبي ، دار المعارف ، القاهرة ،ط6،د.ت.

-البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، 1965م.

-عصر الدول والإمارات وليبيا،صقلية ،ط2،دار المعارف،د.ت.

ـــ طه عبد الرحمن

-أصول الحوار وعلم تجديد الكلام، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط4، 2004م.

- لسان الميزان أو التكوثر العقلي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، ط2، 2006.

ـــ طه مصطفى أبو كريشة

-النقد العربي التطبيقي بين القديم والحديث، دار نوبار للطباعة، القاهرة ،ط1.

ـــ عبد الجليل عشراوي

-الحجاج في الخطابة النبوية ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1، 2012م.

ـــ عبد الرؤوف مخلوف

-ابن رشيق القيرواني ،ط1 ،دار المعارف ،مصر ،1964م.

ـــ عبد السلام المسدي

-الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3 ،د.ت.

.عبد السلام عشير

-عندما تتواصل تغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق-المغرب، ط2، 2012م.

ـــ عبد العزيز قلقيلة

-النقد الأبي في المغرب العربي ،ج 1، ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1988م.

ـــ عبد اللطيف عادل

- بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، دار الضفاف، بيروت، ط1، 2013.

ـــ عبد المالك الشامي

-النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والمصطلح ،منشورات آنفوبرانت، د.ت، د.ط.

ـــ عبد المالك مرتاض

-النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ،نشأته وتطوره-منشورات اتحاد الكتاب العرب ،(د.ط)،2000م.

- في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3 ،2002م.

ـــ عبد الله كنون

-النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ج1، د. ط، د. ت.

ـــ علي مهدي زيتون

-إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، دار الشرق، بيروت ،ط2، 2009م.

ـــ عيد بلبع

-قضية الطبع والتكلف في التراث النقدي والبلاغي ،دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،المنصورة ،ط1،د.ت.

ـــ محمـــد أبو ريدة

- الحضارة الإسلامية في ق 4 هـــ تآليف آدم مترجمة "محمـــد أبو ريدة"، المجلد الأول، ص 485، ط4، 1967هـــ.

ـــ محمد الفاسي

-التعريف بالمغرب، معهد الدراسات العربية العليا، جامعة الدول العربية، 1961.

. محمـــد الربداوي

-الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، 1970م.

ـــ محمد زغلول سلام

-تاريخ النقد الأبي والبلاغة حتى آخر القرن 5ه، منشآة المعارف، الإسكندرية ،ط3،د،ت.

ـــ محمد سالم محمد الأمين الطلبة

-الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت ،ط1، 2008م.

ـــ محمد مفتاح

- التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب ،د.ت، د.ط.

ـــ مولاي عبد العزيز الساهر

-قضايا النقد الأدبي عند ابن البناء العددي "دراسة في الروض المريع في صناعة البديع وعلاقاتها بإعجاز القرآن ،النادي الأدبي بمراكش -إفريقيا الشرق-المغرب ،2016م.

.هشام الريفي

- الحجاج عند أرسطو،(ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) ، إشراف حمادي صمود ، كلية الآداب منوبة ، 1988 .

. المراجع الأجنبية :

-كارل مانهايم ،ايديولوجيا واسيوتوبيا ،مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة ،ترجمة :محمد رجا الديربي، شركة المكتسبات الكويتية ،ط1، 1980م..

-Le grand Robert, dectionnaire de la langue francaise, parie, 1989.

-van Emen, ROB, gooen, darst, …), rules for argumentation, douglasualter (ed): argumentation, 2 nov, 1988.

.الدوريات

ـــ أبو ديب

- النقد العربي،مجلة مواقف، ع41-42، ط1981م.

ـــ الحبيب أعراب

-الحجاج والاستدلال الحجاجي ،(عناصر الاستقصاء النظري)،عالم الفكر ،مجلة دورية محكمة ،الكويت ،عين واحد ،سبتمبر 2001 .

ـــ حسن برزائي نيا نعمان أنق

-معارضات البارودي بين التقليد والتجديد، إضاءات نقدية، ع17، ربيع 1394س/آذار، 2015. ـــ

ـــ حمو النقاري

- حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع و مسالكه ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، فاس ،1987م.

ـــ عدوية فيّاض

- نظرات تحليلية في كتاب الموازنة بين أبي تمام و البحتري للآمدي 37ه ،مجلة الفتح ،ع23.

ـــ عيد بلبع

-الرؤيا التداولية للاستعارة ،مجلة علامات ،ع 23 ،2005م

ـــ هيثم طارم

–النقد الأدبي بين المفاضلة و الموازنة و المقارنة في التراث الأدبي ،ع2،

ـــ المذكرات :

ـــ فريدة مقلاتي

- نظرية الشعر عند ابن رشيق القيرواني ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي القديم ،جامعة الحاج لخضر باتنة ،2008م/2009م.

ـــ الشيخ بوقربة

–رسالة دكتوراه الدولة: مخطوطة "مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي"، السنة الجامعية 2000/1999م.

ـــ عبد اللطيف عادل

–خطاب المناظرة في التراث الإسلامي مقاربة لآليات الإقناع ، أطروحة مرقونة بكلية الآداب و العلوم الإنسانية ، مراكش ، موسم 2003 | 2004م .

ـــ الروابط :

–التناص والإبداع "فن المعارضة" أنموذجا، الرابط:

http://journalsopenedition.org

-التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، الرابط:

http://arabiclescion,hawramani.com/!p=38057≠coa8f9

الرائد (http://www:almaany.com)

معجم الغني (http://www:almaany.com).

معجم اللغة العربية المعاصرة (http://www:almaany.com.

معجم لغة الفقهاء (http://www:almaany.com)

www:alukah.met

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

شكر

إهداء

مقدمة.....2

مدخل: الحركة النقدية المغاربية ومكانتها بين الامتداد المشرقي والاستقلالية المغاربية 14-33

الفصل الاول: تجليات المعارضة النقدية في الخطاب النقدي المغربي

تمهيد: تمهيـــد 35

I-المعارضـــــة 41

1-الدلالة والمفهـــوم 41

2-المعارضة اصطلاحا..... 43

3- المعارضة وعلاقتها بالمصطلحات النّقدية البرهان-الحجاج-الحوار-الجدال..... 44

3-1-الحجاج 44:

3-2-الجدال 46

3-3-البرهان..... 47

3-4-الحوار..... 48

II- أسس ومعايير النّقد الأدبي 50

III-المفاهيم والمصطلحات النّقدية 63

1-بعض المفاهيم والمصطلحات النقدية لابن رشيق في القرن الخامس الهجري..... 77

الفصل الثاني: التصور النقدي لابن رشيق وفاعليته في تطور الفكر النقدي المغاربي

تمهيد 80

I- رؤية ابن رشيق النّقدية من خلال مؤلّفاته العمدة "أنموذجا" 82

أ-آراء ابن رشيق النقدية حول قضايا نقدية مثل: اللّفظ والمعنى الطّبع والصّنعة –السّرقات الشّعرية.. 82

1-اللّفظ والمعنى..... 82

2-الطبع والصنعة..... 87

3-السرقات الشعرية..... 93

II- أثرها في تطور الفكر النقدي المغاربي..... 99

1-اختلاف الأحكام النّقدية حول رؤية ابن رشيق 99

الفصل الثالث: معارضة ابن شرف النقدية لابن رشيق بين التذوق والتفوق

1-دوافع وخلفيات ابن شرف في معارضته النقدية لابن رشيق 127

1-أ-دوافع دينية 136

1-ب-دوافع اخلاقية 137

1-ج-دوافع نفسية 139

2 143

2-أ-اللفظ والمعنى 143

2-ب-الطبع والصنعة 148

3-موقف ابن رشيق من معارضة ابن شرف 155

3-أ-رد فعل ابن رشيق على معارضة ابن شرف 155

3-ب-الرأي النقدي لبعض النقاد حولها 161

الفصل الرابع: المقارنـــــــــــة بين ابن شرف وابن رشيـــــــق توافق بين الأصول واختلاف في الفروع

تمهيد..... 175

I-من حيث الأسلوب 179

I.1.ابن رشيق المسيلي 179

I-2ابن شرف القيرواني 180

II-الشعر والنثر 185

II. 1-ابن رشيق القيرواني 185

II .2ابن شرف القيرواني..... 193

III تصنيف الشعراء..... 198

III-1 ابن رشيق المسيلي..... 198

III -2-ابن شرف القيرواني 201

VIالسرقات الشعرية..... 206

VI 1 -ابن رشيق السيلي..... 206

VI-2ابن شرف القيرواني..... 211

V القديم والجديد..... 215

V-1 ابن رشيق المسيلي..... 215

V-2 ابن شرف القيرواني 218

IV اللّفظ والمعنى..... 218

1-IV ابن رشيق المسيلي 222

2-IV ابن شرف القيرواني..... 222

IIV الطبع والصنعة 223

1-IIV ابن رشيق المسيلي 227

2-IIVابن شرف القيرواني..... 230

خاتمة 235

قائمة المصادر والمراجع 240

فهرس المحتويات

ملخص

الملخص :

تعد معارضة ابن شرف القيرواني لابن رشيق من الصور الحية المعبرة عن واقع النقد المغاربي الذي طرأت عليه تغييرات بعد ما تأثر بالنقاد المشارقة، فما كان منا إلا أن ننقل تلك الصورة من خلال مدخل عرضنا فيه حقيقة مختلف الأوضاع (الاجتماعية السياسية والثقافية) وتأثيرها على نشاط الحركة النقدية في بلاد المغرب العربي الذي تشكلت ملامح النقد الخاص به عبر ثلّة من النقاد أمثال عبد الكريم النهشلي وتلميذه ابن رشيق وابن شرف وغيرهم ثم أتبعناه بأولى الفصول بينا فيها تجليات المعارضة النقدية في الخطاب النقدي المغاربي انطلاقاً من مفهوم المعارضة اللغوي والاصطلاحي فعلاقتها ببعض المصطلحات كالجدال والحجاج والبرهان والحوار فوجدناها تصّب في معين واحد لا يدل بنظري إلا على أهمية المعارضة في صناعة الآراء النقدية وحتى يحصل ذلك ينبغي للقارئ معرفة بعض الأسس والمعايير الخاصة بالنقد الأدبي إضافة إلى أنواع نذكر منها: النقدية، الأدبية، الشعرية، الاجتماعية وغيرها.

الأمر الذي يفضي بطبيعة الحال إلى تطور الخطاب النقدي بناء على الخطابات والمصطلحات النقدية كالحال الذي وجدنا عند ابن رشيق الذي أبرزنا تطوره النقدي انطلاقا من مؤلفاته وآرائه النقدية حول بعض القضايا كاللفظ والمعنى، السرقات الشعرية ومدى فعاليتها في تطور الفكر النقدي المغاربي من منطلق معرفتنا لجزء من الاحكام النقدية التي تباينت رؤاها بحق شخصية ابن رشيق الناقدة ثم تقصينا دوافع ابن شرف في معارضته النقدية فتنوعت ما بين نفسي وديني وأخلاقي وحتى فني الأمر الذي استند عليه في اطلاقه الأحكام النقدية المتعلقة بنفس القضايا التي تطرق إليها ابن رشيق مما جعلنا نفكر يوضح بوضع مقارنة أو موازنة ضمن الفصل الرابع لتكون ثمرة بحثي المتواضع ركَزْتُ فيها على النهج الأسلوبي الذي اتبعه كل من ابن رشيق وابن شرف ثم أراء كل منهما اتجاه نفس القضايا النقدية: اللفظ والمعنى، الطبع والصنعة، والسرقات الشعرية وغيرها.... لنخلص إلى نتيجة مفادها توافق كل من رشيق وابن شرف في الأصول واختلاف بينهما في الفروع لا يفسد الود الذي بينهما.

Abstract :

It is been said that Ibn Sharaf -Al-Kairaouani's opposition against Ibn Rachik is a vivid portrait of the reality of maghreb criticism that has changed after being influenced by eastern critics.

We could only transmit that image through an introduction that presents the reality of the various situations (social,political, cultural) and its impact on the movement of criticism in the Islamic Maghreb , whose critical features were shaped by a bunch of critics such as Abdelkarim Al -Nahshali and his student Ibn Rachik ,Ibn Sharaf and others And than we explained in the first chapter the impact of the critical opposition in the critical speech starting by the terminology of opposition and its relation to some key concepts like arguments, pilgrims, proof and dialogue we discovered yet that all these elements indicates the importance of opposition in the critical opinion's industry.Thus the reader must be aware of some of the foundations and criteria of the literary criticism as well as poetic ,social criticism that leads obviously to the development of the critical speech depending on the critical concepts and that's actually what found in the case of Ibn -Rashik whose critical perception that we have highlighted is on the basis of his publications and his critical opinions about certain issues like (utterance and meaning)(printing and manufacturing) and poetry thefts and their effectiveness in the development of the maghreb criticism. Out of our knowledge about some critical provisions that alters and varied according to Ibn Rashik 's critical personality and also our investigation about ibn Sharaf's psychological, religious, moral and even artistic motivations that led him to opposite Ibn Rashik made us compare them in chapter number four .

To conclude with ,our humble reaserch has ultimately focus on the stylistic approach that both critics have followed ,besides their opinion upon the same issues to find that they disagreed in the caseloads of the literary works and not in the origins and that shows that the oppositions do not harm or ruin their friendliness.